جحيم الستيام

تأسست الحكومة الائتلافية الأولى يوم 7 دجنبر 1955، برئاسة السيد امبارك البكاي رحمه الله، وكان لحزب الاستقلال «الحزب العتيد» فيها حصة الأسد مع الاستيلاء على المناصب الوزارية الحساسة، وإسناد ستة مقاعد وزارية لحزب الشورى والاستقلال جلها تقنية، وخمس مقاعد أخرى كان من بينها الاستاذ رضا اكديرة، ورئيس حزب الاحرار محمد الرشيد ملين

وبمجرد ما أعلن عن تأسيس حكومة السيد البكاي في عهد الاستقلال بدأت المناورات والدسائس تحاك في كل جهة، وهكذا دبرت مؤامراة خبيثة لوزير الداخلية السيد الحسن اليوسي لتنحيته وذلك بخلق وافتعال حوادث جامع الفناء بمراكش[1] وفعلا تكلف بوزارة الداخلية السيد ادريس المحمدي تكليفا مؤقتا دائما إضافة الى انتزاع مديرية الأمن الوطني، واستغلالها استغلالا فادحا...!

يقولون — حسب روايتهم — إنه أمام الفوضى والاضطرابات والسلاح المتكدس لدى منظمات المقاومة التي لا تسير في ركابهم، ولا

(1) حوادث جامع الفنا بمراكش التي تمثلت في الهجوم على بعض المنازل وحرق بعض الأشخاص احياء !

تسمح للحزب العتيد بالسيطرة عليها (ـــ كأسود التحرير ـــ والهلال الأسود ـــ وجيش التطهير ـــ والمتطوعون المنبثقون عن اليد السوداء، وغيرهم من المنظمات الأخرى) تم استدعاء بعض الشخصيات من طرف مرجع رفيع المستوى في الدولة، وكان ضمن هذه الشخصيات كل من السادة مدير الامن العام ومدير الامن الاقليمي، ومحمد البصري (المعروف بالفقيه) وأثناء هذا الاجتماع تقرر جمع السلاح بأي وسيلة كانت، وطلبوا إصدار بلاغ ينشر ويذاع، ويحدد أجلا لتسليم السلاح إلى السلطات المختصة، وطبعاً حماة الأمن الذين هم أتباع «الحزب العتيد» لا يخضعون ولا يتقيدون بما جاء في بلاغ الدولة المذكور.

والمشهور في هذا الصدد أنه انعقد اجتماع عشاء موسع بمنزل احدهم ! حضره 26 شخصا منهم من كان في سجن القنيطرة وشملهم العفو الملكي، كما حضر بصفة استثنائية كل من إبراهيم الروداني، ومحمد الزيراوي، وفي هذا الاجتماع تقرر جعل مركز الستيام ـــ بحي البلدية بالبيضاء ـــ معتقلا خاصا لكل الكافرين بمباديء الحزب العتيد ووكرا من أوكار التعذيب والتنكيل وازهاق أرواح الأبرياء من الشوريين والهلاليين ! وحتى المواطنين العاديين ! والحقيقة المرة أن الحال في تلك الظروف يبيح لكل من ينتسب الى مركز الستيام أن يفعل ما يشاء دون حساب أو استفسار.

مفتش شرطي من «الحزب العتيد» بينه وبين أي مواطن مشكل شخصي يستطيع بسهولة أن يأتي به ويتحكم في مصيرة. إما بالاعتقال الطويل جدا (شهور، أو أكثر) أو بالتصفية الجسدية، وينتهي الأمر كأن شيئا لم يكن.

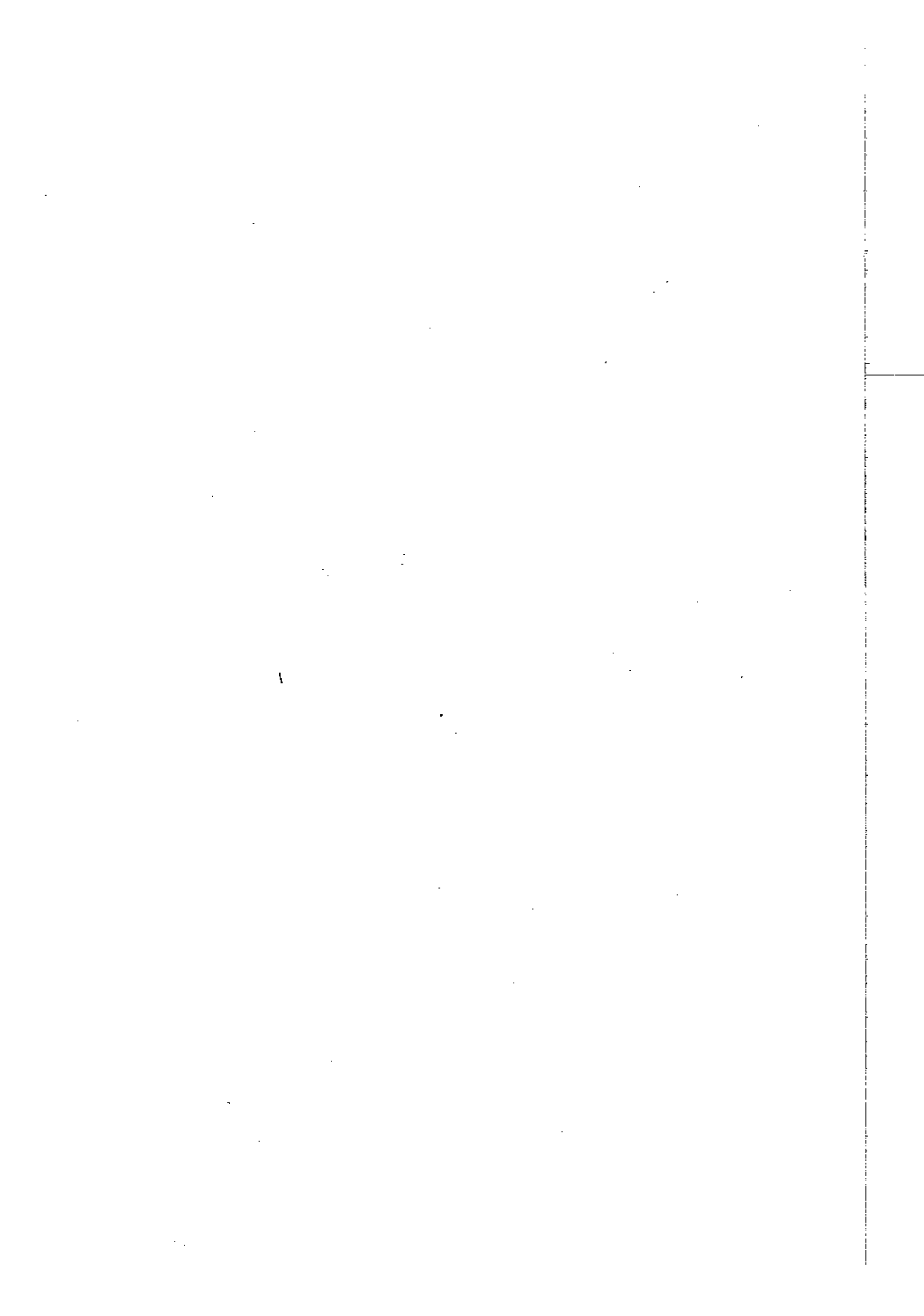
جحيم «الستيام» كان وصمة عار للمغرب في فجر الاستقلال تنتهك فيه أبسط الحقوق، وتداس فيه الكرامة الانسانية، وتزهق فيه الأرواح

من أجل تحقيق أحلام بعض النفوس المريضة بجنون العظمة ! وبدأت حملة الاعتقالات والاغتيالات متتالية متتابعة. وثبت بالمعاينة أن قتلة الشرايبي والأكلاوي خرجوا من منزل محمد الفقيه البصري. ثم أعقب هذه الاغتيالات اعتقالات في صفوف الشوريين في مطلع يونيو، ثم دشنت علميات الاختطاف بالسيد بوشعيب الخضار من سيدي عثمان والسيد محمد السكليس من المقاومة الشورية.

الهجوم على قيادة المقاومة الشورية

وقع الهجوم على قيادة المقاومة الشورية حيث تم احتلال مقر السباتة وخطف وقتل كلٌّ من السيد خليفة والسيد بوشعيب والسيد السرجان والسيد ابن المخنت وزوجته، دون أن ننسى اغتيال طبيب الهلال السيد عمر الادريسي بمستشفى الصوفي بالمدينة القديمة.

كانت الوثائق والمستندات وأوراق العضوية لحزب الشورى والاستقلال تملأ كل غرف الستيام، ناهيك عن النهب والسلب الذي امتد لبيوت المغتالين والمعتقلين من الشوريين والهلاليين. وحسب رواية أحدهم يدعي لي المودة والاخلاص وهو من اصدقاء طفولتي وشبابي، ولعب دورا أساسيا في اعتقال عدد من الشوريين والهلاليين، وربما شارك في اغتيال وتصفية بعضهم. وكان ينتمي إلى مجموعة الراشدي رحمه الله. وحينما تبين له مغبة الجرائم التي ساهم فيها عاد الى رشده، وهو من العاكفين حاليا في المساجد طمعا في المغفرة والرحمة. لقد تغير في سلوكه ونبذ كل تلك المفاهيم والشعارات التي كان يعمل بدوافعها، لينفذ أوامر الطغاة الذين انكشفت عورتهم وانفضح أمرهم، وعرفهم الشعب على حقيقتهم سواء من التحقوا بربهم أو من لا زالوا على قيد الحياة يحاولون تقمص أدوار التقدميين والزعماء المصلحين.



بدء المناوشات

في أوائل يوليوز 1956 بدأت المناوشات والتراشق بالكلام بين الحزبين حزب الشورى وحزب الاستقلال من خلال الجرائد في بعض الأحيان بكيفية واضحة وصريحة، وتارة أخرى بالتلميح والغمز والهمس! وكما يقال ــ أول الحرب كلام ــ فتطور الأمر إلى الاعتقالات ثم الاختطافات، وتوج هذا التطور بالاغتيالات في صفوف الشوريين والهلاليين. في هذه الأيام التقيت صدفة مع المرحوم السيد عبد الله الحداوي وخاله السيد العربي سامي والأستاذ البقالي مصطفى وأنا خارج من العمل بصحبة الأستاذ مصطفى الغرباوي والسيد الحاج محمد بنجلون والأب جيكو والسيد محمد بن لحسن رحمه الله. وكان هذا الثالوث الفريد من نوعه في وطنيته وإخلاصه وتفانيه يشار إليه بالبنان احتراماً وتقديراً. وكان ثالوثنا الخالد هذا يعمل في ديوان الأستاذ أحمد بن سودة في وزارة الشبيبة والرياضة. وبعدما ودعتهم توجهت أنا وعبد الله ومن كان معه إلى مقهى باليما حيث تطرقنا إلى عدة مواضيع كانت تشغل الساحة المغربية حينذاك، كما أثرنا نوايا «الحزب العتيد» وحملته المسعورة والطريقة المتحيزة لتطبيق محتويات بلاغ الدولة لجمع السلاح وتسليمه إلى من يعنيهم الأمر، وكيف بدأت بتغطية قانونية لتمويه وذر الرماد في العيون! وكيف نصبوا أنفسهم خصوماً وحكاماً في نفس الوقت ؟

يا أعدل الناس إلا في محبته   فيك الخصام وأنت الخصم والحكم

اغتيال عبد الله الحداوي

كانت لدينا جميعاً معلومات دقيقة وخطيرة بحكم الاتصالات التي أجريناها، وتفيد تلك المعلومات أننا مقبلون على أحداث خطيرة ودامية ستتضرر منها المقاومة المغربية بصفة خاصة، ويستفيد منها من كانوا في منصة المتفرجين سواء في الداخل أو في الخارج، ومن خلّفهم الاستعمار من بعده كقنابل موقوتة لتقوم بأعمال محددة من مدنيين وعسكريين.

لم أكن أدري أن هذه هي المرة الأخيرة التي أراه حيّا مع خاله العربي رحمهما الله، ونصحته أن يكون حذرا متحفظاً في أقواله وأحاديثه، واتفقنا على أن نلتقي مرة أخرى بعد عودتي من غرناطة للبيضاء. وعلمت فيما بعد أن لقائي هذا معه كان تحت الحراسة والمراقبة خطوة بخطوة، بين إدارة الأمن الوطني والإدارة الإقليمية للبيضاء ! وكان هو المستهدف الأول من تلك المراقبة الدقيقة التي توجت بسقوطه في كمين عين السبع ! الذي استشهد فيه إلى جانب خاله السيد العربي سامي (شقيق البطل الشوري الحاج المختار سامي أمد الله في عمره) والاستاذ البقالي. ورابع لا أتذكر اسمه.

فقد أطلقوا النار أولاً على سيارة لسيدة فرنسية كانوا يظنون أنها سيارة السيد عبد الله الحداوي، إذ تحطم زجاجها الأمامي، وبعد برهة قصيرة وقف عبد الله ورفاقه معتقدين أنها حادثة سير، فإذا بهم يفاجؤون بوابل من الرصاص من كل جهة، ورغم هذا أصيب ـــ الذهبي ـــ بجروح بليغة في هذه المعركة التي أدت إلى استشهاد بطل من أبطال المقاومة المغربية الأفذاذ وبعض أصحابه، وبذلك يسدل الستار عن الفصل الأول من تصفية الهلال الأسود.

تقديم نفسي لعامل الدار البيضاء

عرفت نبأ الاغتيال بواسطة الجرائد الفرنسية في غرناطة، وجاءني التأكيد بالتفاصيل من المغرب تلفونياً، كما أخبرت بأن بوليس «الحزب العتيد» يبحثون عني بعدما هاجموا منزلنا بالمدينة القديمة وقاموا بتفتيش الدار كلها وأخذوا بل سلبوا أوراقاً ووثائق شخصية وكتباً وكل ما راقهم وأفزعوا وأرهبوا كل أفراد العائلة من نساء وأطفال ورجال !

عدت في أول طائرة متجهة إلى المغرب. فنزلت في تطوان بطريقة سرية خشية أن أقع في قبضتهم وأصبح لا محالة في قائمة (الموتى في ظروف غامضة) ووصلت إلى الرباط بجهد جهيد. ثم توجهت إلى البيضاء لحضور المجلس الوطني لحزب الشورى الذي انعقد يوم 9 غشت 1956 وأخبرت الأمين العام بالنيابة للحزب الاستاذ عبد القادر بن جلون بأن بوليس «الحزب العتيد» يطلبني حيّاً أو ميّتاً ؟

فنصحني بتقديم نفسي لعامل المدينة السيد الحاج أحمد بركاش بعدما أخبر بذلك رئيس الحكومة السيد امبارك البكاي. فاتصلت بالسيد عبد القادر التورنور رحمه الله، وتوجهنا مباشرة إلى قصر العمالة حيث استقبلنا العامل، واتصل تلفونياً بمدير الأمن الأقليمي وقته الذي حضر شخصيا إلى العمالة لأخذي من هناك.

بدأت أعرف تدريجياً أسباب إقحامي في مختلف التهم المفبركة للشوريين والهلاليين على السواء ! وما هي إلا أيام معدودة حتى تم القبض

على كل من كانت له علاقة مع المرحوم السيد عبد الله الحداوي من جهة ومحمد بن إسماعيل من جهة أخرى. فالأول انتقل إلى الرفيق الأعلى. والثاني وجدته في حالة يرثى لها من جراء التعذيب والتنكيل مع عدد يربو على المائة وعشرين نفراً في دهليز الستيام. نصفهم أو أكثر من الشوريين والنصف الآخر من الهلال، وكان هذا بالضبط يوم 10 غشت 1956 حوالي الساعة الثالثة والنصف.

عرفت من الموجودين هناك الكثير ورأيت إخواني الشوريين والهلاليين في أوضاع مأساوية، السياط تلهب أجسامهم، وهم صامدون أمام الطغاة! شاهدت العجب العجاب ثم ادخلوني حجرة فوجدت رجلين عرفتهما في الحين. الأول اسمه البوعزاوي كان مسؤولاً كبيراً داخل فرع «الحزب العتيد» بالبيضاء ونواحيها، والثاني هو الذي نصّب نفسه القائد الأعلى للمقاومة المغربية والمتحدث الأوحد باسمها الفقيه محمد البصري.

رحلة العذاب

وشرعت رحلة العذاب الطويل، تدور الأسئلة حول عملي ومشاركتي في المقاومة الشورية، وكمية السلاح الذي كان بحوزتنا، والطريقة التي كنت أسرِّب بها السلاح من فرنسا ابتداء من يناير 1952، بناء على معلومات أخذوها من فرع «الحزب العتيد» بمرسليا ! كما دارت الاستنطاقات المسترسلة بالليل والنهار على عملي كمنسق بين الخلايا والمسؤولين في القيادة. واتصالاتي مع جمعية الضمير الفرنسي، وخاصة مع ــ أنطوان مازيلا ــ والدكتور دولانوي ــ والكمندار سارتو ــ وكريستان داربور ــ والدميكر دوبروي ــ وكي مارتيني ــ وكيف تمكنت من ملف

الشوريين المحكوم عليهم بالإعدام، وتسليم نسخة منه إلى رجال أمثال فرانسوا ميتران، وجيلبير كَرنفال، الذي كان على وشك الوصول إلى المغرب ليباشر أعماله كمقيم عام جديد لفرنسا بالمغرب.

والشوريون المحكوم عليهم في مايو 1955 بالمحكمة العسكرية هم السادة

1 ـ محمد بن سعيد عدي : الاعدام

2 ـ أحمد بن البشير الودغيري : الاعدام

3 ـ ابريك أبو الهول : الاعدام

4 ـ عبد القادر التورنور : خمسة أعوام مع إيقاف التنفيذ

5 ـ محمد الزياني

6 ـ عبد السلام الجيار

7 ـ حسن حاما حضوريا عشرين سنة

8 ـ بنعيسى غيابيا الأشغال الشاقة عشرين سنة.

كما سئلت عن سبب ترددي على منازل السادة بسان لازار بباريس وأحمد بنسودة والمرحوم مبارك البكاي. كما استنطقت عن التقرير الذي قدمته إلى بيير جولي وزير الشؤون المغربية والتونسية أثناء مروري بباريس في صيف 1955 حول السجون والسجناء، حيث كنا نقوم بتزويدهم بالمواد الغذائية وكل ما يحتاجون إليه أسبوعياً تقريباً.

(وهكذا كنا نزور، أنا والمرحوم السيد عبد الله امريح ومولاي الشريف، سجون العادر وعين على مومن والولجة وسيدي العربي ولعلو وغبيلة والقنيطرة. وبعد أن كلفت بمهام أخرى من طرف الإخوان تركت مهمة السجون للأخوين المرحومين عبد الله امريح وبريك الخياط ويساعدهم مولاي الشريف)

ثم وضعت استفسارات وتساؤلات حول علاقتي بالمرحوم عبد الله الحداوي وما هي الروابط التي كانت تجمعني به ؟ ومع من كان يتصل في المكتب السياسي للحزب ؟ وما هو نوع المساعدات التي كانت تقدم للهلال الأسود ؟ ومن كان مكلفاً بهذا الاتصال ؟

فكنت أرد على أسألتهم دائما بقولي :

كل ما هو مسجّل لدى الفرنسيين من معلومات تخصني سواء في المغرب أو في فرنسا (عن طريق مكتب المغرب كما كان يسمى (OFFICE DU MAROC) أو ما هو موجود لدى الاستخبارات العامة بالمغرب وهو مسجل في رفوفها، فهو واقع لا يرتفع. أما عن اتصالاتي بالأخوين المرحوم امبارك البكاي والأستاذ أحمد بنسودة فكانت تدخل في إطار عملي الشوري وهذا على مسمع ومرأى من الجميع. أما التخمينات والافتراضات والتهم المصطنعة كالمشاركة في اغتيال ــ الزيراوي ــ والروداني ــ ومحاولة اغتيال المهدي بن بركة صحبة محمد بن اسماعيل وابريك الخياط رحمهما الله وبن جعة وأحمد هرم، فلا صحة لها.

وبقدر ما كنت أنفي التهم، بقدر ما كانت أحوالهما وملامحهما تتغير حتى يخيل للإنسان المتزن أنهما انقلبا إلى وحشين مفترسين. وبدءا يصيحان على الجلادين، فحضر أربعة وهم : الحاج الأعور، الأخوان بنجلون والهاشمي النجار.

أخذوني إلى غرف التعذيب بالصفع والركل والشتم وخلعوا عني ثيابي ووضعوني على خشبة طويلة مقيّد اليدين والرجلين، وأمام برميل مليء بالمياه القذرة يغطسون رأسي داخله حتى كادت روحي تزهق ! وفي نفس

الوقت تنزل علي العصا في كل مكان ومعها الكهرباء، وهنا كنت أسمعهم يرددون علي أسطوانة منذ البداية ومفادها :

(لو قتلناك ودفناك هنا... من سيعلم هذا... ؟)

كان جوابي دائماً... وفي قرارة نفسي... الأعمار بيد الله...؟

الشوط الأول من العذاب الجسدي والنفسي دام زهاء ساعة ونصف ثم أعادوني إلى مكتب المسمى ــ البوعزاوي ــ الذي قال لي بالحرف :

ــ سنعطيك مهلة ساعة للتفكير قبل أن نغير الطبخة التي ستكون من نوع ممتاز ! أنت الكاتب العام لحزبك في أكبر مدينة بالمغرب تعرف أسماء كل المسؤولين عن الدوائر والأقسام، كما تقولون أنتم، والمسؤولين على اللجان والمنظمات التابعة لكم، زيادة على اتصالاتك اليومية مع مدير الحزب الأستاذ محمد فاضل المؤقت وأعضاء المكتب السياسي الآخرين وزراء وغيرهم، وبهذه الصفات كلها ستتعاون معنا ونتفاهم وتكتب لنا تقريراً عن التنظيم الداخلي للحزب والمنظمات التابعة له. كل المعتقلين الشوريين هنا حملوك المسؤولية ! محمد بن اسماعيل ــ الذهبي ــ إبراهيم الفاخري ــ محمد بنجاعة ــ أحمد صهر على بن سعيد بل حتى الهلاليين يقولون أنت الذي حرَّضتهم على مقاومة حزب الاستقلال ؟ كلهم اعترفوا صراحة بأنك أنت الذي كنت متحمساً لفكرة الانتقام لكل شوري أو هلالي يعتقل أو ينفذ فيه أمر مّا ! إن بعض الاخوان في حزب الاستقلال يعرفون الخدمات التي قدمتها للوطن وهم يعطفون عليك، فلا تترك هذه الفرصة تضيع منك يا سي عبد الله !... فكر جيداً أقول لك، وإلا فأنت أخذت العربون، وهذه المرة حتماً ستكون نهايتك ؟

وعند أذان المغرب أخذوني إلى الدهليز (لاكاب)، وفيه وجدت إخواني الشوريين والهلاليين موزعين في الزنزانات وبعضهم خارجها جالسين، وكلهم في أوضاع وأحوال سيئة من آثار التعذيب، وبالخصوص ــ محمد الأزموري ــ محمد أبوقال ــ الذهبي ــ إدريس المغراوي ــ مسعود الكحل ــ وإبراهيم الفاخري، وكلهم من المحمدية، واعتقالهم وتعذيبهم كان بتحريض من المسؤول عن حزب الاستقلال بالمحمدية المسمى العربي الزروالي وبأمر وتوصية خاصة بجلدهم كما ينبغي من طرف العامل السيد عبد الحميد الأزموري الذي كان في نفس الوقت مفتش حزب الاستقلال بالشاوية والمسؤول عنها !

ومن البيضاء أتذكر بالخصوص السادة ــ محمد بنجعة ــ ميلود الزياني ــ مبارك القصري ــ محمد بن اسماعيل ــ الحاج أحمد بن الحسن السوسي رحمهما الله ــ وأحمد صهر علي بن سعيد ــ واليهوديان الشوريان الجزار جاكوب أوحيون ــ ووالده أبراهام أوحيون ــ والحاج المختار الهلالي والأخوان مصطفى وأحمد رزقي ــ والأخوان الوديني مصطفى وحمودة ــ بوشعيب عكراش الحاجة حليمة البرقادى ــ رحال الشرقاوي ــ فكري مصطفى ــ ومحمد الرباطي ــ وأحمد بن المختار ــ والأخوان الثلاثة المكناسي ــ ومصطفى بالسكليس ــ ومصطفى الجراري ــ وعدنان ــ وقنبول ــ وغيرهم كثيرون من الأخوان الشوريين والهلاليين من لم تحضرني أسماؤهم، فإليهم أقدم عذري عن هذا المانع الخارج عن إرادتي المحدودة .

هم في الحقيقة مواطنون شوريون وهلاليون جيء بهم من كل جهات المغرب وذنبهم الوحيد أنهم لا يؤمنون بأفكار «الحزب العتيد» ! جميعاً يئنون من الألم ومشوهون من كثرة الجلد والضرب القاسي، فنجد اثنين أو ثلاثة يحملون واحداً منتفخ الرجلين، ولا يمكن أن ترى وجهه من

الانتفاخ الذي يحيط به وكأنه مقنع. وتجسدت هذه الأوصاف البشعة في الإخوان ــ محمد بنجعة ــ الأب محمد الأزموري ــ ومحمد أبو قال رحمهما الله.

ولقد كان الأب الأزموري يزحف على بطنه لأنه يستحيل عليه المشي من شدة ما تلقى من ضرب على قدميه وعلى أماكن حساسة من جسمه ! وهو رجل مسن ومريض، فلم يرحموه لا لشيخوخته ولا لمرضه !

ووقفت مأخوذاً لهول المشهد الرهيب ! لم أكن أتصور حتى مناماً أن يحدث لي ولبقية الأخوان شيء من هذا ! وصعق الأخوان لما رأوني ولم يصدقوا أعينهم، وأسرع نحوي كل من بقيت فيه قدرة وطاقة يستفسروني ويواسوني، ووجدت نفسي في وضعية مزرية بجانب الأب الأزموري رحمه الله وهو يشجعني على الصبر والصمود أمام الطغاة.

ولما حاولت أن أمدد رجلي المشوهة بالضرب الوحشي طمعاً في الراحة، وظهرت آثار التعذيب، لاحظ كل هذا بتأثر كبير وهو يحاول إخفاء وجهه وهو يبكي على الجميع، ومن خلال دموعه التي حاول حبسها والتي كانت تسبقه، عرفت ما حلّ بعدد كبير من الأخوان ووصف لي اعتقالهم في المحمدية كيف تم بوحشية لا تتصور ! من تفتيش المنازل وهتك الأعراض، ومن حين لآخر يغوص بعينيه في قدميه المنتفختين.

كنت مستغرقاً في حالي أفكر وأقارن ما قام به المستعمر بالأمس وما يقوم به اليوم ورثة الاستعمار الجدد الذين تجاوزوه في القسوة والفظاعة والوحشية ؟

لقد أنستني الدكتاتورية الحزبية العمياء فجور المجرمين العتاة في التاريخ البشري كله ! إنها تجلد وتسجن وتختطف وتقتل في السر والعلانية

الشيوخ والشبان في عمر الأزهار، وتنتهك الأعراض، وتسرق وتسلب وتنهب باسم المحافظة على الأمن. لقد رأيت مشاهد لا أستطيع نسيانها، وأعتقد أنها لا تمحي من ذاكرتي إلى آخر يوم من حياتي لفظاعتها وقسوتها ! وأضحيت متجدد المشاعر والحس من هول كل ما رأيت ! وفجأة أخذني النوم وأفقت منه وكأنني في حلم.

كان الليل قد انتصف حينما نزل سفراء جهنم، وأخذوني إلى المكتب الذي كنت فيه، ووجدت البوعزاوي ومعه الهاشمي والحمري وتوش لوبوا الحسين الذي خاطبني قائلا :

نحن في انتظارك، أهلا أنت على استعداد للكلام والاعتراف بكل ما جاء في أقوال محمد ابن اسماعيل وأحمد صهر علي بن سعيد ؟ أطلعنا على التنظيم الداخلي للحزب، والسلاح الذي اشتراه المكتب المحلي من طنجة بإشراف إبراهيم الوزاني وعبد القادر التورنور والشرادي (رحمهم الله) وطبعا المسدس من نوع 6،65 الذي أحضرته معك هنا هو ناقص من الذخيرة برصاصتين هل هي التي اغتيل بها الزيراوي ؟ وبناء على أقوال محمد بن اسماعيل، فلقد كنت تدرب بعض الشوريين أنت وصالح شقيق الشرادي بوادي نفيفخ على استعمال السلاح ؟

فقلت في دهشة تامة : بالتحديد عن أي شيء تريدون أن أتكلم ؟ قالوا :

المؤامرة التي دبرها الشوريون في إحدى اجتماعات المجلس الوطني الاستثنائية بزنقة — دورفيل — وتهدف إلى الخروج في مظاهرات صاخبة ضد وزير الداخلية ومدير الأمن الوطني، وتسليح جماعة من المغامرين الشوريين والهلاليين للقيام باغتيالات في صفوف الحزب وخاصة أعضاء اللجنة التنفيذية ؟

أجبت وأنا في حالة ذهول :

إن توصيات ومقررات المجلس الوطني المذكور نشرت على الملأ وعرفها الخاص والعام، وكلها كانت تدور حول الانسحاب أو البقاء في الحكم ؟ وتقرر كما يعلم الجميع تأجيل البت في هذه القضية إلى عقد جلسة أخرى طارئة، والاكتفاء برفع مذكرة تفصيلية إلى حضرة صاحب الجلالة محمد الخامس حول الأوضاع المزرية التي كانت قائمة آنذاك، هذا هو عملنا كما عرفه الشعب المغربي

وانهالت عليّ اللكمات والركلات من كل حدب وصوب حتى فقدت وعيي. وعند الفجر وجدت نفسي في الدهليز ملطخاً بالدم، شارد الفكر في هذا المصير الذي جمع خيرة شباب ورجال حزب الشورى ومنظمة الهلال الأسود الخالدة.

وجاء يوم جديد (12 غشت 1956) واستأنفت أجهزة التعذيب الرهيبة أعمالها القذرة في طاحونة التنكيل الجهنمي دون ضمير وطني أو أخلاقي، أين النجاة يا رب ؟ لا بد أن يبلغ الكتاب أجله.

إن رئيس الحكومة السيد امبارك البكاي يعرف كل التفاصيل عن طريق الوزراء الشوريين، وبتدقيق أكثر وخاصة الأساتذة أحمد بنسودة ومحمد بن عبد الله الشرقاوي، ولكن ماذا يعمل هذا الرجل المغلوب على أمره ؟ وهم يحاولون أن يجعلوا منه مجرد صورة شكلية لرئيس حكومة عابرة لا غير ! ولكنهم أخطأوا في تقديراتهم السياسية إذ كان الرجل قوي الشخصية لا يخاف في الحق لومة لائم مخلصاً متفانياً في حب ملكه ووطنه، ومن عجائب الأمور الروابط المتينة والدرجة بل والمكانة التي كانت له لدى العائلة المالكة.

في سنة 1953، حينما أبعد جلالة الملك محمد الخامس طيب الله ثراه، قدم الرئيس امبارك البكاي استقالته كباشا لمدينة صفرو، وفي فبراير 1961، عندما توفي جلالة الملك محمد الخامس تغمده الله برحمته، بعد أربعين يوماً بالضبط تبعه المرحوم البكاي، فالله أسأل أن يسكنهما معاً جنان الصالحين والأنبياء والشهداء.

ونودي علي من جديد، فقمت وأنا لا أتحمل المشي على قدمي، وكنت أحسب حساباً لكل دقيقة قادمة... ماذا وراءها ؟... لا عذاب الانتظار المخيف، وكما يقول المثل الشعبي المصري (حلول البلاء ولا انتظاره) ويبدأ الاستنطاق معي دائماً بوجبة خفيفة من اللكمات وكأنهم في حلبة الملاكمة، يتدربون على كيس من الرمال ! وفي غرف التعذيب المجاورة أسمع الصراخ والصياح، وتكاد أعصابي تنهار من سماع تلك الأصوات البشرية التي تتحول إلى حيوانات جريحة !

(ماذا يقول صاحبنا السي عبد الله... هل لازال مصراً على أفكاره ؟)

وهبطت علي شياطين الخوف من كل مكان... المسألة جد إذا تطورت... ساعدني يا رب... أعادوني إلى الخشبة الطويلة وقيدوني كالمرة السابقة، الضرب المبرح والماء... لا أدري كم جلدة ؟... المهم أنها تجاوزت المائتين... أما وضع رأسي في برميل الماء فعشرات المرات... وعملية التعذيب بالكهرباء كانت أشد من الأولى وأطول. هذه الحصة استغرقت ساعتين أو أكثر...

لقد قدر لمن عاش وعرف جو الستيام ان يرى أسوأ ما يمكن : الصراخ العويل المرعب الخوف... ولا أعتقد أن مكاره الحياة كلها تعادل

قضاء ليلة واحدة في دهاليز «الحزب العتيد» بالستيام. ومهما وصفت أو صورت فسأكون مقصراً في نقل الواقع الذي كان قائماً.

كلما تذكرت تلك الأيام السوداء يعتريني شعور غريب كله تذمر وسخط على جرثومة الحزبية المتعفنة التي أساءت كثيراً إلى المغرب والمغاربة بتصرفاتها الخرقاء ضد كل من خالفها في الرأي، ولعلها فاقت كل ما قرأت في كتب التاريخ عن النازية والفاشستية وعن محاكم التفتيش الأسبانية !

أي ريح هاته هبت على المغرب في صيف 1956 بالخصوص ؟ إن أولائك الذين عذبوني لمدة تزيد على الشهر... كلهم لا يمتون إلى الإنسانية بصلة، كلهم ذوو قلوب حاقدة!.. تعذب وتحتقر البشر، باستثناء المعاملة الإنسانية التي لقيتها والحق يقال، من السادة — إبراهيم زكرياء — والحاج بريك — وبوشعيب البلومبي — وإدريس الطرفاوي.

حالة التعذيب تجعلك تتمنى الموت في كل حين... وأستغفر الله على هذا القول كثيراً... وصار هذا المشهد لدي مستمراً دون نهاية فمرة أجد نفسي في غرف التعذيب... وأخرى في الدهليز... دون أكل أو شراب... أو نوم... وكلّي ترقب وانتظار... حتى جاءوا ذات مساء ببريك الخياط وهو في حالة من التعذيب لا يتمناها الإنسان لأي كائن حي... ورموه وسط الدهليز... وهو يئن بصوت خافت، لا يستطيع التحرك من جراء ما لقيه من أصناف وألوان التعذيب والتنكيل !

وبعد مرور ساعة، حضر الحاج الأعور مصحوباً بأربعة من عصاباتهم وقالوا له :

لا شك أنك تعلم أن صديقك وشريكك في التخريب والتآمر موجود هنا، هاهو كلبكم عبد الله الرداد، ومعه صهرك العزيز محمد بنجعة الزياني ضيوفاً مكرمين لدينا وأنت طبعاً معهم.

حينما رأيت وأطلت النظر في بنجعة رأيته في حالة أسوأ من بريك وبوقال والحاج المختار والأب الأزموري، لأن قضية اعتقاله كانت تصلح لأن تكون رواية مطاردة سينمائية لما عرفت من تطورات وتشويق كما نشاهد في الأفلام البوليسية الأمريكية، ولولا تلك الضجة التي استعملها معهم قصداً، لما بقي حـيّاً يرزق إلى يومنا هذا، بسبب حضور رجال من الأمن العادي الذين أخبروا عامل المدينة ومشاهدة الشعب لذلك المنظر المؤلم، وهو اليوم موظف في السلك الإداري.

لم يعرف النوم سبيلاً إلى عيوننا، لقد توثقت بيننا وبين الهلاليين دون استثناء أخوة صادقة وعملية، بسبب المعاناة والألم، فالتحمنا جميعاً برباط مقدس بليغ !

وعادوا مرة أخرى مع طلوع الشمس ليأخذوني إلى مكان لم أتشرف بزيارته من قبل، وهو على ما يظهر أرقى وأعلى درجة في التعذيب والبطش، والشيء الذي ملأني فزعاً أنني رأيت الجلادين وهم ينظرون إلى ناحيتي نظرة مليئة بالشفقة والرثاء العميق ــ معنى هذا أنهم يعلمون أن الذهاب إلى هناك يعني عذابا أكثر مما يدون في هذه الطاحونة المخيفة ! ومعناه أيضاً أن ما يجري في هذه الغرف الخاصة قد أثار الشفقة في هذه القلوب المتحجرة الشديدة القسوة !

كنت أسرق النظر نحو غرف التعذيب الممتازة ! الغير البعيدة عن مكتب المدير فأرى صوراً تقشعر منها الأبدان من القسوة والقهر الوحشيين، وكان منظر هذه الصور أشد وقعاً وألماً علي من وقعه على

أصحابه... وقد قدر لي أن أذوق من نفس هذا الكأس بأيام قليلة، وأرى ما هو أفظع من ذلك... أرى الموت تحوم حولي وحول كل الإخوان المتواجدين في الدهليز ... فلم تكن عند واحد منا رغبة أو قدرة على النطق بكلمة ونحن في طريقنا إلى غرف التغذيب حيث الموت الذي لا لون له... وما كان الموت بالشيء الذي يخشاه واحد منا... بل كنا نخشى العذاب، ومن يدخل إلى الستيام عليه ان يودع الأكل والنوم أسابيع لا يدري كم ستكون ؟

ونادراً ما تكون له فسحة ليشرب بيديه جرعة من الماء... وإذا أراد أن يقضي حاجته الطبيعية... فهذا شيء آخر.. عليه الانتظار... حتى تأتي التعليمات من فوق... وكثيراً ما تقضى هذه الحاجة حيث كان... وكان هناك من يُنسى معلقاً على الأعواد ساعات طويلة... ومنهم من كان يقفل عليهم داخل (البلاكارات) الدواليب الحائطية ساعات وساعات... ولم يكن أحد يهتم بهذه المواضيع...

أحمد الطويل رئيس عصابة الجلادين

طال انتظاري كثيراً أمام مكتب المدير الإقليمي للأمن الوطني (شرطتي) كما كانت تكتب وقته، وكنا نتسلى بها. وإذا بالسيد المسؤول عن التغطية أحمد الطويل يصل وحوله حاشيته من المتعاونين المتملقين، فقدموني إليه على أنني صاحب خزانة السلاح الشورية، والمتورط مع بعض الهلاليين ذكر من بينهم ـ الحاج النيازي ـ أحمد هزم ـ مصطفى الحليمي...

أكدت لهم مرة أخرى ما سبق أن قلته من قبل، فأصدر أوامره لتسجل جميع أعمال المقاومة الشورية، وتسلم له في أقرب وقت ممكن.

وهكذا بدأوا يعتصرون كل شورى وهلالي ليأخذوا منه تفاصيل العمليات التي قام بها في إطار مقاومة المستعمر بأسماء الأشخاص والتاريخ وأسماء الضحايا، ونوع السلاح ! وغيرها من المعلومات الضرورية، واستمروا في هذا العمل الجديد يتسابقون مع الزمن فيه طيلة أربعة أيام، وكانت بحث أيام مضنية وتعسة رأينا فيها صنوف ألوان العذاب المختلفة وجلدنا جلداً فاق كل ما مر بنا من أسابيع العذاب والقهر الأولى ؟

لقد رجعنا إلى الدهليز وليس فينا واحد إلا وبه جراح... الدماء تسيل دون توقف، أدخلوني الدهليز في خوف وفزع وسقط بعضنا على بعض، كل منا فوق أخيه... واستمر الحال والوضع على هذا المنوال الذي اعتدنا عليه، الجلد المتواصل والمتلاحق في جو من الإرهاب الشديد لا يقارن إلا بما قرأت عن (كراسوس) في فجر الحضارات، يقضي على ثورة العبيد ويقتل زعيمهم (سبارتكوس) الذي يهدد نظام روما العتيد. ربما يكون في المناجم الليبية عندما كان الرومان يقتلون العبيد من العمل الشاق المرهق الذي يستمر طوال النهار والليل... ربما في مزارع القطن والسكر في أمريكا في القرنين السادس عشر والسابع عشر... ربما .... وربما في أي زمن من أزمان التاريخ المظلمة... إلا أن يكون هذا في القرن العشرين... وفي المغرب !!

كان ذلك بعيداً عن ذهني... أهذا يحدث في قلب الحضارة في ناحية الزمن حيث تصطرع الثقافات وكلها يمجد الإنسان وحريته تجاه الحياة ؟ كانت الصورة في خاطرى وقتها... عصابة من قطاع الطرق تخطف الناس من منازلهم وتذهب بهم إلى مكان مظلم مجهول ولا أظن أن رجال (الجيسطابو) ولا زعيمهم كانوا قد وصلوا إلى هذا المستوى من الإذلال والتحطيم.

ففي يوم 13 غشت بالضبط وصل فوج كبير من الإخوان الشوريين من حي ـــ فيرار ـــ وفيهم الأشقاء الثلاثة المكناسيون الشهيد أحمد ـــ والمحجوب ـــ ومحمد كانوا في ذعر يجرون ويهرولون، ولا أستطيع أن أنسى منظر الهلع الكبير الذي قرأته في أعين أولائك التعساء، وهم ينظرون إلينا، ونحن ملطخون بالدماء المتراكمة والروائح الكريهة تفوح منّا.

موت أحمد المكناسي تحت التعذيب بالستيام

وبعد دقائق سمعنا الصراخ يدوي في كل جهة ويصبح اللحن الجنائزي المميز للدخول في هذه البئر الذي انفتح من جحيم الأرض دون حساب أو تقدير، من كل هؤلاء المساكين الذين يواجهون مصيراً مجهولاً مثلنا بين هذه الجدران الصماء القاسية !

وجلد الجميع جلداً رهيباً... لم ينج مريض أو جريح من وليمة الاستقبال الأولى، حيث أخذ آل المكناسي الأشقاء الثلاثة نصيباً أكبر ولا سيما الأخ الأوسط السيد أحمد* الذي تحول إلى جثة هامدة بعد أربعة أيام من وصولهم وفاضت روحه الزكية بيننا، وأنا ألقنه الشهادة، وبحضور ومعاينة السيد المدير الإقليمي للأمن الوطني «للحزب العتيد»، وقد تقيأ وعاءين من الدم. كان جسده رحمه الله عبارة عن جرح كبير ينزف دماً من كل مكان، وعند غروب الشمس يوم 15 غشت 1956 سكن إلى الأبد، وهو يوصي بأولاده وبابنته الرضيعة خيراً، وبكيناه كلنا بأصوات مكتومة وبقلوب مفجعة.

ولقد رسم لنا طريق الحرية والديمقراطية بدمائه الطاهرة، وإن روح المكناسي وغيره من الشهداء ضحايا الإرهاب الحزبي لا زالت هي رمزنا



المقاوم البطل الشهيد أحمد المكناسي

المقدس، فمرور الأيام والأعوام لا يزيدها في قلوبنا إلا رسوخاً وإيماناً بكفاحنا العادل، فلله درك يا مكناسي ما اخلدك رغم أنوف قتلتك !

خلفت تلك المدة التي قضيناها بين مركز الستيام وسجني البيضاء والقنيطرة أثراً لا يمكن أن يزول أو يوصف أو يتخيله المرء غير ذلك الذي عاشه وعاناه !

لقد رأيت كما رأى الإخوان الذين لا زالوا على قيد الحياة المدير الإقليمي للأمن الوطني بالبيضاء، وهو ينزل مراراً إلى دهليز الستيام مصحوباً بالطغاة القتلة والجلادين، وسمفونيات التعذيب تعزف ألحانها الصاخبة... وهو يرى بعينه ويسمع بأذنه ليلاً ونهاراً أصوات المعذبين البائسين من أبطال المقاومة المغربية، تنتزع منهم أعمالهم البطولية ليتبناها الأقزام اليوم !

بعد استشهاد المكناسي، حدث ارتباك كبير لدى الطغاة لأنه لفظ أنفاسه الأخيرة بيننا ! حاروا في أمرهم ! كيف يتصرفون للخروج من هذا المأزق، وأثناء هذا الارتباك الذي ساقته ظروف استشهاد المكناسي، تمكنت بفضل أحد الحراس الأصدقاء العاطفين علينا، تمكنت من كتابة رسالة عن استشهاد البطل أحمد المكناسي رحمه الله، وإعطاء صورة تقريبية عن ما يجري داخل الستيام لجريدة الرأي العام، والتي توصلت بها بواسطة والدتي فاطمة بنت محمد الملالي رحمها الله، فنشرت في حينها، وأحدثت ضجة كبيرة في الأوساط الشعبية والرسمية، وخاصة وزارة الداخلية وإدارة الأمن الوطني.

استقبل السيد امبارك البكاي رئيس الحكومة الأستاذ جاك ميليا. الذي كان ينوب عني، رفقة الأستاذ عبد القادر بنجلون الأمين العام بالنيابة ووزير المالية في حكومة السيد البكاي. والمعروف عن الأستاذ ميليا

دفاعه عن رجال المقاومة الثورية، وخاصة السادة أحمد بن البشير، ونمدي، وبريك،

وتزامن هذا مع الحملة التي كان ينظمها الحزب من خلال تجمعات ومهرجانات لاطلاق سراح المعتقلين والمختطفين، وكان يتزعمها السيد أحمد بنسودة في تلك الفترة وهو وزير للشبيبة والرياضة !

ونعود مرة أخرى إلى الستيام وجوها المكهرب وما جد بعد زلزال الرسالة التي هزتهم هزة عنيفة ! أخذت إجراءات مشددة لمراقبة المعتقلين بالزيادة في عدد الحراس، واكتظاظ الزنزانات لدرجة لا تطاق، والفصل كان صيفاً كما أسلفت.

أقاموا الدنيا وأقعدوها لمعرفة من هم الجناة الذين تجرؤوا على القيام بفضح مجازرهم ومذابحهم المقامة باسم القانون والأمن ! ولكن الله سلم... وباءت كل محاولتهم بالفشل رغم تهديدهم بالتصفية الجماعية... وغيرها من الأساليب البغيضة، وتحت مختلف الضغوط... وليتخلصوا من ورطتهم بدءوا بتحرير محاضر نموذجية ملفقة لعدد محدود من المعتقلين بتهمة ــ حيازة السلاح بدون رخصة وتكوين عصابة الفساد ــ وإحالتهم على النيابة العامة التي كان ممثلها هو الآخر عضواً بارزاً في «الحزب العتيد».

أخذوني ذات ليلة من لياليهم المظلمة إلى مكتب الحاج الاعور، ووجدت معه رجلين في مقتبل العمر لم أتعرف عليهما، ونطق أحدهما قائلاً : بين يا عبد الله دورك بوضوح في علاقتك المشبوهة مع الهلاليين وبالأخص أحمد هرم والحاج النيازي ؟

قلت : معرفتي بالحاج النيازي تدخل في نشاطي واتصالاتي بالمحامين ومساعديهم، زيادة وأن الحاج النيازي شخص غير عادي لأنه

من مؤسسي عدة خلايا ومنظمات للمقاومة بالمدينة القديمة، وهذا شيء معروف عند الخاص والعام ! وهذا شرف كبير لكل معارفه وأصدقائه، وأنا عضو مؤسس في منظمة اليوسفية للمقاومة التي أسست في مكتب الأستاذ زروق رحمه الله.

في مطلع 1954 كنا أربعة : الحاج النيازي — المرحوم علي القرواني — المرحوم بوشعيب المجاطي، وعبد ربه، وتم تأسيس المنظمة المذكورة. وبوشعيب المجاطي كانت مهنته بحّاراً في البواخر الكبيرة، وسرب أسلحة كثيرة إلى المغرب. حيث كنت أتصل به في مرسيليا وأدفع له كل سلاح حصلت عليه ليحضره إلى المغرب. ولقد عمل سائقاً مع السيد التهامي الوزاني حينما كان وزيراً للمعادن في الحكومة الأولى، إلى أن مات غريقاً في البحر على متن الباخرة التي كان يعمل بها في سنة 1959 بعد ما ترك عمله كسائق.

وأحمد هرم كنا نتصل كذلك في إطار نشاط المقاومة، زيادة على أنه يجمعني وإياه حي واحد، وأظن أن هذا الشيء لا يمنعه العقل والمنطق. ثم قال : نريد أن نعرف نشاطك داخل المجموعة التي خلقت، مجموعة السادة عبد القادر التورنور وأحمد بن البشير بعد اعتقالهم في أوائل أبريل 1954 ؟ فأجبت : من باب الاحتياط وقبل اعتقالهم على إثر العمليات الفدائية البطولية للمقاومة الشورية، وأمام نجاح إضراب 30 مارس 1954 التي دعت إليه منظمتنا وشارك فيه مجموعات وخلايا كل حي، فتم تعيين خليفة للإشراف والتنسيق بين باقي الخلايا (في كل من المدينة القديمة والجديدة وابن مسيك والحي المحمدي ودرب الجديد وفيرار وباشكو والبلدية والهجاجمة ودرب غلف وكريان زرابة وطيط مليل وسيدي عبد الله بن الحاج وأولاد جرار، وغيرهم من الأحياء الأساسية) فانحصر عملي ونشاطي في تنسيق الأعمال بين هذه الخلايا والجماعات وتقديم السلاح

والرجال والمال لمختلف المنظمات الفدائية، كأسود التحرير (علي بن سعيد)، وجيش التطهير (عبد الله بن الجيلالي) وأبطال الانتقام (عبد الله انبولانجي)، وصوت النار (الحسن البلوش ــ الخصاصي ــ و جبيلو) وسيف الله (محمد بن سالم وشقيقته) واليد السوداء (عبد الله المخنّث وزوجته الغظفة).

وكذلك إيواء المتابعين والمتورطين، ومساعدة أسر المسجونين والمبعدين، وتموين السجناء في القنيطرة والرباط والعادر وعلي مومن والولجة وسيدي العربي.

ومن جهة أخرى الاتصال مع محامي المعتقلين، وأعضاء جمعية الضمير الفرنسي والصحافة الدولية و...

ــ فقاطعني بعنف قائلا :

كفى هذا الكلام سمعناه بالأمس من محمد بن اسماعيل، وعلى ما أظن من الكانوني كذلك، نريد أن نعرف أكثر، اغتيال الزيراوي والروداني؟

ــ فقلت : أرجوكم أن تراجعوا جواز سفري المحجوز لديكم، فستقتنعون وتتأكدون أني كنت بغرناطة أثناء وقوع الاغتيالين. وأني لم أشارك في هذه العمليات لا من قريب ولا من بعيد.

ــ وماذا عن محمد بن اسماعيل ؟

ــ **محمد بن اسماعيل** من رجال المقاومة الشورية، عرفته في أوائل 1953 بالمدينة الجديدة داخل صفوف الحزب عن طريق السيد عبد الله ابن الجيلالي. محمد بن اسماعيل من الرجال الذين كرسوا حياتهم للعمل من أجل المقاومة ضد الاستعمار في صمت، وبعيداً عن الأهواء والضجيج، هو أحد مؤسسي حركة المقاومة الشورية وأحد وجوهها

البارزة، كما مدّ يد المساعدة إلى منظمات أخرى يختلف معها في الآراء والأفكار. شارك معنا في كل عمل قمنا به جماعة، ونفذ كل مهمة كُلف بها بأمانة وصدق، أعطى أكثر مما أخذ، إخلاصه لمبادئه ووطنه وملكه فوق كل اعتبار، لا غبار على مواقفه الوطنية والأخلاقية.

فأجاب بسخرية : الأخ خطيب ممتاز... فوجه كلامه إلى أحد الجلادين : الضرب والماء حتى يفقد وعيه أو يموت.

فقادوني من جديد إلى غرفة التعذيب التي أصبحت جزءاً مني، أدخلها كأنني داخل إلى بيتي، علقت وجلدت، وأعادوا علي نفس الأسئلة فجوابي لم يتغير... فيعيدوني إلى الضرب والماء...

ــ في أي مكان سلم إليك بن اسماعيل المسدس نوع 6،35 ؟

ــ بطنجة .

ــ من كان حاضراً معكم ؟ وكم كان عدد الرصاص مع المسدس ؟

سبق أن قلت إنني تسلمت المسدس من لدن السيد محمد بن اسماعيل بفندق وزان، وفي البيت الذي كنت مقيما فيه، وكلّفني بأن أسلمه إلى (صهر السيد علي بن سعيد من منظمة أسود التحرير) السيد أحمد و50 رصاصة معه ــ وكان الرّد جماعي. هناك 47 رصاصة، أين 3 رصاصات الأخرى... ؟

ــ قلت الله أعلم.

ــ قالوا : إنّك في اشتياق مرة أخرى إلى الضرب والماء.

فطلبت المواجهة مع محمد بن اسماعيل... فجاءوا به وهو لا يقوى على المشي من جراء ما تبرّع عليه الطغاة الظالمون بسخاء في الوحشية والقسوة. فوجهوا إليه السؤال التالي :

ــ كم عدد المسدسات والذخيرة التي سلمتها لعبد الله الرداد ؟

ــ اضطرب وارتبك... وقال : لا تلمني، لم أعد أحتمل ولا أطيق تعذيبهم، فانقض عليه أحد الوحوش بلكمة قوية سقط وهو يتلوى من عنف قوة اللكمة، فتوجهوا بنا معاً إلى غرفة التعذيب والسياط تلفح أجسامنا شبه العارية. ولم أعد أتذكر كم ساعة قضيناها تحت العذاب الذي استمر لا محالة هذه المرة مدة امتدت أكثر من المرات السابقة والدماء تنزف من أجسامنا.

فأعادونا إلى الدهليز ورمونا وسط إخواننا، ونحن في حالة غيبوبة لا أعلم كم مدّة من الزمن ونحن على الأرض تائهون شاردون، نضرب أخماساً في أسداس على ما حلّ بنا... ومن أين أتى هذا الشيطان الحزبي الذي يحاول أن يقضي على أجسامنا دفعة واحدة ؟ فتذكرت قول الشاعر :

يشتكي الشعب والقضاة خصوم فلمن يشتكي خصوم القضاة

وكنت أتساءل أمام هذه المآسي المتعددة المضحكة المبكية ! عسى أن أهتدي إلى فهم موقفهم ! وماذا يريد القوم الذين يسعون بكل الوسائل لفرض ديكتاتورية تجعل منهم أوصياء جدداً على الشعب المغربي الذي تخلص بعد كفاح مرير وشاق من حجر الوصاية الفرنسية ؟ كنت أعرف أن الشعب المغربي سيرفض تصوراتهم الخيالية كما رفضها بالأمس ضد فرنسا وحاربها دون هوادة حينما كان البطل من هؤلاء القادة والزعماء الجدد تحت الإقامة الإجبارية التي يتمتع فيها ببعض الامتيازات كسياسي،

أو من كانوا يكافحون في الفنادق الفخمة وكبريهات ألف ليلة وليلة بالخارج ليلاً، ويطلقون التصريحات الكلامية التي لا تجدي أي نفع، أو من أولئك الذين كانوا مختفين عن الأنظار في متاجر طريق مديونة، وبمجرد ما انفرجت الأزمة جاء الجميع يلهتون ويتسابقون للحصول على الغنائم والوزيعة !

أنواع من هذا البشر هم الذين صنعوا أحمد الطويل وأمثاله، والذي كان آلة في أيديهم، وهم الذين خلقوا ذلك الجو المتوتر وأشاعوا الفتنة والتفرقة بين الناس لضمان مصالحهم المادية التي قتلوا من أجلها المئات والعشرات من الأبرياء مقاومين وغير مقاومين، ليضمنوا السيطرة والهيمنة على مرافق الحياة كلها.

هذه خواطر شخصية دارت في ذهني ، ها أنا أسطرها على هذه الصفحات وأعود إلى غرف التعذيب والعذاب المقيم، وهذه المرة أمام عصابة أحمد الطويل. وهو في مقدمتهم يعيد السؤال ويكرره ـــ حول أربعة مسدسات لا مسدس واحد كما هي الحقيقة والواقع.

ـــ فأجيب : إنه مسدس واحد وهو عندكم وبمعرفة عامل المدينة السيد الحاج أحمد بركاش، كنت أحمله معي قصد حماية نفسي !

فيصرخ أحمد الطويل لزبانيته : كل ما تعرض له ليس كافياً، وهو منفعل ساخط، غدا الاعتراف بكل شيء موجود في أقوال بن اسماعيل، وإلا فادفنوه حيّاً، لن ينفعك هذا العناد، نهايتك قريبة جـدّاً، لقد اعترف كل من معك : ابن اسماعيل ـــ صالح الشرادي وحتى المكناسي الذي عرفت مصيره لا شك ستلتحق به إن لم تعترف في الحال !

ويعقب الحاج الأعور في صوت تمثيلي ! يا سي عبد الله ... أنت قريب من الموت، أنقذ نفسك، وإلا فأنت تعرف ما ينتظرك، سأتولى

التحقيق معك بنفسي، وسترى كيف سأجعلك تتكلم شئت أم أبيت؟!
كلهم اعترفوا ولا داعي للإنكار السخيف، والدلائل المادية قائمة ضدك ! السلاح بحوزتك... وشهود الإثبات كلهم رهن الاعتقال إلّا صديقك أحمد هرم في حالة فرار !

ووضعوني في عزلة تامة عن بقية المعتقلين في زنزانة، وبدأت مرحلة جديدة من العذاب النفسي، ينادون على كل صباح ويتركونني أمام مكاتبهم طيلة النهار، ودامت هذه الحالة ثلاثة أيام متوالية... ففطنت لهدفهم. فقلت في نفسي الصبر، الصمود، هذا إمعان منهم في الإرهاب والتخويف ؟ هل أتظاهر بالخوف لأرضي غرورهم ؟ أم لا ؟

وذات مساء، عند غروب الشمس سمعت ضجيجاً وضوضاء وهم ينزلون عندنا إلى الدهليز، فطلبوا محمد بن اسماعيل وامبارك القصري والحاج أحمد بن الحسن السوسي، وأخذوهم جميعاً إلى حي أكدال بالرباط حيث يسكن المهدي بنبركة، وبعد اطلاعه على ملفاتهم أوصاهم بهم خيراً : تخصيص ضيافة ممتازة يعني أقسى أنواع العذاب والتنكيل في قاموسهم الإجرامي !

ولدى وصولهم إلى العرائش، وبالضبط قرب الطريق المؤدية إلى تطوان، قصد الاستراحة وتناول الغذاء. وحينما أنهوا أكلهم وشرابهم أخذوا بقايا من الضلع وصاروا يمررونها على أفواه المعتقلين نكاية بهم وهم في حالة عطش شديد، والفصل صيف، ثم أطلقوا الرصاص على مبارك القصري فقضى نحبه، حاملا ودافنا معه أسراراً خطيرة لا شك أنها دانت وتدين أولئك الجبناء الذين أصدروا حكم الإعدام في حقه، وهو قائد من قواد المقاومة وجيش التحرير، نسأل الله له المغفرة والرضوان.

واستأنف القتلة طريقهم مولين وجهتهم صوب معتقل **دار بريشة** الرهيب حيث سلموا المعتقلين محمد بن اسماعيل والحاج أحمد بن الحسن السوسي، رحمهما الله، ليأخذوا ما لذ وطاب من التعذيب والتنكيل طيلة أيام وأسابيع متوالية.

ولقد تعرض السيد محمد بن اسماعيل للتعذيب على الشكل الآتي : أمر بجرّ (بروبطة) بدون عجلات مليئة بالأحجار وهو حافي القدمين والأرض مفروشة بالحصى الصغير الحاد (الزندي) والسوط يلهب جسمه وهو مأمور بالجري حاملاً كل تلك الأثقال كأنه بهيمة سيئة الحظ. أما الحاج أحمد بن الحسن السوسي فكانت تباشر عليه هو الآخر تجارب جديدة في ميدان التعذيب والقهر النفسي.

واستمرت أحوالهما على هذا المنوال أياماً وليالي سوداء حامت الموت حولهما مراراً وتكراراً، بل كانت قاب قوسين منهما. وشاهدا جثة بعض من أزهقت أرواحهم تحت التعذيب. وشاءت العناية الربانية أن يخرجا من معسكر الموت النازي «للحزب العتيد»، بعد ما بغي عليهما الجلادون والقتلة، وصمدا وثبتا وأعيدا إلينا بالسجن المدني بالبيضاء في خريف 1956 حيث استقبلناهما بحفاوة كبيرة واعتبرا أنفسهما أنهما ولدا من جديد !

بدأت تلوح في الأفق بوادر وإرهاصات توحي بأن القوم يحاولون الخروج من ورطتهم. بتقديمنا إلى النيابة العامة، إلا أنهم ينتظرون أن تندمل الجراح، وخاصة قدمي اليسرى التي لا زالت آثار التعذيب ورواسبها واضحة وظاهرة عليها... ورغم مرور هذه السنين، فأنا دائماً مهدد بالنزيف الدموي... الذي عانيت منه مراراً... ويتم توقيفه بصعوبة

كبيرة... وأعتبره وساماً وذكرى حية قدمت لي من طرف «الحزب العتيد» !

كل صباح كان يأخذني الحاج بريك، مدة ثلاثة أيام، لعلاج قدمي حتى شعرت أني أستطيع المشي دون مساعدة، وعندما تأكدوا من ذلك قرروا إحالتي على النيابة ضمن الفوج المقبل، وكان فيه معي على ما أذكر ـ بريك ـ بريك الخياط ـ الإخوان رزقي ـ مجموعة محمد الرباطي ـ مجموعة المحمدية ـ وإخوان آخرون، بعد أن حرروا لنا محاضر من نوع (كوكوت منيت) بتهمة حيازة السلاح دون رخصة وتأسيس عصابة فساد، وأودعونا في السجن المدني، كما أشرت سابقاً، بعد مرورنا ومثولنا أمام السيد النائب العام الذي كان، كما أشرت سابقاً، ينتسب إلى «الحزب العتيد».

كان وصولنا إلى السجن يوم عيد حافلاً بالأفراح والمسرات، كنا سعداء بانتهاء كابوس التعذيب، وقضينا ذلك اليوم في تبادل النكات، والحديث عما جرى في الستيام من ويلات.. كنت أظن أننا سوف نعيش في أحزان الذكريات القريبة وألمها الشديد... وكم كان صداها يلف برؤوسنا وعقولنا... وكم كانت آثارها على ملابسنا الممزقة والجراح الغائرة وبقع الدم الحمراء... كانت الأيام التي أمضيناها في الستيام تطن في ذاكرتنا كأنها قرن كامل من الزمان...

وكان المكان جديداً غاية الجدة بهيا كل البهاء... وزاد من سرورنا وفرحنا وحبورنا الاستقبال والرعاية اللتان لقيناهما من أخينا البطل الحاج عمر الصقلي الذي كانت وضعيته وملفه من طراز مفبرك ومشحون بتهم متعددة، كأنه بوحمارة عصره ! ؟ وجريمته باختصار أنه رفض السير في صفوف «الحزب العتيد»!

وجاء الصباح سريعاً ومع خيوطه الأولى استيقظنا في نشاط يلفنا شعور عظيم بالطاقة والقوة اللامحدودة، كان الأمل يملأ نفوسنا بانتهاء العذاب... وتناولنا الأكل وانصرفنا في أحاديثنا مسترسلين في الكلام عن كل شيء... ظانين أن الأمر سيطول بهذا الهدوء إلى حد بعيد... وبدأت العائلات تقوم بزياراتنا... واستبشرنا خيراً بهذا... ومن حين لآخر يصل فوج من المعتقلين الذين تركناهم في جحيم الستيام، ومع وصول كل فوج كنا نقيم احتفالاً لنحمد لهم السلامة على الوصول والخروج من المصير المجهول ؟

وكم تضاعفت أفراحنا في اليوم الذي عاد فيه السادة محمد بن اسماعيل والحاج أحمد بن الحسن السوسي من معتقل **دار بريشة** اللعين بتطوان ؟ الذي يعتبر داخله ميتاً وخارجه مولوداً من جديد ؟ واعتبرناهما بظهورهما هذا ولدا من جديد ! قضينا ليلة كلها غناء ومرح احتفاء بعودتهما الينا سالمين.

وفي اليوم الذي توجهنا فيه إلى المحكمة قصد التحقيق الأولي، وقعت أحداث مؤلمة داخل السجن وبالضبط في الحي الذي كنا نقيم فيه. حيث فوجىء المعتقلون بعملية تفتيش داخل الزنزانات وهم خارجون في فناء الاستراحة، ونتج عن هذا اصطدام عنيف أصيب فيه بعض المعتقلين وبعض الحراس وخاصة الحارس (كرجة) الذي نقل إلى المستشفى في حالة خطيرة !

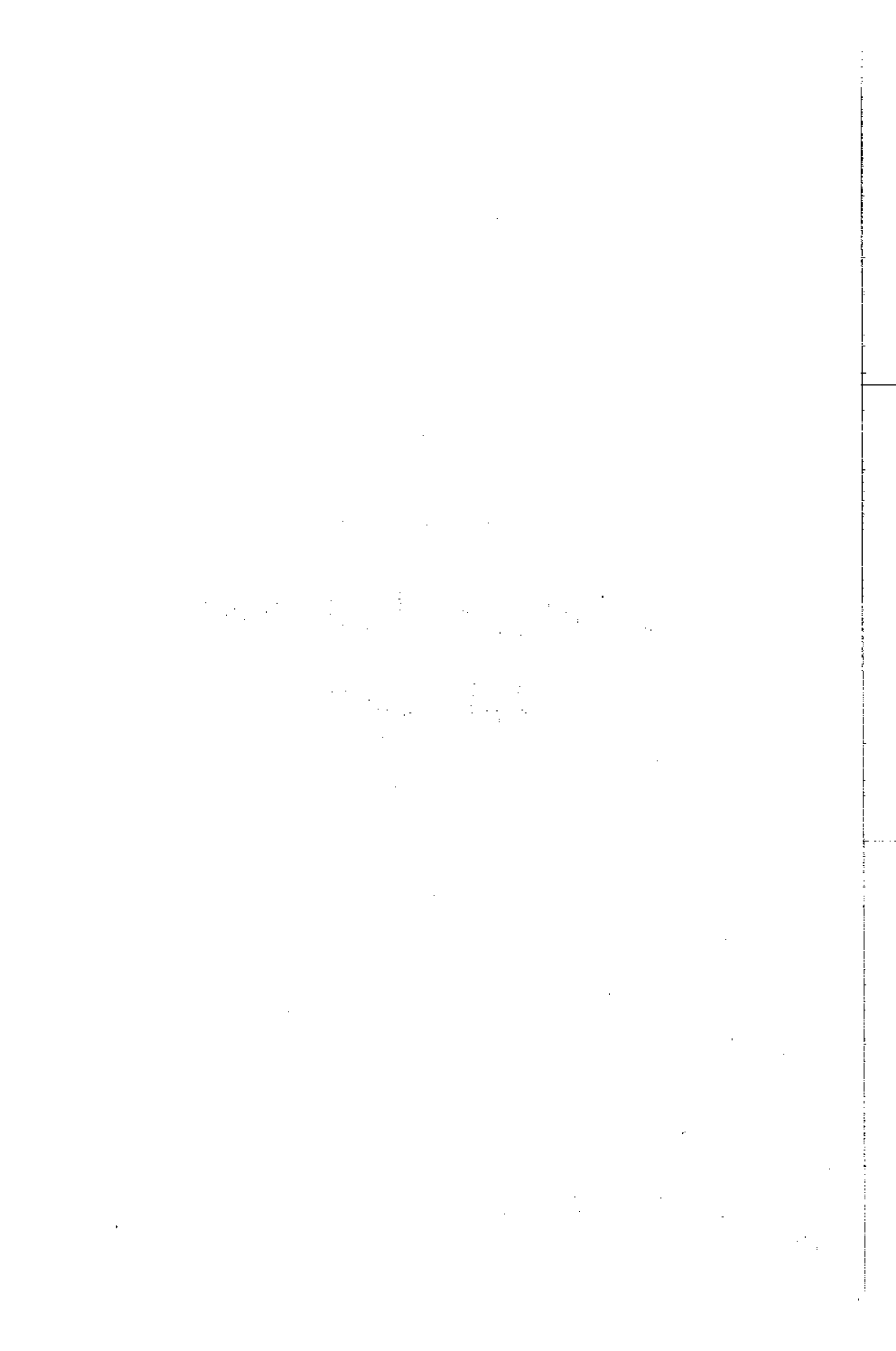
ولدى عودتنا من المحكمة فوجئنا بهذه الأحداث الخطيرة، والسجن كله في حالة حرب... الأبواب في الحي الأروبي سواء المركزية أو أبواب الزنزانات كلها محطمة، والحراس ورجال الإدارة كلهم داخل مكاتب السجن ينتظرون التعليمات... وجل المعتقلين في حالة هستيريا يحلمون



الحاج أحمد معنينو عضو المكتب السياسي لحزب الشورى والاستقلال أمام المحكمة العسكرية بالدار البيضاء في 23 ماي 1953



الأمين العام محمد حسن الوزاني وأحمد بن سودة مع أبطال المقاومة من حي سيدي عثمان وابن مسيك،
الوقوف : علي السعيدي، عبد الكبير، الهروي، الميلودي
الجلوس : عبد القادر الترنور، حجاج، حميد المكاوي



السجن المركزي بالقنيطرة

السجن المركزي الأسطوري عبارة عن سور كبير ومساحات شاسعة ممتدة بداخله بنايات وأجنحة ضخمة، وزنزانات لا تعد ولا تحصى... والمستشفى الذي لا يذهب له إلا الذين أوشكوا على الموت... أو الذين ماتوا فعلا... ثم البنايات الادارية... وأماكن التعذيب... ويوجد في داخل أسوار السجن المركزي مكان أنيق حيث يقيم جلاد السجن وأعوانه، والمعني بالأمر هو عبد الله الرباطي... الذي سيظل اسمه لاصقاً بتاريخ الارهاب والقتل والتعذيب !...

وقفنا في الساحة الكبيـرة ونحن نرسف في القيود الحديدية، والحراس يسوقوننا بالسياط سوقا... وأصوات السياط تمزق الهواء والأجساد... منظر غريب فريد... لم أكن أتصور وجوده إلا في كتب الأساطير... والأفلام السينمائية !...

وصلنا الى المكاتب الادارية منهوكين محطمين خائفين... وكانت دهشتنا وخوفنا أشد حين علمنا أننا سنمر من مرحلة التفتيش ومراجعة الأسماء مرة أخرى. أمرونا بجعل وجوهنا الى الحائط امتثالا للأوامر الصارمة... فما كان من أحد الحراس إلا أن وجه صفعة قوية الى السيد الذهبي رحمه الله، حتى سقط على الأرض... ثم تليت قائمة بأسماء بعض الاخوان لأخذهم الى أماكن التعذيب لدى عبد اللـه الرباطي وأعوانه، ثم وضعهم في (الكاشوات) وكان في رأس هذه القائمة السـادة : الحاج عمر الصقلي ـــ الاخوان المكناسي المحجوب ومحمد ـــ محمد بنجعة المعروف بالزياني ـــ محمد قنبول ـــ عبد الرحمن الشعبي ـــ بوقال

محمد ـــ صالح الشرادي ـــ مصطفى السربوتي ـــ مصطفى رزقي، وغيرهم من الاخوان الذين لا أتذكر أسمائهم، وزعوا الذين لم ترد أسماؤهم في القائمة السوداء على الزنزانات في مختلف الأجنحة. وكنت من بين الاخوان الذين سيقوا الى الجناح الخاص بالمحكوم عليهم بالاعدام، وكان معي في الزنزانة كل من السادة ابراهيم الفاخري وشوقي، وبجواري كل من بريك الخياط ومصطفى السكليس وعبد القادر جعفر رحمه الله، وأمامي حسن الدكالي ومحمد الرباطي وعلي السوسي.

انتهى الاستقبال الكبير بعد ساعتين ونصف... بالاجراءات التي ذكرت وكلها اجراءات انتقامية تفوق في الكم ضراوة ووحشية ما أخذناه عند البوابة الرئيسية. وبعد أن جردنا من أمتعتنا ونقودنا والساعات التي كانت في أيدينا وبعض الملابس التي كانت تروق لهم، أودعونا الزنزانة المذكورة آنفا.

قضينا الليلة الأولى كيف قدر الله، ليس هناك داع لأن أقول إن أحدا منا لم يذق طعم النوم في هذه الليلة... وربما في ليال أخرى أتت في أعقابها... وكانت الآلام التي واجهناها وعايشناها تشغلنا قليلا عن التفكير في التحقيق الذي قد يدعى اليه أحدنا في أية لحظة من اللحظات...

وطلع نهار اليوم الأول واستوت الشمس ودبت الحركة في الآلة الرهيبة. كنت أشعر أنني تحت كابوس مزعج لا أتحمل التفكير فيما يدور حولي... لم يكن هناك سبب يبرر كل تلك الآلام... ولم أتصور الشكل الذي ينتهي اليه هذا الحلم المزعج... وكنت أحسب ألف حساب لكل لحظة قادمة... كانت الطاحونة التي تطحنني كل لحظة أقوى من طاقتي كإنسان محدود الطاقات، ولم يكن أمامي في مواجهة هذه الأحداث غير

الاستسلام الكامل لقضاء الله وقدرته. وشيئا فشئا أصبحت أبعد التذمر عن نفسي وأتذكر قول الله عز وجل. «**من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه**» الى آخر الآية. صدق الله العظيم. وأدعو من قلبي أن أكون منهم وأن أتحمل هذه الصدمة القاسية دون اعتراض أو احتجاج لاسيما حينما أتذكر الشهيد المكناسي والاخوان المفقودين الذين هم معي هنا في هذا السجن في الكاشوات.

وجاءنا حارس يزف الينا نبأ الذهاب الى الحمام، وفرحنا لسماع هذا النبأ وذلك لإزالة ما تراكم على أجسامنا من أوساخ وقاذورات ولم تتم الفرحة... ذهبنا إلى الحمام... وتعمدوا أن يأخذونا الى حمام السجن الكائن تحت الأرض قصد إرهابنا وتخويفنا والسياط على ظهورنا ووجوهنا ورؤوسنا... وجردونا من كل الملابس بما فيها الداخلية... ومن بين المعتقلين هناك الأب والابن... كالسيد الفاطمي وابنه، واليهودي جاك أوحيون ووالده... والجميع عراة محرجون مجبرون على ذلك... والجلادون يضحكون ويقهقهون...

وعدنا الى الزنزانات كما جئنا بالسوط يلهب أجسامنا ونحن نهرول كالفئران المذعورة... والحراس كالوحوش المسعورة تعوي في الفضاء الخانق عبر ساحة السجن الكبير.

وبعد الزوال كانت المفاجئة الثانية وهي الحلاقة ويا لها من ساعة نحس !... ووقفنا في طابور في انتظار بدء عملية الحلاقة... واختاروا واحداً منا هو المرحوم ابراهيم الفاخري وكان ملتحياً !... وجلس صاغرا بين يديه كالمغشي عليه من الموت... وختموا معه الحلاقة بضربة قوية بمكينة الحلاقة على رأسه فتناثر الدم وسقط مغشيا عليه... مع العلم أنه رجل جاوز السبعين... أسأل الله أن يرحمه ويغفر له ما تقدم وما تأخر...

ليكن... نكتفي بهذا في موضوع الهلال... وهل لا تعرف أين يختفي أحمد هرم ؟

تعرفون أنني سلمت نفسي وتم اعتقالي بمجرد ما عدت من السفر... ولا يمكن لي أن أكون على علم بهذا...

طيب... والأستاذ محمد البقالي من طنجة... ؟

نعم أعرفه لأنني كنت تلميذه بمدرسة الأستاذ محمد الضرباني رحمه الله... وداخل الحزب كانت تجمعنا اجتماعات المجالس الوطنية. أو حينما أزور طنجة... نلتقي في مكتب الفرع هناك... لا غير...

ــ لم يكلفك ولو مرة واحدة بتسليم تقارير إلى الأمين العام بالنيابة الأستاذ عبد القادر بن جلون، وأخرى إلى الأستاذ أحمد بنسودة ؟

قلت. الأستاذ البقالي كثير التردد على الرباط والبيضاء... يجوز أن يسلمهم تقارير عن النشاط الحزبي مباشرة دون حاجة إلـيّ.

قال : هل أنت متأكد مما تقول...؟

واستمر التحقيق قرابة الشطر الثاني كله من الليل... والحقيقة أن الرجلين لم يمدا أيديهما إلـيّ أثناءه، ولكنهما تجاهلا أقوالي ولم يقتنعا بها رغم أنهما دوناها في المحضر، ولما أردت أن أثبت بعض الإصابات التي في جسدي بمحضر التحقيق وخاصة في قدمي المنتفختين. قالا لي. صدقنا لا أهمية لشيء من هذا بالمرة... وأردفا على مسمع ومرأى من مدير السجن : سوف يجر عليك هذا الكثير من المتاعب، ولن يفيدك أدنى فائدة.

وانصرفت راضياً سعيداً مع أحد الحراس إلى الزنزانة، وقلت ربما سنقدم إلى المحاكمات الصورية قريباً وتدريجياً، ليتخلص «الحـزب العتيد»

من ورطته. والتف الاخوان حولي إبراهيم وشوقي يسألاني ماذا حدث؟ ماذا قالوا؟ وماذا قلت لهم؟ وكان المرحوم إبراهيم الفاخري مشهوراً بالنكتة فقال لي :

هل أخبروك بأن نجمع أمتعتنا، ونمشي إلى خيمتنا هذا الصباح إن شاء الله! فقلت مازحاً، بعدما تيقنت أنهم تركوا أساليب التعذيب جانباً معي شخصياً مؤقتاً. سيحضر رئيس الحكومة ليخلصنا جميعاً من هنا !

وصلتنا أخبار سيئة عن الإخوان الذين في الكاشو، لا سيما الحاج عمر الصقلي، ومحمد بنجعة الزياني، والمحجوب المكناسي، الذين يطحنون تحت رحى العذاب وهم يئنون تحت التعاسة والألم والشقاء، ونحن لا نختلف عن أوضاعهم كثيراً، امتيازنا عليهم هو عدم وجودنا في الكاشو، وعدم تعرضنا للضرب في كل وقت وحين. ومن جهة أخرى علمنا أن أحدهم وهو محمد ناجم السوسي أصيب بانهيار عصبي، لازمه مدة الاعتقال التي دامت أكثر من سنتين ثم أفرج عنه محطماً كئيباً.

العودة إلى السجن المدني بالبيضاء

ودون إشعار أو خبر سابق... فوجئنا في صباح يوم قبل الفجر بقليل، بالحارس يفتح الباب علينا ويأمرنا بجمع أمتعتنا قصد الرجوع إلى السجن المدني بالبيضاء في انتظار المحاكمة.

وفي جو من الإرهاب الشديد الذي تمثل في الركل والصفع والسب القبيح تم ترحيلنا، وفي قيود من حديد وضعوا كل اثنين منا معا. وكنا راكبين في شاحنة صغيرة وعددنا أربعة عشر محاطين بقوات كبيرة زيادة على الدراجات النارية التي كانت أمامنا وخلفنا...

وفي الساعة الثامنة صباحاً كنا داخل السجن المدني بالبيضاء الذي وجدنا فيه كل شيء قد تغير تقريباً.. وأصبح النظام الداخلي صارماً وقاسياً. وقد أخبرنا المدير أن النيابة العامة أعطته جميع الصلاحيات وبتفويض كتابي ليتصرف معنا كيف شاء.. دون الرجوع إلى أي من مراجع السلطة الإدارية أو القضائية. وكنا نرى أنه أضحى أداة في يد «الحزب العتيد» ليغطي أعماله وأعمالهم بثوب قانوني مهلهل !

أعادونا إلى الحي الأروبي الذي كنا نقيم فيه قبل انتقالنا إلى السجن المركزي، وجمعونا في زنزانة واحدة متسعة نسبياً تتسع لعشرين شخصاً على الأكثر، وقضينا الأسبوع الأول كأننا في إجازة بفندق ممتاز.. وشعر البعض منا بنوع من الفرح والإحساس بالفرج. وأننا على وشك استعادة حريتنا.

وكانت تمر بنا لحظات حزينة حينما نتذكر المائة أو يزيد من الإخوان الذين تركناهم بالقنيطرة. ولا ندري كيف أحوالهم؟ وخاصة أصحاب الكاشو. كانت تصلنا من حين لآخر إشاعات سيئة ومهولة عن أوضاعهم وما يلاقونه من تنكيل وتعذيب... ونشك في إدارة السجن. قد تكون هي صاحبة إطلاق الشائعات للتخويف والترهيب.. وفي لحظات أخرى ننسى الاعتقال والتعذيب في الستيام أو في السجن المركزي وكل شيء. وننطلق في أحاديث طويلة نتناول فيها كل المواضيع الجدية والتافهة، ونضحك على كثير مما مرَّ بنا من أحداث، لا سيما وأن من بين نزلاء زنزانتنا المرحومين بريك الخياط وإبراهيم الفاخري المعروفين بنوادرهما وفكاهتهما وطرافتهما، نعيش مجردين من أشياء أو متعلقات، كل واحد يواجه الآخرين بذاته فقط مجرداً من أي شيء. كان الأمر على هذه الصورة ببساطة تامة.

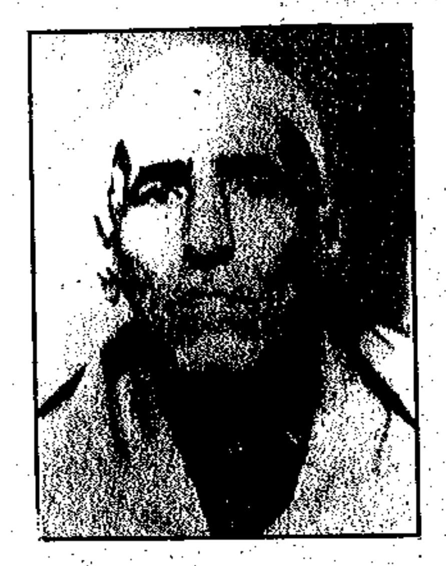


الأستاذ الحاج أحمد معنينو وعن يساره الأستاذ عبد الله الرداد يحيط بهما جماعة من الشوريين بالدار البيضاء : بوشعيب الحجار، ميلود اسماعيل، بوعزة الحريزي، محمد المذكوري، مصطفى الديواني، العربي التريكي، الصديق بن محمد، عبد الرحمن المسفيوي، حجاج بلفلاح، أحمد البوركي، عبد الرحمن شكيب

أعضاء من منظمات المقاومة التابعة لحزب الشورى والاستقلال بالجديدة والدار البيضاء



محمد بن اسماعيل



امريج عبد الله



فرحي الرداد بن أحمد

— 4 —

المحاكمة والحكم الأول القاسي

قبل محاكمتنا بأيام، كانت تزورنا وفود الأقسام للحزب، وإن أنس لا أنسى وفد ابن مسيك الذي كان يترأسه كل من الأخوين الحاج ادريس التدلاوي، والحاج حنجاج بلفلاح ــ أمد الله في عمرهما ــ. والأثر الذي خلفته هذه الزيارة في نفوسنا، والحماس الذي حضر به هذا الوفد، أعاد لنا الأمل والثقة. كما زارنا أعضاء المكتب المحلي يتقدمهم السيد عبد القادر التورنور والسيد الحاج التهامي رحمهما الله. ومعهما الحاج حمزة الأمين والسيد المحجوب العبدي أطال الله عمرهما، وزارني بصفة شخصية الأستاذ «جاك ميليا» وزوجته «آن ماري» وولدهما «جيل»، ولقد قامت هذه العائلة بالشيء الكثير من أجل الدفاع عن المقاومين الشوريين والهلاليين، وما زالت مقيمة ومستقرة بتقدير واحترام من جميع المغاربة، فلها مني كل امتنان وتقدير وتبجيل، وإلى كل أصدقاء المغرب الذين وقفوا في محنته وكفاحه من أجل حريته واستقلاله.

أستسمح القارىء الكريم عن هذا الاستطراد العابر الذي بدأت به هذا الفصل ونعود إلى المحاكمة السياسية الأولى التي دشن بها «الحزب العتيد» عهد الحرية والانعتاق. بعد أن أعلن عن افتتاح الجلسة، وبعد تلاوة صك الاتهام الذي كله تركيز على الفوضى والفوضويين وحيازة السلاح والتخريب والمخربين الشوريين والهلاليين، وقد كانت هذه هي الاصطلاحات الحزبية السائدة آنذاك والتهم الملفقة في قاموس القضاء الحزبي المغربي ! إلى غيرها من الاصطلاحات التي ما أنزل الله من سلطان.

جاء دور النائب العام الذي كان بعيداً كل البعد على تجسيد وترسيخ استقلال القضاء، بل كان مجرد بوق من أبواق «الحزب العتيد»، التي كانت مفروضة بالقوة في كل مكان قصد الهيمنة على مرافق الحياة

كلها، وتدخل باسم التحيز السافر واصفاً كل المعتقلين في سجون ومراكز التعذيب «للحزب العتيد» بالمخربين، وأعداء الأمة والوطن، طالباً من المحكمة إنزال أقسى العقوبات حتى يكونوا عبرة لغيرهم من المخربين !

مرافعة محامي المؤلف
أمام محكمة الدار البيضاء

وهنا تدخل الأستاذ جاك ميليا مستهلاً مرافعته التي لا زالت ترن في أذني وهي :

— سيدي الرئيس، أعضاء المحكمة الموقرة.

لم أكن أتصور أن يقف السيد عبد الله الرداد، أمام هذه المحكمة الموقرة بتهمة التخريب وحيازة السلاح بدون رخصة، وهو الشاب الذي أفنى شبابه في العمل من أجل وطنه غير مكترث بالأخطار التي كانت محيطة به. شارك في كل أنواع النضال، ثم قرر ابتداء من غشت 1953 أن يتحول إلى الكفاح المسلح مع رفاقه الأوفياء الذين تنبأوا قبل ذلك بهاته المرحلة، إذ كان السيد عبد الله الرداد تحت غطاء الدراسات الجامعية بفرنسا كطالب للغات الشرقية بمرسيليا «إيكس أن بروفانس» في خريف 1951، يقوم بتسريب الأسلحة إلى المغرب مع بعض البحارة والطلبة والرياضيين البارزين المحترفين. وعرفته أكثر حينما هرع ذات يوم إلى مكتبي صحبة السيد الأمين حمزة، وكلفوني بالدفاع عن أحمد بلبشير وعدي بن

سعيد وبريك أبو الهول، وكان ذلك يوم 20 أبريل 1954 بالضبط. وهكذا توطدت العلاقات بيننا وأصبح السيد عبد الله الرداد عضواً من أعضاء عائلتي الصغيرة، وبواسطته عرفت عدداً كبيراً من المقاومين في البيضاء والمحمدية الذين دافعت عنهم. وتحت غطاء كاتبي الخاص كنت آخذه معي إلى سجن القنيطرة مراراً لزيارة إخوانه بن البشير وبن بريك وعدي، الذين كانوا يقدرون فيه وفاءه وشجاعته ورعايته لشؤون المقاومة والمقاومين دون تهريج أو تمييز، وكان في منتهى التواضع والبساطة دائم الابتسامة في أحلك الظروف.

ولا أنسى حوادث وادي زم المجاهدة، حيث كلفت بالدفاع عن بعض المعتقلين الشوريين من عائلة المقاوم محمد بن بوشعيب وعائلة المزالي وعائلة باخوص رحال بن محمد البوشيخي، وترددت كثيراً في قبول تلك الملفات نظراً لأحوال الأمن المضطربة، فطلبت منه أن يصاحبني إلى وادي زم، فلم يتردد في القبول مضيفاً : بما أننا نناضل في خندق الحرية ومقاومة الظلم والجور فلنربط مصيرنا معاً بالممات والحياة. تأثرت كثيراً لتلك الكلمات النبيلة الصادرة من قلب مقاوم صادق مؤمن بقضية بلاده العادلة، وذهبنا واجتزنا جميع العراقيل التي واجهتنا وقمت بواجبي كمحامي تجاه موكليه كما قام بواجبه كمناضل ملتزم ومسؤول تجاه إخوانه المعتقلين.

ــ سيدي الرئيس،

لا أطيل عليكم كثيراً، شخصية عبد الله الرداد... شخصية متعددة الجوانب والأنشطة. فلكم إن أردتم أن تتأكدوا من ذلك، العودة إلى أرشيف السلطات الفرنسية، وسيتبين لكم بوضوح تام تلك الشخصية الفذة التي تجتمع فيها كل المفاهيم الانسانية المثالية، فيزداد

إعجابكم وتقديركم له. وقبل أن أختتم هذه المرافعة الوجيزة التي لا تفي حق ما قام به هذا الرجل من أعمال بطولية شئنا أم أبينا، أقول :

على إثر طلب العفو الذي تقدمت به شخصيّاً للسادة.

1 ـــ أحمد بن البشير.

2 ـــ عدي بن سعيد.

3 ـــ أبريك أبو الهول. الذين أصدرت المحكمة العسكرية الدائمة بالبيضاء يوم 5 مايو 1955 في حقهم الحكم بالإعدام، وكان الرفض من طرف السلطات الفرنسية بالجزائر، قضى تلك الليلة معي في المنزل في حالة غير عادية، وهذه أول مرة شاهدت فيها السيد عبد الله الرداد حزيناً شارد الذهن ولكنه لم يكن منفعلا مثلي ويائساً، كان صامداً وقال متحدياً حالته النفسية : اسمع يا أستاذ جاك، يجب أن نقوم بحملة واسعة وشاملة ابتداء من رئيس الجمهورية الفرنسية إلى أعضاء الجمعية الوطنية الفرنسية (البرلمانيين) مروراً بجمعية الضمير الفرنسي المغربية وشخصيات وطنية في الخارج كالأستاذ أحمد بنسودة والمرحوم الرئيس مبارك البكاي، وفي الداخل الأستاذ محمد بن عبد الله الشرقاوي والمرحوم الأستاذ محمد فاضل المؤقت والأستاذ مولاي علي العراقي.

وهكذا بدأنا خطتنا بأن رفعت مذكرة التماس العفو إلى رئيس الجمهورية عن طريق القضاء العادي، وقدم نسخة من نفس المذكرة إلى عدة برلمانيين فرنسيين، خاصة منهم ـــ فرانسوا ميتران ـــ وبدأ يتنقل بين البيضاء وباريس بكيفية مستمرة يتصل بالسيدين بنسودة والبكاي، وفي كل مرة من باب الاحتياط كل يغير طريقة السفر، مرة بالجو وأخرى بحراً وثالثة برّاً عن طريق إسبانيا. أما جمعية الضمير الفرنسي ومجموعة ماروك ـــ باريس، فكان هو المكلف بالتنسيق معها، وكان يتصل يومياً بأنطوان

مازيلا والكمندار سارتو وكريستيان داربور والدكتور دولاني، وغيرهم من الشخصيات التي كانت تعطف على القضية المغربية.

ـــ سيدي الرئيس،

أريد أن أحيطكم علماً بصفة رسمية كوكيل السيد عبد الله الرداد، أنني قابلت معالي الرئيس البكاي، رئيس الوزراء صحبة الاستاذ عبد القادر بنجلون وزير المالية والأمين العام بالنيابة لحزب الشورى والاستقلال، وأخبرته بكل ما تعرض له موكلي السيد عبد الله الرداد ورفاقه بمركز الستيام والسجن المركزي بالقنيطرة، والتمست منه أن يبلغ بكل أمانة ما سمع مني إلى جلالة الملك المعظم محمد الخامس، آملاً بتدخل الأعتاب الشريفة أن يوضع حد لتلك المذابح الرهيبة التي تجري في مركز الستيام ومختلف المراكز الأخرى المنتشرة في الوطن والتي أساءت وتسيء إلى سمعة المغرب التواق إلى الحرية والديمقراطية، وأترك الكلمة الأخيرة لعدالتكم وضمائركم لأن تصنفوا هذا البطل الكبير.

وبعد ذلك لخص الأستاذ محمد الشكوري مرافعته كالتالي :

ـــ سيدي الرئيس،

كلمة زميلي الأستاذ جاك ميليا، أظن أنها كانت كافية وجامعة لتقنع محكمتكم الموقرة بأن تخلي سبيل هذا الجندي الشجاع الذي هو من جنود محمد الخامس المخلصين، ولقد استمعنا إلى ترجمة شاب من خيرة شباب المغرب العزيز الذين أبلوا البلاء الحسن من أجل وطنهم. ويكفيني فخراً واعتزازاً أن أدافع عن بطل من أبطال المقاومة المغربية البارزين، جزاهم الله عنا خيراً، وهو متهم بتهم باطلة من لدن خصومه السياسيين الذين ينبغي أن يعودوا إلى رشدهم ووعيهم وينبذوا مفاهيم ومقاييس الحزبية العمياء التي إن استمرت على هذا المنوال الديكتاتوري ـــ لا سمح الله ـــ

فستسوق المغرب لا محالة إلى كارثة وخيمة العواقب، فأرجو أن يكون الحكم الصادر بعيداً عن الشهوات والأحقاد الحزبية، بل أن يكون مطابقاً للعدالة النزيهة حتى نشعر بحق أن عهد الظلم والطغيان ولّى إلى غير رجعة، الأحرى بنا أن نكرم وننصف أبطالنا جميعاً بقطع النظر عن انتماءاتهم وميولاتهم الحزبية. ونعتبر المقاومة شيئاً مقدساً فوق الأحزاب والأشخاص، لا قضية ووقفاً على جماعة دون أخرى، وتكون لها قداسة الملكية الدستورية التي هي رمز المغرب والمغاربة. ومرة أخرى حكّموا ضمائركم والسلام عليكم.

وبعد مداولة قصيرة، صدرت الأحكام التالية :

1 ــ الأنصاري عبد الله الرداد : سنتين سجناً نافذاً.
2 ــ مرسول بريك بن ميلود الخياط : سنتين سجناً نافذاً.
3 ــ علي السوس : سنة سجناً نافذة.
4 ــ محمد الرباطي : ستة أشهر نافذة.
5 ــ صالح الواقف الشرادي : سنة سجنا نافذة.
6 ــ حسن السرغيني : ستة أشهر مع إيقاف التنفيذ.

وبمجرد عودتنا إلى السجن، استأنفنا هذه الأحكام القاسية باستثناء حسن السرغيني الذي أطلق سراحه في المساء. وقد تزعم مبادرة الاستئناف الأخ بريك الخياط رحمه الله اجتناباً لنقلنا إلى سجن آخر كما كان يعتقد.

محكمة الاستيناف وما بعدها

بعد أسابيع، قدمنا مرة أخرى لنسمع أحكاما خفيفة وهي كالتالي :

1	ـــ الأنصاري عبد الله الرداد	أربعة أشهر مع ايقاف التنفيذ
2	ـــ مرسول بريك ميلود الخياط	ستة أشهر مع إيقاف التنفيذ
3	ـــ على السوسي	ستة أشهر سجنا نافذة
4	ـــ محمد الرباطي	ستة أشهر مع إيقاف التنفيذ
5	ـــ صالح الواقف الشرادي	ستة أشهر سجنا نافذة

ولدى عودتنا الى السجن المدني بالبيضاء ليلا قصد اتخاذ الاجراءات الادارية والقانونية ليتم الافراج عنا، وصلتنا أخبار بأن خروجنا من السجن ـــ خاصة أنا شخصيا وبريك الخياط ومحمد الرباطي ـــ ليسهل اغتيالنا، وأن في خطة الاعتيالات الجهنمية القضاء على كل من تسول له نفسه الاستمرار في الدفاع عن الاتجاه الديمقراطي ومقاومة الديكتاتورية وفكرة انتشار الدعوة الى الحزب الوحيد. غير أننا بدأنا نفكر جديا في رعب الطغاة المجرمين الذين أصبحوا يتوهمون أن هناك جناحا مسلحا داخل الحركتين الشورية والهلالية من داخل المعتقلات والسجون بهدف الانتقام لرجال الشورى والهلال الذين سقطوا بالعشرات والميئات، وبمختلف الطرق والأساليب الهمجية والوحشية !

تأكدت لنا معلومات بأن الجهازين الحزبي والبوليسي قدما تقارير الى قادة «الحزب العتيد» بأن يأخذوا الموضوع باهتمام بالغ للقضاء على

الشوريين والهلاليين مستعملين كل ما لديهم من إمكانات، وإلا فسينتهي كل ما خطط ويخطط له «الحزب العتيد»، لتحقيق الحلم الغالي والمنشود ــ الحزب الوحيد والاتجاه الوحيد ــ لأن الأفكار والمبادىء الشورية بمثابة قضاء شامل على سلطتهم وتسلطهم !

قررت النيابة العامة بعد أخذ ورد أن نبقى في السجن الى أجل غير مسمى. وأخذت الأنباء تحمل الينا اعتقال العشرات والمآت من الشوريين والهلاليين والمواطنين العاديين، لمجرد رفضهم حمل بطاقة «الحزب العتيد». وقد ملأوا سجون مدن المملكة الكبرى كالبيضاء والرباط ومراكش وفاس والقنيطرة ووجدة وبني ملال...

استنطاق وعذاب جديدان في السجن

ذات ليلة... فُتحت الزنزانة وأخذت على استعجال الى مكاتب إدارة السجن، فوجدت عصابة أحمد الطويل، وكدت أقع على الأرض من شدة الدهشة والخوف، لأني رأيت ذلك الوحش المخيف المامون الجلاد ضمنهم، الذي هو أكثر وحشية من وحوش الغاب ! إنه مع مجموعة أخرى أسطورة في التعذيب والقسوة ! كان يتصرف بلذة ونشوة غريبتين يضرب الشوريين والهلاليين بأعنف ما يمكن أن يتصوره العقل البشري، معتقدا أن قسوته في التعذيب سترد الصامدين من أجل مبادئهم عن إيمانهم !

سألني أحمد الطويل... في غطرسة كأنه مستحوذ على رقاب العباد بأصابعه الملطخة بدماء أبطال المغرب...

وفعلا تم لهم ما أرادوا، وما هي إلا لحظات حتى استجاب السيد المدير لرغبتهم وأتى الحراس بعمود حديدي وخشبتين وهراوي من مختلف الأحجام وبرميل مليىء بالماء وبكل ما تحتاجه غرفة عمليات التعذيب. وبدأت من جديد أنواع العذاب ــ السوط يلهب جسمي والمياه تعمل ما تشاء في رأسي. وتنهال السياط تسطر على قدمي وجسمي أفظع ما عرفته الجاهلية من قسوة ووحشية... ويتضاعف الجلد... ويزيد الألم... وقررت أن لا أستسلم أو أضعف أمام هؤلاء الوحوش المجرمين. تحملت... وتجلدت وأنا أضرع الى الله في سري لكي يمنحني القوة والإرادة من أجل الصمود والثبات.

ولما فاض الكأس، ولم يعد لي طاقة على الاحتمال، فقدت الوعي وأصبحت جثة هامدة على الأرض وهم يحاولون إعادتي الى الوعي وايقافي، دون جدوى... فكلما وقفت سقطت. فأخذوني الى مستشفى السجن وجسمي متورم شبيه بكرة منفوخة لا أقوى حتى على مجرد الأنين، وأسلمت أمري لله طامعا في رحمته وعفوه وفرجه.

لا أدري كم قضيت في مستشفى السجن، الأكيد أنه مر علي أكثر من أسبوع وأنا بين الموت والحياة... كنت سعيدا بهذه الحالة، بتغيير المكان... بعيدا عن التعذيب، فالتعذيب مجسد ظاهر في جسمي... ورغم أنني كنت في زنزانة في المستشفى... ولكن احساسي بأنني في مستشفى أدخل علي بعض الاطمئنان... وحمدت الله على هذا الوضع. بل تمنيت أن تمتد إقامتي هنا في هذا المستشفى فترة أخرى لتلتئم جراحي... ويخف فيها ألمي... وكم داعبني هذا الحلم الجميل ! ولكن... لم تدم هذه الأحلام الوردية كثيرا، وجاء الجلادون مرة أخرى وأعادوني الى واقعي المر الأليم !

– لماذا تستمر في موقفك العدائي لحزب الاستقلال ؟

– قلت. ليست لدي أية عداوة مع حزب الاستقلال، كل ما هناك أنني كبقية إخواني الشوريين والهلاليين ضد الديكتاتورية كيفما كانت.

– فقال. ما هي صلتك بالسادة أحمد بنسودة ومحمد بن عبد الله الشرقاوي ؟

– قلت بهدوء . إخوة في الوطنية والمبدإ.

– فقال بعجرفة متناهية. أخوة في أي شيء ؟

– فأعدت. أخوة في الوطنية والمبدأ.

– فقال. ما هي مكانة كل منهما في الحزب ؟

– قلت. أعضاء في المكتب السياسي، إضافة الى أنهما كما تعرفون ــ شخصيتان بارزتان في الساحة الوطنية والعربية والدولية. وقد قدما خدمات جليلة وكبيرة للمغرب.

– فقال. لم نحضر ليلا الى هذا المكان لنسمع هذه الخرافات !

ثم نزل عليّ المامون الوحش بلكمة قوية أفقدتني صوابي دقائق عديدة، ثم قال في تهكم بليد : إن صاحبنا يظن نفسه يتحدث في لجنة من لجان حزبه للدعاية.

فقال الطويل. تلزمنا بعض الحاجات لنعمل معه المتعين هذه الليلة.

فأجابه المامون. سنتصل بالمدير ليهيئوا لنا مكانا مجهزا لهذا الغرض.

وليلا مرة أخرى... أخذوني... ونفس الوجوه من المستشفى الى غرفة التعذيب، وما كاد السفاح المتغطرس أحمد الطويل يراني حتى نادى على المامون والمعطي وقال لهما :

استعدا جيدا، إما الاعتراف الكلي، أو الموت خنقا هذه الليلة.

– سألني. على معكم محمد بن اسماعيل وشقيق المكناسي وأبوقال في التخطيط الذي قمتم بوضعه داخل السجن للقيام باغتيالات ضد أعضاء اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال وضد مديري الأمن ؟

– فأجبت. إن كل هذا مجرد افتراء وكذب...

ارتسم في وجهه غضب واستدار الى المعطي الأشهب والمامون قائلا

علقوه... واجلدوه حتى تزهق روحه.

بقيت أكثر من ساعة وأنا تحت السياط حتى ملوا مني... وعافوني كما تعاف الوحوش فريستها... وأنزلوني من التعليقة... والدماء تنزف من قدمي... ولم أقو على الوقوف من جديد على قدمي، فهويت ساقطا... فأوقفوني على مقعد خشبي وأنا متكىء على الحائط وهم يسألوني ويستفسروني عن علاقاتي ببعض المقاومين، وخاصة منهم أحمد هرم ومصطفى حليمي المزابي وعبد الله البولانجي الذين أجبتهم عنهم بأجوبة وجيزة تظاهروا بالاقتناع بها. لكن لازالة التعتيم والنسيان والتناسي للذين يحاولون ولا يزالون ضرب جدار من الصمت على أولئك الرجال والمصائب المأساوية التي عرفوها، لا بد أن أعطي في عجالة بعض السطور على نهاية عبد الله البولانجي رحمه الله.

من هو عبد الله البولانجي ؟

السيد عبد الله البولانجي كان ــ رحمه الله ــ من قادة المقاومة البارزين الذين أبلوا البلاء الحسن من أجل العرش والوطن، وكان مسؤولا عن منظمة أبطال الانتقام، لمقاومة المستعمرين. وأستسمح القارىء العزيز على هذا الاستطراد الذي أرى أنه ضروري لأبين لك كيف تمت تصفية عبد الله البولانجي، بل كيف تم اختفاؤه الى أبد الآبدين، وما هي الأسباب في ذلك ؟

على إثر اعلان استقلال المغرب، وصل وفد مصري رسمي لتقديم التهاني على رأسه وزير الأوقاف السيد حسن الباقوري، وضمنه المذيع الثائر الشهير أحمد سعيد صاحب ــ صوت العرب ــ ولقد اتصل هذا الأخير ومعه بعض الضباط من الجيش ببعض منظمات المقاومة، وجرت محادثات مع رجال المقاومة حول أنشطتهم وأسلحتهم، والطريقة التي كانت تصنع بها القنابل المحلية ؟

كان من بين الحاضرين المرحوم السيد عبد الله البولانجي الذي تولى شرح وتوضيح كل شيء بتدقيق وتفصيل العارف الخبير، وأعطى البيانات المستفيضة للسيد أحمد سعيد الذي سأل أحد الخبراء المصريين العسكريين عن رأيه ؟ فكان جوابه بما يلي :

إن هذه المعلومات والمؤهلات الفطرية العالية لا يتوفر عليها إلا من كان منخرطا في سلك المدارس العسكرية الحربية ــ برأي ذلك الخبير ــ الذي كان في الواقع حكما بالإعدام على السيد عبد الله البولانجي الذي اختفى في تلك الليلة وأدرج في لائحة الموتى في ظروف غامضة (الصيغة التقليدية والتبريرية لزعماء مقاومة 1956) إذ أن الذين نصبوا أنفسهم

قادة للمقاومة لم يستطيعوا أن يجيبوا تلك الأجوبة، وضابط صغير أو جندي عادي إن شئنا كان على إلمام ومعرفة بجميع أنواع الأسلحة، فخشوا الفضيحة على أنفسهم وأسيادهم فقرروا إقصاء وتصفية كل من حاول أن ينافسهم على ريادة أو قيادة المقاومة، وهكذا يمكن لهم بكل سهولة تنفيذ مخططاتهم القريبة والبعيدة بعد ما خلا لهم الجو وهم ينفذون الفصل ما قبل الأخير من ذلك المخطط، ويتصرفون كيف شاءوا، ولا زال الأحياء منهم يستغلون الظروف السياسية المغربية التي فرضت على الجميع التقيد بقضية الاجماع الوطني (مظهرا) وهم تحت هذا الشعار ينتقمون من ضحاياهم مرة أخرى الذين كتبت لهم النجاة من التصفية الجسدية، لتكون التصفية أدبية معنوية دائمة ! وأعني بها تشطيبهم وحرمانهم من شرف انتمائهم إلى اسرة المقاومة !

عودة الى مستشفى السجن

وأمام تدهور أحوالي الصحية من جراء التنكيل والتعذيب المتلاحق، ساءت حالتي العامة، وأخذوني الى مستشفى السجن في حراسة شديدة من الجلادين والحراس، وكانت رجلاي تجريان دما وصديدا... وأورام منتشرة في كل مكان... ومكثت هناك أياماً لا أدري كم عددها بسبب الغيبوبة التي كانت تأخذني من حين لآخر حتى قضى الله أمرا كان مفعولا. وعدت الى الزنزانة مع إخواني في ترقب الأحداث وانتظار مصيرنا المظلم المجهول، الذي عقّدته مطالب «الحزب العتيد» ! منها السعي الى الحصول على حكومة «منسجمة» وذلك لتنفيذ برنامج السيطرة والهيمنة وفرض فكرة الحزب الوحيد كأمر واقع !

وكم كنت ساذجا حينما اعتقدت أنه بمحاكمتنا الأولى والثانية في الاستيناف انتهت متاعبنا، ولكني فوجئت بمجموعة أحمد الطويل تلاحقني في السجن، وتستأنف تعذيبي في كل ليلة. لقد عرفت كل درجات التعذيب... من الجلد بالسوط... الى الماء... الكهرباء... والتعليق كالذبائح في مركز الستيام، وحتى في السجن أصبحت لهم غرف العمليات للتعذيب لتتم فصول المسرحية... ويعاقب الأبرياء المظلومون في فجر الحرية وظل السيادة والقانون الذي حولوه الى مجرد نصوص مجمدة...

ومن سخرية الأقدار أن ضمن الجلادين كل من دافع ورافع عن راية الاستعمار، وتحول بقدرة قادر الى مناضل غيور في صفوف «الحزب العتيد»، يعذب أبطال المقاومة المغربية عسى أن يشفع له عمله هذا ليشطب اسمه نهائيا من قائمة الخيانة لأنهم كانوا يوزعون بطاقات الخيانة والاخلاص حسب العرض والطلب كما يقول الاقتصاديون، وجاءت الأحوال السياسية بتطورات خطيرة على صعيد المغرب العربي والدولي، وذلك باختطاف طائرة الزعماء الجزائريين الخمسة، وعقّدت أوضاعنا في السجن أكثر.



جماعة من الشوريين بمنزل حميد المكاوي : عبد السلام بنسعيد، محمد حجي العموري، أحمد بالبشير، حجاج بالفلاح، الامين حمزة، محمد الرباطي



مجموعة من المناضلين بالبيضاء تحيط بالشخصية المثالية في الكفاح الوطني الحاج عبد القادر العلج رحمه الله، وهم السادة الحاج أحمد العسري، الحاج محمد العلج ولده، المختار سامي، بلفلاح حجاج، عبد الله الرداد الأنصاري، الطايع عبد الله بن الجيلالي

— 5 —

المحاكمة الكبرى
لعبد الرحمن بناجح وأصدقائه
بالبيضاء

من هو عبد الرحمن بناجح ؟

لا أبالغ إذا قلت إن شخصية عبد الرحمن بناجح نفسها جسدت الوطنية الصادقة والمقاومة المثلى، وهو من النوع الذي يعمل في الظل دون تبجح ويكره الأضواء والضجيج.

نحن أبناء حي واحد جمعتنا أشياء كثيرة، وكان من ضمن الإخوان الذين كنت أتراسل معهم من باريس ويعرفون كل تحركاتي ابتداء من سنة 1951 الى أواخر 1959.

ان هذا الرجل يعرفه كل الناس في المغرب سواء في الأوساط الشورية أو غيرها من الاتجاهات السياسية الأخرى، وبالاجماع يعلمون ما قام به في ميدان الدعوة الوطنية ضد الاستعمار، وما أنجزه من أعمال جليلة تمت بهدوء وسكينة، واعتقلته السلطات الفرنسية مراراً وتكراراً، وعرف تقريبا كل سجون المملكة، قضى مدة سنة 1952 (أو 1953 على ما أظن) بسجن العلو بالرباط ثم انتقل الى سجن حيث زرته مرارا هناك.

كان شعلة وهاجة لا يفتر عن التوجيه والارشاد ونشر الوعي الوطني والسياسي، هاجرا كل شيء من أهل وأصدقاء في سبيل إعلاء كلمة الوطن، وكان ضمن الوفد الشوري البيضاوي الذي تشرف بمقابلة صاحب الجلالة محمد الخامس بسان جرمان أن لي بفرنسا، وكان الوفد يتركب من المرحوم السيد عبد القادر التورنور وكاتب هذه السطور عبد الله الرداد، وعبد الرحمن بناجح.

وأسندت إليه مهمة لجنة البوادي التي أشرف عليها بكفاءة عالية، واكتسح أولا الشاوية ودكالة مما دفع أطر حزب الاستقلال، ووزارة الداخلية الى محاربته ومضايقته بكل الوسائل المشروعة وغير المشروعة، واستمر بناجح في كسب الأنصار والمؤيدين للحركة الشورية الديمقراطية، وقرر حزب الاستقلال أن يتصدى له ولكل الذين يتعاونون معه.

وبأمر من وزير الداخلية قام قائد أولاد سعيد باعتقاله مع مجموعة من رفاقه السادة.

1 ــ عمارة بن الجيلالي بن محمد

2 ــ المكي بن الحاج محمد بن عزوز

3 ــ محمد بن أحمد بن سعيد

4 ــ عبد السلام بن سعيد بن عبد السلام

5 ــ قاسم بن سعيد بن علي

6 ــ الجيلالي بن احمامو بن محمد

7 ــ على بن محمد بن الهاشمي

8 ــ الكبير بن الجيلالي

وبعدما تعرض الجميع لأنواع التعذيب والتنكيل والاهانات، قرر القائد أن يحكم عليهم بمقتضى الفصل 122 من القانون الجنائي بدون مرافعة ولا دفاع، وهكذا أصدر حكما بسنتين سجنا نافذة على كل من عمارة بن الجيلالي ومحمد بن أحمد بن سعيد والباقون سنة واحدة لكل واحد وستة أشهر لعبد السلام بن سعيد.

وقد أحيلوا في يناير 1958 على محكمة البيضاء حيث جرت محاكمتهم في جو متوتر بعدما جندت وزارة الداخلية كل القوات الموجودة بالبيضاء وحاصرت الطرق المؤدية الى المحكمة، ولم تسمح بالمرور الا لمن

يقدم ما يثبت هويته الشخصية حتى ولو كان من سكان حي الأحباس بالمدينة.

وكان مكلفا بالدفاع عن المتهمين الأساتذة عبد القادر بنجلون والمرحوم محمد الجناتي.

ولقد حضرت جماهير كثيرة هذه المحاكمة سواء داخل المحكمة أو خارجها كما حضر بعض أعضاء المكتب السياسي قصد الادلاء بشهادتهم لصالح بناجح وقد كنت مستدعى من بين الشهود في نفس الموضوع مع المرحوم السيد عبد القادر التورنور وأحمد العسري الكاتب العام بالنيابة للمكتب المحلي بالبيضاء.

كانت فرصة سانحة ومناسبة ثمينة عرف الرأي العام المغربي منهما حقيقة ممارسة حزب الاستقلال القمعية والاضطهاد المسلط على الشوريين من أجهزة الشرطة والداخلية، ولقد بين هذا في تدخلاته ومرافعته الأستاذ عبد القادر بنجلون وفضح المذابح والمجازر التي تعرض لها الشوريون والهلاليون في مختلف مراكز التعذيب وأشار الى بعض الذين قتلوا في منازلهم كمحمد بن بوشعيب بن العربي الخياطي الذي ثم ذبحه على يد عصابة مكونة من سبعة أشخاص تنتمي الى حزب الاستقلال. ووفاة المكناسي تحت التعذيب بمركز الستيام، وبوعزة رشد من الهلال الأسود الذي فاضت روحه على يد الجلادين بنفس المركز، ومصطفى حيلمي وكرنفال وغيرهم من رجال الهلال، وعشرات بل المئات من ضحايا جبروت «الحزب العتيد».

ولقد عالج الاستاذ بنجلون مفهوم الحرية والديمقراطية بأسلوب بديع في مرافعته التاريخية التي كانت درسا مفيدا لأعداء الديمقراطية ولقد أشاد بمواقف السيد عبد الرحمن بناجح سواء في عهد الاستعمار أو في

عهد الاستقلال. ويكفيه فخرا واعتزازا هذه الهزة الكبرى التي عمت البيضاء لمحاكمته وجعلتها تتابع جميع مراحل المحاكمة.

لذا ألتمس من المحكمة ــ يقول الأستاذ بنجلون ــ خدمة للعدل والعدالة بل وخدمة للمغرب ولتصفية وتنظيف الجو السياسي الذي لا تزيده المواقف المتشددة والمتطرفة الا استفحالا، وبهذا سيختفي جو الرعب والخوف الذي لا زال يسيطر على البلاد، وقد مر على اعلان الاستقلال سنتان، أن تصدروا حكما ببراءة هؤلاء الناس جميعا الذين لا ذنب لهم سوى أنهم ينتمون لحزب الشورى والاستقلال، وإن كان الانتماء السياسي في هذا الوطن العزيز يعتبر جريمة فسلام على الدنيا وألف سلام.

كان يسعى حزب الاستقلال من وراء هذه المحاكمات والاعتقالات الى خلق جو من الذعر والخوف وسط الأطر الشورية، ولكن الحركة الشورية كانت في الحقيقة محظوظة بوجود عناصر من هذا النوع كفوءة وملتزمة ومستعدة للتضحية بدون حدود، وتنتمي الى مختلف الشرائح الاجتماعية، وقد شكلت هذه الأطر مع أطر أخرى مستقلة ومتدربة بحكم كونها تربت وترعرعت في مدرسة الوطنية الأولى للأستاذ الجليل مصطفى الغرباوي وفي خلايا المنظمات للمقاومة المسلحة، شكلت جميعا أطر الحزب وقيادته على مستوى الأقسام.

نشط هؤلاء ولعبوا دور الحلقة الوسيطة في تلقي التعليمات ونقلها مباشرة الى الجماهير المتعطشة، نجحت هذه العناصر في تشكيل شبكة قوية ومنظمة لمواجهة كل الاحتمالات التي كانت دوائر حزب الاستقلال تفكر دائما وأبدا في اختلاقها دون جدوى، علاوة على توعية الجماهير الشورية بمخططات السلطات المتحزبة والمنحازة والمعادية تستهدف تشويه



الرأي العام

يومية سياسية اخبارية

حكمة العدد

عبد الرحمن ابن ناجح ورفقاؤه امام المحكمة بالدار البيضاء

قائد اولاد سعيد يرغم الناس على الانخراط في حزب الاستقلال

جريدة «الرأي العام» تتحدث في صفحتها الأولى عن محاكمة عبد الرحمان ابن ناجح ورفقائه



الأمين العام محمد حسن الوزاني بإدارة حزب الشورى والاستقلال في الدار البيضاء يستقبل الأعضاء : مصطفى الغرباوي، عبد السلام بن الطاهر، عبد الله مريج، محمد بن المعطي السكوري، أحمد بن الحسن المراكشي، أحمد بن قبة، مصطفى الديوش

صورة القيادة الشورية وأطرها وتزرع بذور التشكيك والبلبلة بمختلف الأسلحة الدعائية التشويهية.

ومن الانصاف والإخلاص أن لا ننسى بعض الرجال الذين كانوا يعملون مع الأخ عبد الرحمن بناجح في لجنة البوادي، كالسادة الآتية أسماؤهم

1 ـــ الأخ عبد الواحد الحارثي الذي سبق أن قضى سنتين من السجن النافذ في عهد الاستعمار من أجل جريدة الرأي العام التي كان يبيعها علانية متحديا الفرنسيين.

2 ـــ الأخ عبد الله الأزموري ـــ البطل الهادىء ـــ الذي كان ملازما لي شخصيا في فترة الكفاح كلها.

3 ـــ الأخ الطاهر الدكالي ـــ تغمده الله برحمته ـــ وكان ينحدر من منطقة دكالة

4 ـــ فرحي الرداد بن أحمد المقيم حاليا بالجديدة كان عضوا كذلك في لجنة البوادي وعضوا في المكتب الاقليمي والكاتب العام بحد أولاد فرج

رجال المحمدية الأوفياء

قبل سرد التفاصيل المهمة الخاصة بمحنة ومعاناة رجال حزب الشورى الأوفياء لابد من إلقاء نظرة خاطفة على ما قدم أبطالها من تضحيات جسيمة في ميدان المقاومة والفداء، بعد ذلك سأتطرق الى محنتهم المأساوية مع حزب الاستقلال ومركز الستيام الذي استغاث به عامل الشاوية المتحزب لحما ودما السيد عبد الحميد الأزموري وممثل

حزب الاستقلال السيد العربي زروال خوفا من أن تصبح المحمدية مستقبلا كلها منتمية الى حزب الشورى والاستقلال ؟

أنجبت مدينة المحمدية رجالا أبراراً مخلصين لعقيدتهم الوطنية وعرشهم المفدى بفضل البذور الأولى التي زرعها كل من الوطنيين الأجلاء الأساتذة المرحوم السيد المهدي بن صابر، والسيد مصطفى الغرباوي — أطال الله عمره — وفي مقدمة تلك الوجوه الراحلة تغمدها الله برحمته التي لعبت أدوارا طلائعية السادة — المعيزي — محمد الأزموري — الحاج الذهبي، ومن الذين أقاموا فيها منذ صباهم كالبطلين — الحاج محمد بن سعيد عدي — وبريك أبو الهول — والسيد أبو قال محمد — وشقيقه احماد — والسيد السالك محمد؛ بالاضافة الى مجموعة أخرى كافحت وقدمت الكثير، كالباشا كنون، والحاج عبد القادر الغازي، وحدو السحيمي وكل عائلته، والمرحوم ابراهيم الزيادي الفاخري، وادريس المغراوي، ومسعود الكبير (السائق)، والمرحوم عبد القادر جعفر الذي كان مبعدا من مكناس من طرف السلطات الاستعمارية، وابراهيم الكهرباني، والمقدم السيد علي، والسيد مولاي علي السوسي، وعدد آخر من الإخوان الذين لم أستحضر أسمائهم فأرجو المعذرة.

كل الحوادث التي وقعت في المحمدية من اغتيالات وحرائق داخل المدينة وخارجها وغيرها ابتداء من 1953 الى غاية نوفمبر 1955، كانت كلها تقريبا من إنجاز المقاومة الشورية رغم اعتقال أطرها الأساسية في أوائل 1954 السادة أحمد بن البشير — عبد القادر التورنور — محمد بن سعيد عدى — وبريك ابو الهول. بل استمرت بفضل ظهور رجال آخرين حملوا مشعل الاستمرارية سواء في الدار البيضاء أو المحمدية.

بالنسبة للمحمدية ــ ابو قال محماد ــ الحاج الذهبي ــ ابراهيم الزيادي ــ محمد الأزموري رحمهم الله جميعا ــ ومحمد السالك ــ والحاج عبد القادر بن سعادة وغيرهم.

وبالنسبة للدار البيضاء ــ محمد غالب ــ الجمالي محمد الكانوني ــ الحاج أمين حمزة ــ بريك بن ميلود الخياط ــ المختار ساسي ــ المحجوب بن عبد الله ــ عبد الله الرداد ــ محمد الشرقاوي ــ عبد الرحمن بناجح ــ المعلم عيسى بن بوشعيب الزياني ــ عبد الله بن الجيلالي ــ حجاج بلفلاج ــ محمد بن اسماعيل ــ البكراوي محمد.

لقد شارك هؤلاء الناس جميعا في المقاومة الشورية، ونجاحهم في قضية إضراب 30 مارس 1954 الذي دعت اليه المقاومة الشورية بالمغرب والذي زعزع السلطات الاستعمارية فاضطرت الى مضاعفة مختلف القوات وطمعت في مساعدة قوات قواد القبائل الذين طوقوا البيضاء ونواحيها. واضراب 30 مارس 1954 يعد ملحمة تاريخية في اطار المقاومة المغربية لأن الدعوة اليه كانت بحد السلاح وبفضل المقاومة الشورية التي يرجع اليها الفضل في هذه المبادرة.

وبمجرد ما أعلن استقلال المغرب أدرك حزب الاستقلال بالملموس أن الشوريين اكتسبوا مكاسب ثمينة من جراء ما قاموا به في مجال المقاومة، خاصة وأن اثنين من أبناء المحمدية حكم عليهما بالإعدام من طرف المحكمة العسكرية الفرنسية بسبب إنجازهما عمليات فدائية خطيرة، منها اغتيال متعاون أمام مقهى باريز، وجرح مفتش الشرطة كورني واغتيال متعاون ثان وعدة حوادث أخرى بتاريخ 5 مايو 1955 بالبيضاء، هما محمد بن سعيد عدى ابريك أبو الهول بالاضافة الى حكم الإعدام الصادر في حق أحمد بن البشير والأحكام المختلفة التي صدرت في حق بقية الاخوان

بالنسبة لمدينة الدار البيضاء كالسيد عبد القادر التورنور ومصطفى العسكري وعبد السلام الجيار، كما صدر حكم بسنتين سجنا نافذة في حق محمد السحيمي من المحمدية.

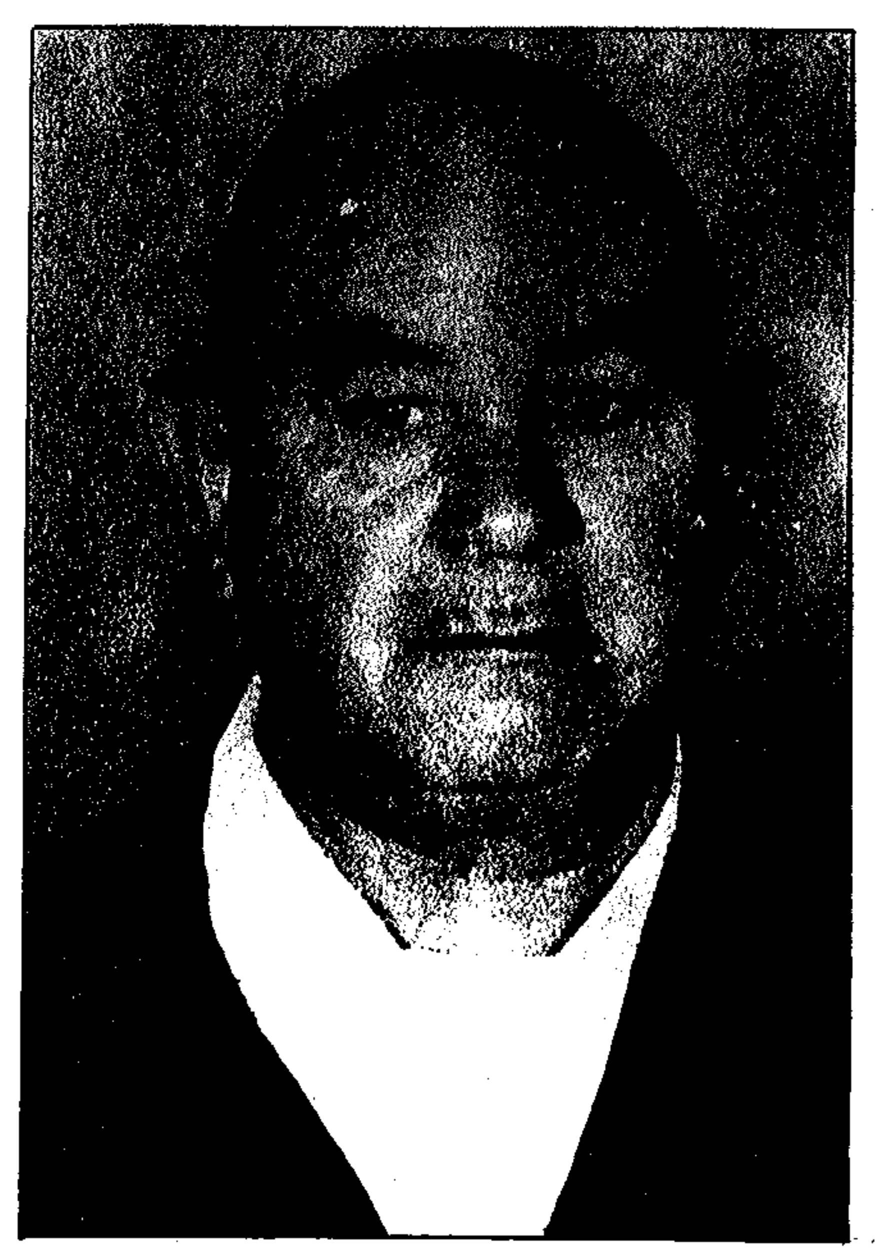
قرر حزب الاستقلال اللجوء الى خطة الاستفزازات من حين لآخر ليكون رد الفعل انفعاليا ويجد مبررا للتدخل باسم القانون، وهكذا استعمل وسخر الشرطة الوطنية لتقوم مراراً بالهجوم والتفتيش على مركز الحزب بالمحمدية وتحجز ما تشاء من الوثائق، بل وفي احداها تخطف بن اليماني أمام الملأ ويختفي الى الأبد ! كل هذا تحت غطاء القانون المفترى عليه.

وتطورت الأمور أكثر فأكثر حينما بدأت الاختطافات والاعتقالات والاغتيالات في صفوف أطر الشوريين البارزين بإيعاز من عامل الشاوية عبد الحميد الأزموري والعربي زروال ممثل حزب الاستقلال، وذلك بهدف شل تحركات الشوريين في أهم منطقة من مناطق المغرب.

وهكذا تم اختطاف السيد محمد بن اليماني وقتله بمركز الستيام، واعتقال مجموعة محماد أبو قال بعد أن وجهت اليها تهمة محاولة اغتيال السيد المهدي بنبركة وحيازة مختلف أنواع الأسلحة. وقد أشرت في مطلع هذه الصفحات الى ما تعرض له إخوان المحمدية من تعذيب وتنكيل، وخاصة الأب محمد الأزموري ــ ومحمد أبوقال ــ ومسعود الكبير (السائق)، ومعهم من البيضاء ــ الحاج المختار الذي كان متهما بنفس التهمة، والمنسق بين هذه المجموعة ومنظمة الهلال الأسود اللذين كانا يتآمران لاغتيال قادة حزب الاستقلال، كما كان يحلو لزبانية أحمد الطويل أن تقول كلما أخذوهم الى غرف التعذيب. كما كان معهم في نفس



الأمين العام محمد حسن الوزاني ومحمد فاضل الموقت مع أعضاء من حزب الشورى والاستقلال بالمحمدية : المقدم علي، الحاج عبد القادر غازي، عبد القادر جعفر، محمد الآزموري، الحاج حميد الذهبي، محمد حمادي أبوقال، الحاج ادريس المغراوي



البطل محمد حمادي أبوقال رئيس منظمة «اليد السوداء» بالمحمدية

القضية الحاج الذهبي ــ ادريس المغراوي ــ المقدم السيد علي ــ ابراهيم الزيادي الفاخرى ــ عبد القادر جعفر.

وقد استمروا تحت التنكيل والتعذيب بمركز الستيام مدة ثلاثة أشهر و 18 يوما، ثم نقلوا الى سجن العلو الذي قضوا فيه مدة طويلة، ثم أعيدوا الى سجن المحمدية وهم ينقلون من معتقل إلى معتقل، وحزب الاستقلال حائر في قضيتهم لا يعرف كيف يتخلص منها أمام الحملة المركزة التي قام حزب الشورى لصالحهم بواسطة جرائد الحزب ومساعدة بعض الشخصيات المحايدة كالسيد امبارك البكاي رحمه الله والأستاذ أحمد رضا اكديرة أمد الله في عمره، وهكذا أطلق سراحهم في النهاية بدعوى عدم المتابعة.

قضية فرحي الرداد بن أحمد واخوانه

فرحي الرداد بن أحمد من الوجوه المعروفة في أوساط حزب الشورى والاستقلال بإقليم الجديدة، كما عمل مع المرحوم محمد بن اسماعيل في احدى منظمات المقاومة بالبيضاء والجديدة. تحمل مسؤولية الحزب في لجنة البوادي بمنطقة دكالة التي كان يشرف عليها المجاهد عبد الرحمن بناجح.

وقد عرف ما عرف إخوانه في جميع مناطق المملكة من مضايقات وإهانات وتهديدات من طرف القائد محمد الوصيلي الذي كانت مهمته محددة من طرف وزير الداخلية آنذاك في اغلاق وتصفية جميع مكاتب حزب الشورى بالقيادة، فلم يفلح أمام صمود وثبات فرحي الرداد ومن معه من الاخوان، فاضطر الى اعتقالنا وسط سوق أحد أولاد فرج مصرحا

لنا : (ان البلاد التي هو فيها يجب أن نغادرها) فأجبناه إن المغرب قد تحرر ولنا حق الاقامة والتجول أينما نريد فأمرنا في الحين أن نبدأ بنقل الحجارة مستعملا معنا كل أنواع الاهانات من سب وشتم وضرب، وبعد أن قضينا ثمانية أيام في القيادة أحالونا على المحكمة بالجديدة التي أرسلتنا بدورها الى سجن العدير الفلاحي.

وعرف الجميع في ذلك الوقت وفاة الشوري المناضل تحت التعذيب السيد أحمد بن أحميد الفرجي، على يد المخزني لحسن، جلاد القيادة في خريف 1956، وهو التاريخ الذي اعتقلت فيه المجموعة. والإخوان الذين كانوا معتقلين مع السيد فرحي الرداد هم :

1 ــ الشرقي بن بوشعيب

2 ــ بناجح محمد

3 ــ محمد اسياس

4 ــ أحمد بن أحميد الفرجي (الذي فاضت روحه تحت التعذيب في خريف 1956 بقيادة أحد أولاد فرج كما سبق)

5 ــ محمد بن شعوب

6 ــ الحاج أحمد العسكري

كان يزورنا السيد محمد العمراني الذي كان يعمل مفتشا للشرطة ويقوم بتهديدنا صحبة مدير السجن إن أخبرنا بوفاة السيد أحمد بن أحميد الفرجي تحت التعذيب.

ما كان يمكن أن تنشر الدعوة الشورية وتدوم الى يوم الناس هذا لولا توفر مجموعة من الأطر المخلصين مارسوا مهماتهم على نحو متفرغ بالمرة وقد اقتضى ذلك تجنيدهم لأنفسهم على امتداد ساعات الليل والنهار، لا يعرفون العطل ولا الأعياد أو التعب أو المرض، مجندين 24

ساعة على 24 ساعة، من بين هذه العناصر الديناميكية والنموذجية ياتي على رأس القائمة.

1 ــ عبد الله بن الجيلالي

2 ــ بلفلاح حجاج

3 ــ عبد الرحمن بناجح

4 ــ فرحي الرداد بن أحمد

5 ــ ادريس التدلاوي

6 ــ عبد الواحد الحارثي

7 ــ الحاج عيسى بن بوشعيب

8 ــ الطاهر الدكالي

9 ــ ابريك بن ميلود الخياط

10 ــ المختار سامي

11 ــ عبد الله أمريح

12 ــ جحفل أحمد بن العربي

13 ــ المرحوم محمد بن اسماعيل

كان هؤلاء بالخصوص وغيرهم من الجنود الأوفياء للمقاومة المغربية ولحزب الشورى الركائز القوية التي يعتمد عليها، وباختصار لقد ترجموا كل الأماني والأحلام الى تنظيمات ومخططات وبرامج تنفيذية تصل الهدف بنقطة الانطلاق، وتضمن استمرار المسيرة على خطوط واضحة مستقيمة، وصولا الى الهدف، الى كل الذين شاركوا في مسيرة الديمقراطية الخالدة لهم مني مرة أخرى تحيات الاكبار والاجلال، الأموات منهم والأحياء (وذكّر فان الذكرى تنفع المؤمنين)، صدق الله العظيم.

إن سيادة القانون لا تصنعها القرارات بقدر ما يقرها وعي الشعب وحسن إدراكه وطرح الجبن جانبا... فالذي يسكت عن الاستبداد لابد أن يكتوى بناره، والساكت عن الحق شيطان أخرس. ولا شك أن الديمقراطية الحقيقية هي أن يعيش الناس أحرارا في أمن من طرقة الفجر المفزعة... والحرية الحقيقية هى أن يقول كل واحد ما يريد أن يقول... وأن يعبر عما يختلج في صدره وعقله من أفكار دون خشية السجن أو الاعتقال والاختطاف أو الاغتيال.



طائفة من المسؤولين بالبيضاء يحيطون بالأمين العام، عبد القادر الزنور، أحمد بالبشير، محمد العرائشي، حميد المكاوي، وراءه
حجاج بالفلاح، الحارس الخاص للأمين العام أبو الفتح الحاج الجيلالي الحداوي، محمد الرباطي

البطلان أحمد بلبشير وعبد القادر التورنور
رئيسا «مجموعة» المقاومة المعروفة باسمهما

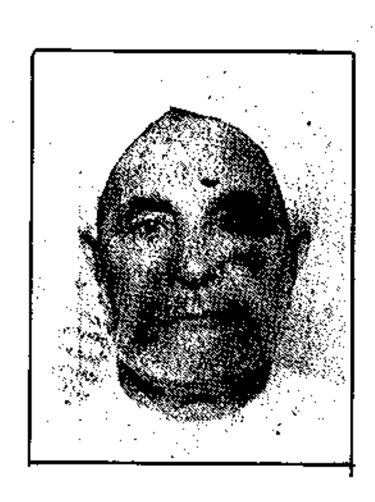




مقاومان من «مجموعة أحمد بن البشير وعبد القادر التورنور»



أحمد البقالي



محمد الأزموري

— 6 —

من قضايا المقاومة والمقاومين

المؤقت، كما كان يشاع همسا في المدينة القديمة أنها هي التي خطفت وقتلت الممثل الكوميدي الكبير الحبيب القدميري، ومحمد بيزخ رحمهما الله.

وأن بعض عناصر هذه الفرقة هي التي سبقت قبل الاستقلال بأيام معدودة أن اغتالت كلا من العيدي — ومحمد صدقي — ومبارك الحوات — ومحمد أجضهيم.

إن التاريخ الأسود لهؤلاء القوم وأياديهم الملطخة بدماء الأبرياء هي التي جعلتهم يختارون ليسيطروا سيطرة مطلقة، ولم يتورعوا في ارتكاب كل أنواع الجرائم باسم السلطة والقانون، زين لهم الشيطان الشر وسمحت لهم نفوسهم المريضة بذلك طمعا في رضا من فوقهم وأملا في القرب من حضرتهم !

واليوم وبعد مرور ثلاثين سنة على كل هذا، نجد بعض الأشخاص منهم يتكلمون عن المقاومة والمقاومين، ويمنحون صفة مقاوم لمن شاؤوا ويقفون في وجه ضحاياهم، ومرة أخرى يصفّون ضحاياهم معنويا بعدما صفّوا اخوانهم بالأمس ماديا.

فماذا أصنع إن كان حاكمي هو خصمي ؟!

ان السارق يخاف دائما من صياح وطلب أصحاب الحقوق المسروقة بحقوقهم. وخير ما أختم به هذه الأحداث التاريخية المعاشة ولازالت مسجلة ومنقوشة في قلوب أصحابها هاتان الآيتان الكريمتان :

(إنك ميت وإنهم ميتون، ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون)

(تلك أمة قد خلت، لها ما كسبت، ولكم ما كسبتم) صدق الله العظيم.



الأبطال المقاومون الخمسة : حجاج بلفلاح، والكانوني، ومحمد بن إسماعيل، والعمارتي وجحفل أحمد بن العربي

محمد التفراوتي المدعو النعايمي

كان من المقاومين الذين أبلوا البلاء الحسن في معركة الاستقلال داخل صفوف منظمة ــ جيش الأطلس ــ كان يتاجر في المواد الغذائية بالمدينة الجديدة وبعد الاستقلال بأيام قليلة عرف الستيام وعذابه ونقل الى ــ دار بريشة ــ فتعرض لمختلف ضروب التنكيل والقهر بتهمة (شراء الأسلحة وتزويد حزب الشورى بها بواسطة محمد بن اسماعيل) وبمجرد ما أفرج عنه هاجر الى فرنسا بعدما وجه رسالتين الى حضرة صاحب الجلالة المرحوم محمد الخامس والرئيس امبارك البكاي يعطي فيهما صورة طبق الأصل لما جرى وكان يجري بمركز الستيام ومعتقل دار بريشة، واتخذ إجراء خطيراً من جراء يأسه واعتنق الديانة المسيحية وهو لا زال لحد الآن حيًا يرزق، ويعيش ويقيم كمواطن فرنسي بفرنسا !؟

محمد بن عبد السلام الفاكتور والجيلالي الحداوي

عملا معاً في خلايا منظمات المقاومة، من ضحايا الحزبية العمياء.

اختطفا من مدينة طنجة، بالرغم، على أنها كانت تتمتع بنظام دولي. وقد وقع اختطافهما بعد معركة حامية وسط طنجة، وعرف كل المارين بالقضية مما اضطر مسؤولي الأمن الوطني الى الاعتراف باعتقالهما، وذلك حينما إنكشفت شخصية المفتشين للشرطة، ويتعلق الأمر بعبد الله واصف المعروف بالسكليس والحسين سرحان.

لا أريد أن أطيل عليك ايها القارىء في اعطاء تفاصيل مالقيه هذان الرجلان من عذاب واهانات ولكني أقول بايجاز، إن المختطفين لم يحترموا البيوت، فهاجموا منزل بن عبد السلام وأخذوا حتى النساء اللواتي تعرضن للضرب والاهانة !

إن محمد بن عبد السلام المعروف بالفاكتور لا زال حيًا يرزق — أطال الله عمره — ربما تتاح له الفرصة مع صديقه في الاختطاف والاعتقال الحاج الجيلالي الحداوى الحارس الخاص للمرحوم محمد حسن الوزاني ليحكيا تفاصيل محنتهما !

عاطي الله عبد المجيد

كان ينتمي الى مجموعة محمد بوهلال وأحمد خربوش التابعين لمنظمة الهلال الأسود.

اعتقل كسائر إخوانه الشوريين والهلاليين في صيف 1956 من طرف مسعود والاخوان بنجلون، وتعرض لكل أنواع العذاب. واستمر تحت رحمة الجلد والقهر حتى استطاع الحاج ابريك أن يقنع جلاديه ومسؤولي الستيام بإخلاء سبيله.

لقد استمعت الى أقواله وأنا في دهشة وذهول مدة ساعة ونصف، وهو يروى لي قصة اعتقاله وعذابه مدة شهر كامل في جحيم الستيام وهو ممن شارك في ملحمة 30 مارس 1954 مع مجموعة المرحوم محمد حجي العموري والبطل السيد أحمد الفيلالي. ويقيم اليوم بالجديدة.

أعضاء القيادة العليا للمقاومة الشورية، من «مجموعة السرجان»



محمد بن المعلم أحمد

أقطاب المقاومة أصحاب السرجان



البطل محمد الغزواني بلحاج

الذي عين خليفة للسرجان بعد اغتياله



البطل خليفة البيضاوي

الذي اغتالته الفئة الباغية في يونيو 1956



البطل عبد الرحمن المخنت

الذي اغتاله أحمد الطويل وعصابته الباغية

بوعزة قرقاب الدكالي

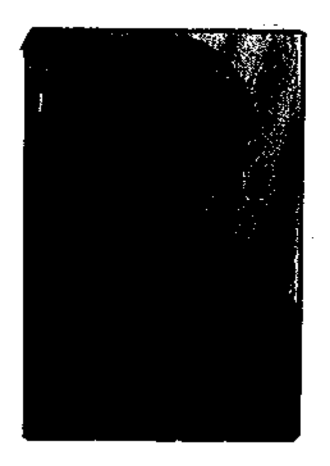
من مجموعة محمد بن اسماعيل رحمه الله شارك مع مجموعة منظمة ــ صوت النار ــ كاكباص وعبد الكبير. وساهم في تفجير قنبلة 14 يوليوز 1955 بحي مرس سلطان.

كان مطاردا هو الآخر من قبل أحمد الطويل وزبانيته، وبسببه استمر اعتقال محمد بن اسماعيل أكثر من اللازم لأن السيد بوعزة قرباب الدكالي كان مطلعا على أسرار ذات أهمية كبيرة. ومع جميع التحريات والبحث والتفتيش لم يتوفقوا في العثور على السيد بوعزة الذي كان يعلم أن مصيره سيكون الموت فاختفى عن أهله وأقاربه ومعارفه، ولم يظهر الا بعد تصفية الحسابات التي وقعت بين عصابات «الحزب العتيد» في شارع الفداء. ويقيم حاليا بمدينة الجديدة.

ملحمة 30 مارس 1954 وبعض رجالاتها

لست مفوّضا من طرف رئيس هذه الملحمة التاريخية بأن أكتب عنها، ولكني أستسمح الأخ الحاج أحمد بن البشير أن أقول كلمة مختصرة كأحد من شاركوا فيها بالمدينة القديمة، صحبة البطل المرحوم بريك بن ميلود الخياط وعبد الله الأزموري ــ أحمد الله في عمره ــ والمرحومين العربي الكثيري ومحمد ولد شامة.

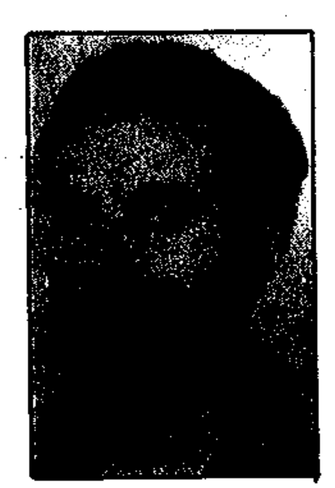
مقاومون من «مجموعة السرجان»



بوعزة قرقاب الدكالي



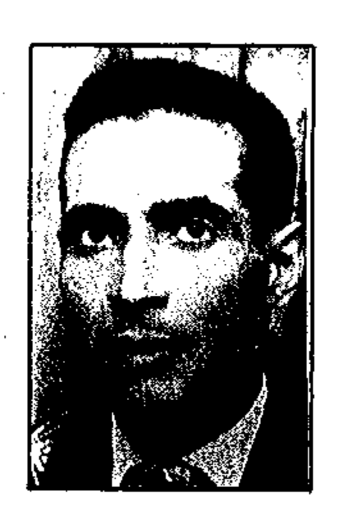
عاطي الله عبد المجيد



بوجمعة ادويش



أحمد الشرادي الذي قتل
بانفجار مسدس رشاش أثناء تنظيفه بطنجة،
ونقل للدفن بالدار البيضاء



الحاج أحمد الغنزوق



الأمين العام محمد حسن الوزاني وسط جماعة من المقاومين الشوريين، من «منظمة الهلال الأسود» و«أسد التحرير».

محمد أجويرا، بلحسن، عبد الله بن الجيلالي، أحمد فرحان، بوشعيب، وأخوه محمد، ميلود النجار، شكري بلال (من الهلال الاسود، هو الذي مكن الزرقطوني من المسدس لأنه كان من الجيش)، عبد الله الحداوي، مبارك، سعيد البناء، لحسن الخياط، وميلود الخياط

كانت ملحمة 30 مارس الفترة الحاسمة في الصراع بين المقاومة المغربية والاستعمار الفرنسي، ويمكن أن أقول إنها كانت بداية العصيان المدني والتحدي الأول الذي وجهته حركة المقاومة الشورية دون افتخار للسلطات الاستعمارية ؟

لقد نجح إضراب 30 مارس 1954 نجاحا باهرا، أفقد العدو صوابه، واختلطت عليه الأوراق، واضطر تحت ضربات المقاومة أن يستنجد بقوات نظامية فرنسية إضافية (كالكَارد موبيل) القوات المتنقلة وقوات القواد من مختلف مناطق المغرب !

وعلى إثرها في أوائل ابريل 1954 ألقي القبض على مجموعة بن البشير التي أتذكر منهم أسماء مجموعتين تم اعتقالهما. مجموعة المحكمة العسكرية الفرنسية ومجموعة المحكمة الشريفة العليا.

مجموعة المحكمة العسكرية الفرنسية

1 ــ السيد الودغيري أحمد بن البشير
2 ــ السيد محمد بن سعيد عدى
3 ــ السيد بريك أبو الهول
4 ــ السيد عبد القادر التورنور
5 ــ السيد محمد الزياني
6 ــ السيد مصطفى بن عبد الجليل
7 ــ السيد عبد السلام الجيار (الذي حوكم كذلك مع مجموعة المحكمة الشريفة العليا)
8 ــ حسن بن حمّة
9 ــ بنعيسى

مجموعة المحكمة الشريفة العليا

1 ـــ السيد جحفل أحمد بن العربي
2 ـــ السيد اقبال الأزموري محمد
3 ـــ السيد محمد حجي العموري
4 ـــ السيد أحمد بن التهامي المالكي
5 ـــ السيد النحايسي أحمد
6 ـــ السيد النحايسي محمد
7 ـــ السيد الفقيه محمد بن أحمد السوسي
8 ـــ السيد مصطفى عنترة
9 ـــ السيد محم الطنجاوي
10 ـــ السيد محمد بن زاكور
11 ـــ السيد محمد بن المهدي
12 ـــ السيد محم الدجايجي
13 ـــ السيد أحمد الفيلالي الزعيم
14 ـــ الأخوان المزابين أحمد وشقيقه
15 ـــ السيد محمد عدي (من درب مولاي الشريف)
16 ـــ السيد عبد الرحمن المسفيوي

كان بودي أن أقوم بالترجمة الحرفية من الفرنسية للجزء المتعلق بمحاكمة رجال المقاومة الشورية كما عبر عنها الأستاذ الراحل ـــ شارل لوكران ـــ في كتابه (عدالة للمغرب)، والذي تطرق فيه لجميع المحاكمات التي جرت في تلك المحكمة العسكرية. لكن هذا الكتاب ضاع مني في

ظروف قاهرة وسأبحث عنه لأنه يعد من المراجع المهمة في تاريخ المقاومة المغربية، وحجة دامغة ضد كل الذين حاولوا تهميش الدور الخطير الذي قامت به المقاومة الشورية والتقليل من شأنها ومكانتها، برفضهم جل الملفات التي تقدم بها المقاومون الشوريون للحصول على صفة مقاوم في الوقت الذي حصل عليها الخونة والمتعاونون بل وحتى من كانت ضدهم محاولات اغتيال ؟ بعد أن ثبتث خيانتهم وتعاونهم مع المستعمر !

لقد قدمنا عدة احتجاجات وشكايات أشهرها المذكرة التحفظية التي فضحنا فيها كل شيء وطالبنا فيها بالتدخل الشخصي لجلالة الملك الحسن الثاني، دام له النصر والتمكين، لأنه يعرف كل شيء عن الصراع الحزبي الذي أقحمته المجموعة الحالية والمسؤولة عن مصير هذه الملفات وما تتحمله من مسؤوليات تاريخية وأخلاقية لسرقة حقوق الناس وحرمانهم من الانتماء الى أسرة المقاومة التي خاطروا من أجلها بأرواحهم وشبابهم وكل شيء غال وثمين. فكان جزاؤهم هذا الموقف الجائر وهذا الظلم القائم الذي لا يرفعه عن سائر المقاومين المظلومين الا والدهم جلالة الملك الحسن الثاني الذي عاش معهم ويعرف كل خبايا وأسرار المقاومة، أطال الله عمره وحفظه لهذه الأمة التي تحتمي به من كل ظالم وجائر، انه سميع مجيب.

جمعية الضمير الفرنسي
أو أصحاب رسالة 75 امضاء ومجموعة ماروك بريس

للانصاف وللحق والحقيقة، لابد من ذكر المواقف النبيلة لرجال كانوا أصدقاء أوفياء للمغرب والمغاربة من أبناء فرنسا الأحرار المنصفين، وقفوا الى جانب المغرب والمغاربة، معرضين أرواحهم للخطر دفاعا عن

الحرية والكرامة، وكاتب هذه الصفحات كان له شرف التنسيق بين جمعية الضمير الفرنسي وماروك بريس وبين المقاومة الشورية لا سيما منهم الكمندار سارتو (مدير جريدة ماروك بريس)

ــ أنطوان مازيلا (رئيس تحرير الجريدة المذكورة)

ــ الآنسة كريستيان داربور (صحفية)

ومن جمعية الضمير الفرنسي :

ــ الدكتور ركثي دولانوي

ــ الأستاذ زكي مارتيني

فقد قاموا بأعمال في منتهى الخطورة في الميدان الاعلامي والسياسي لصالح العرش والشعب شارحين موضحين أسباب وجذور أزمة القضية المغربية الفرنسية، وتحملوا الشيء الكثير كثمن لما قاموا به من لدن السلطات الاستعمارية وجمعية الوجود الفرنسي التي كان يشرف عليها الدكتور كوزه ويحميها رئيس ناحية البيضاء المشهور ــ بونيفاس ــ وجنودهما (جوفانطيجا وأفيفال وبوجو) وغيرهم مع عمداء الشرطة الذين كلما سقط مستعمر فرنسي إلا خطفوا بعض العمال كرد فعل من الأحياء الشعبية وألقوا جثتهم في شواطىء البحر، لقد أعماهم الحقد والضغينة وخطفوا الأطفال المكلفين ببيع الصحف ورموا بهم في شواطىء البحر.

وجريمة اغتيال السيد ــ لوميكَر دوبري ــ التي تمت بمسدس رشاش بحي بنجدية التي تحمل ساحته الكبيرة اسمه اليوم، قال الخبراء عن هذا السلاح إنه تستعمله كثيرا الشرطة الفرنسية، وقد أشارت أصابع الاتهام الى عميد شرطة البيضاء برفقة أربعة من رجال الشرطة بلباسهم الرسمي. وعبر الشعب عن سخطه واستنكاره لتلك الجريمة الشنعاء وعن

حزنه العميق لوفاة هذا الرجل الحر الذي دافع بقلبه وقلمه ولسانه ووقته وماله، ومات دفاعا عن استقلال المغرب وعودة المرحوم محمد الخامس الى عرشه. وهرعت الجماعير البيضاوية بالمئات والالآف رجالا ونساء وأطفالا، للمشاركة في تشييع الجنازة بكنيسة (صاكري كور) الكائنة بشارع الراشدي حاليا وشارع كورو سابقا. وترأس مراسيم تشيع الجنازة رئيس الحكومة الفرنسية السيد ــ مانديس فرانس ــ الذي قوبل بالسب والشتم والصياح من طرف جمعية الوجود الفرنسي التي بذلت كل ما في وسعها لتحويل مراسيم تشيع الجنازة الى مجزرة، ولكن رجال المقاومة الشورية الذين كانوا متسربين داخل الجمهور استطاعوا أن يؤطروا وينبهوا الحاضرين الى الاحتفاظ بهدوئهم حتى لا ينساقوا مع مرامي وأهداف المشاغبين أعداء المغرب. وكاتب هذه السطور (عبد الله الرداد) كان ضمن المؤطرين صحبة المرحوم بوشعيب الخياط والأشقاء اليعقوبي عز الدين ومحمد وعلي وشقيقة لهما ربما كانت زوجة المرحوم عبد السلام اليعقوبي، والمعلم عيسى بن بوشعيب الزياني (الحجام) وعبد الله الأزموري والأخوان ميمي محمد وأحمد.

ولحد الآن أتذكر التضامن الهائل والخشوع الجنائزي الذي جمع المغاربة والفرنسيين الأحرار داخل الكنيسة، كانوا يتلون قداسهم، والمغاربة المسلمون خاشعون ومتضرعون يترقبون نهاية ورحيل الاستعمار البغيض ليجعل حدا لسفك الدماء. وفي نهاية مراسم الجنازة اعتقلت دائرة زنقة الجزائر (الدائرة الثالثة حاليا) للشرطة السادة بوشعيب المجاطي وعز الدين اليعقوبي، وكانت تراقب العناصر النشيطة المكلفة بالتنظيم. واتصلتُ على الفور بالسيد أنطوان مازيلا الذي كان يتولى رآسة تحرير جريدة ماروك بريس الذي اتصل بدوره مباشرة بإقامة مانديس فرانس الذي أمر باطلاق سراحهما في الحال.

وفي المساء أطلق سراحهما وتوجهت معهما الى إدارة الجريدة لنقدم الشكر الى السيد أنطوان مازيلا.

كما وقعت محاولات أخرى للاغتيال منها محاولة ضد الدكتور كي دولانوى الاختصاصي في أمراض القلب، بوضع وتفجير قنبلة قوية المفعول بجانب غرفة نومه فتسببت في خسائر مادية كبيرة. وأخرى ضد السيد أنطوان مزيلا الذي كان يعتبر العدو الأول لجمعية الوجود الفرنسي، والكمندار سارتو (مدير جريدة ماروك بريس) والمتعاطف مع الحركة الوطنية والمتفاهم مع طموحات الشعب المغربي. كان الأخ السيد محمد بنجعة ملكفا بحراسته الخاصة ويرافقه في انتقالاته داخل البيضاء وبين البيضاء والرباط. وأخرى ضد السيد كي مارتيني القريب من المجتمع المغربي كثيرا بحكم مهمته كمعلم وصحفي، وكان يعتبر بحق محرك الجمعية والمكلف بالعلاقات الخارجية، وبحكم مولده وترعرعه بالمغرب عرف كل شيء عن المغرب، تاريخه ورجاله وتقاليده وعاداته، كان ولا زال يعيش تحت سماء المغرب يحبه ويغار عليه، جرت محاولات عديدة لاغتياله، ولكنها فشلت. وكذلك الآنسة كرستيان داربون (صحفية بجريدة ماروك بريس) التي عرفت هي الأخرى محاولات لاغتيالها.

كل هؤلاء وغيرهم ممن ذكرت أسمائهم كانوا يتلقون يوميا مكالمات هاتفية بمنازلهم ليلا ونهارا ورسائل كلها تهديد وسب وشتم تدخل في حرب الأعصاب.

كان حقد الاستعمار الفرنسي منصبا على جمعية الضمير الفرنسي أو أصحاب رسالة 75 امضاء، كما كانت الصحافة تسميها آنذاك، لأنها فضحت كل الجرائم التي وقعت في جميع أنحاء المملكة وما كانت تمارسه

السلطات الاستعمارية من ضغوط بل ونهب ضد بعض التجار الذين رفضوا فك الاضراب الذي دام في احدى المرات ما يزيد على 64 يوما.

وطبيعي جدا أن يكون المؤسسون الأولون لجمعية الضمير الفرنسي، ولوميكر دوبروي في طليعتهم، هم رموز تلك المواقف الانسانية الشريفة التي تدعو اليها كل القيم وكل الديانات. ولقد حافظوا على تمسكهم بهدفهم الأسمى الذي كان يتمثل أولا في استنكار عملية إبعاد المرحوم جلالة الملك محمد الخامس والمطالبة بانصاف المغاربة وذلك بمنحهم حقوقهم الوطنية المشروعة رغم الظروف الصعبة التي كانت تحيط بهم.

وضمن مجموعة ــ ماروك بريس ــ كان بعض المواطنين المغاربة الذين أخلصوا وقدموا كل ما استطاعوا اليه سبيلا من أعمال جليلة، تحتم علينا جميعا التنويه بهم، وفي مقدمتهم المرحومان عبد الرحمن لامودي وبوشعيب الهجامي، والسيد محمد بنجعة اطال الله عمره.

ومن بين أعضاء هاتين الجمعيتين المذكورتين مازالت الى يومنا هذا تربطني بهم علاقات ودية عن طريق المراسلات والاتصالات المباشرة وبالخصوص أنطوان مازيلا ــ كي دولانوي ــ كي مارتيني.

1 ــ أنطوان مازيلا : بعد ما كان مكلفا بمهام الإشراف على تأسيس مكتب التسويق والتصدير، تم تعيينه كمستشار اقتصادي برآسة الحكومة، كما تكلف بتصفية صحافة ماس الاستعمارية، وأحيل على التقاعد فوشح صدره بوسام ملكي تقديرا لما قدمه للمغرب والمغاربة من خدمات بتفان واخلاص وهو يعيش اليوم بفرنسا

2 ــ الدكتور كي دولانوي، الاختصاصي في الأمراض القلبية، توجه الى فرنسا مدة طويلة، وبالضبط الى مدينة ــ روايا ــ التي لا تبعد الا بسبع كيلومترات عن مدينة فيشي المعدنية المشهورة حيث فتح عيادة

هناك، وزرته صحبة السيد عبد الله بن الجيلالي في أوائل يوليوز سنة 1971، واستقبلنا ورحب بنا ترحيبا كبيرا، وأقمنا عنده أربعة أيام. وكعادته يزور المغرب كل خريف يقضي فيه من 3 أشهر الى 4 أشهر بعد أن توقف عن العمل وتقاعد، ويقوم بجولات سياحية وثقافية حول العالم وخاصة العالم الاسلامي، حيث يعرف عنه ولعه وحبه للفنون الاسلامية المعمارية.

3 ـــ الأستاذ كي مارتيني. مباشرة بعد الاستقلال تعاون مع بعض الصحف الوطنية الفرنسية والمجلات كمجلة ـــ لا ـــ وألقى دروسا في بعض المؤسسات الحرة (في التاريخ والجغرافيا) وبقي يعمل كأستاذ في ثانوية مولاي عبد الله الى أن أحيل على المعاش. وكما أشرت سابقا، بما أنه فرنسي ـــ مغربي ـــ قرر أن يقضي بقية عمره ويدفن في المغرب. وقد استأنف من جديد تحركه ونشاطه، ويباشر عملا تطوعيا في احدى مؤسسات الشؤون الاجتماعية الخاصة بالفقراء والمعوقين.

— 7 —

نهاية كابوس السجن
وابتداء حرب نفسية جديدة

الخروج من السجن

تعودت كثيرا حياة السجن، وتركت الأيام تسير وفق قضاء الله وقدره، دون تبرم أو تذمر حتى حمل اليّ ذات صباح من شهر يناير 1957 (الأب عمر) حارس لدى المدير خبر استدعائي إلى المحكمة على استعجال، وبدأت أفكر من جديد في المتاعب والهموم، ماذا يريد الطغاة ؟ أهناك وشاية بأننا ننشر المبادىء الشورية داخل أسوار السجن ؟ أهناك ملف جديد ؟ أو مواجهة جديدة بيني وبين أحد الاخوان ؟ كثيرة هي علامات الاستفهام التي وضعت ؟ ؟ ماذا ستأتي به الأقدار ؟ فتوجهت الى مكتب المدير، وفي الطريق قال لي الحارس، ارجع وخذ أمتعتك من الزنزانة، أنت بالتأكيد لن تعود اليها، ربما ستنقل الى جهة أخرى. فوقفت جامدا أمام هذا الابتلاء الجديد أجول بأفكاري، فانزعج قلبي، وسيطر عليّ حزن متزايد وحيرة بالغة، وأخذت أمتعتي كلها سواء التي كانت بالزنزانة أو بالادارة، واخترقت سيارة السجن الطريق الى المحكمة بحي الأحباس في سرعة جنونية، وأدخلوني حجرة من الساعة العاشرة صباحا الى غاية الثامنة والنصف ليلًا، وبدأوا يسألونني عن الشورى في الاسلام، وكيف سيواجه الحزب الانتخابات الأولى التي سيعلن عنها قريبا وخاصة بالمجالس البلدية والقروية.

وبعد هذه المقدمة، جاء دور النائب العام وعميد للشرطة لا أعرفه، قدم نفسه بتلك الصفة وبدأ يعطيني أوامر ملخصها أن لا أحكي أو أقص كل ما عرفت أو سمعت أو رأيت أو تعرضت له من تعذيب أو أكتب في جريدة الحزب عن ذلك وأن لا أمارس أي نشاط داخل فرع



السيد عبد الله الرداد يستقبل عند خروجه من السجن بباقة زهرية من طرف صديقه حجاج بلفلاح

الحزب بالبيضاء ونواحيها، وأن لا أزور أي أحد من الأهل والمعارف والأصدقاء وبالخصوص الشوريين، واعلم أنه تقرر الافراج عنك بعدم المتابعة، وهذا أمر من المراجع العليا. ومن حضرة النائب العام كذلك.

قلت : أهلا وسهلا بهذا القرار الكريم، إلا أننى أرفض كل هذه الأوامر وأرفض الخضوع اليها جملة وتفصيلا وأفضل عليها أن أعود الى السجن.

فقال وهو يبتسم : الأوامر بلغتها لك، فأنت حر في تطبيقها أو عدم تطبيقها.

وفي الباب وجدت ثلاثة من الاخوان فقط علموا بنبإ الافراج عني من طرف الأستاذ محمد بن عبد الله الشرقاوي وهم السادة المحترمون عبد القادر التورنور والحاج محمد اجويرة والحاج محمد الجديدي أمد الله في عمره، وانصرفت صحبتهم الى منزلي، وكانت العائلة كلها في انتظاري والساعة تشير الى العاشرة والنصف ليلًا. وعند توديعه لي نصحني السيد عبد القادر التورنور أن أبتعد عن مدينة البيضاء شهرا كاملا، وسلّم لي مبلغا من المال وجواز سفري الذي كان محجوزا، وألح أن أسافر في الصباح الباكر، والأفضل الى خارج المغرب. وفعلا توجهت الى جنوب اسبانيا وقضيت هناك شهرا كاملا في مدن الأندلس.

عبد الله بن الجيلالي وحجاج بلفلاح

ارتبط اسم عبد الله بن الجيلالي وحجاج بلفلاح كثيرا طيلة فترة الكفاح المسلح، وزاد الارتباط رسوخا وعمقا بعد الاستقلال، وتحولت

صداقتهما الى أخوة تامة، لا زالت هذه الأخوة تنمو وتزداد حرارة الى يومنا هذا. وبفضل هذه الوضعية الفريدة من نوعها استطاعا أن يقدما للمقاومة الشورية وللمغرب، ومعهما صديق حياتهما السيد ادريس التدلاوي البطل الصامت، الشيء الكثير من الأعمال التي يعرفها الخاص والعام في الدار البيضاء وسكان كريان ابن مسيك والمدينة الجديدة.

منظمات المقاومة الآتي ذكرها، ساهم عبد الله بن الجيلالي وحجاج بلفلاح مساهمة فعالة في أنشطتها بالسلاح والتخطيط والتنظيم، وجمع المال ورعاية عائلات المسجونين والشهداء والمبعدين، وتحرير المناشير وتوزيعها.

1 – أسود التحرير.
2 – أبطال الانتقام.
3 – صوت النار.
4 – سيف الله.
5 – جيش التطهير.
6 – المتطوعون.
7 – أنصار الفداء.
8 – النجم الثاقب.
9 – اتصال الفداء.
10 – جيش الأطلس.
11 – اليوسفية.
12 – اليد المتوكلة.
13 – اليد السوداء (الحاج عمر الصقلي وبن المختت).
14 – اليد المجهولة.

15 – انتصار الحق.

16 – أسس التطهير.

وحينما اعتقل الاخوان : السيد أحمد بن سالم والسيد عمر الصقلي وبعض رفاقهما، اعترفوا بالأخوين حجاج وبن الجيلالي، تحت أنواع التعذيب، والاكراه، استطاعت الشرطة أن تهتدي الى عنوان السيد عبد الله بن الجيلالي، لكن هذه المعلومات وصلت الى المعنيين بالأمر ــ بلفلاح وبن الجيلالي ــ بواسطة ما اتخذا من احتياطاتهما مسبقا، واختفيا عن الأنظار. وهاجمت السلطات الاستعمارية مقر سكنى السيد عبد الله بسيدي معروف وهي نفس العمارة التي فيها للسيد بلفلاح دكان لبيع الحليب الذي كان في الحقيقة مركزا من مراكز السلاح وتحرير المناشير، وحطمت الأبواب والنوافذ وأتلفت ونهبت كل ما أرادت، وشددت الحراسة على دكان الحليب بعد ما اختفى المسؤول عنه بطريقة ذكية.

ظل الرجلان ينتقلان من مكان الى مكان داخل الكريانات والمدينة الجديدة، والشرطة جادة في البحث عنهما، وفي كل مرة يعتقل أي مقاوم لا بد أن يسأل عنهما لدرجة أن بعض الاخوان تعرضوا بسببهم للتعذيب طيلة أيام.

وبالرغم عن رعب المطاردة والبحث المستمرين لاعتقالهما لم يجمدا أو يوقفا نشاطهما، بل قاما بتحد للسلطات الفرنسية مع بعض الاخوان باحراق بعض الضيعات للمعمرين بنواحي البيضاء، بل وفي ناحية سطات شارك ابن الجيلالي في محاولة اغتيال. وقد ألقي القبض على من شارك معه من مجموعة السيد عبد الله السباعي، واستطاع الافلات والاختفاء. وهذه الحادثة مسجلة في وثيقة من وثائق رجال الدرك الفرنسي

بسطات، ولا زالت في رفوف ادارة الأمن الوطني المغربي تحمل العبارات التالية :

الموضوع. قضية الارهاب الشوري بتاريخ 22 يوليوز 1955.
المرجع. رسالتكم رقم 1422.

والوثيقة المذكورة هي صورة فوتوغرافية بحيازتنا، ومنصوص فيها على اسم عبد الله بن الجيلالي.

وقد أكون عاجزاً بصراحة إن حاولت في هذه العجالة أن أنقل بالتفصيل كل الأعمال الجليلة التي قام بها الأخوان عبد الله بن الجيلالي والحاج حجاج بلفلاح من أجل العرش والمغرب، ودفاعا عن الديمقراطية والشورى، لأنهما كانا ولا زالا شعلتين من الحركة والنشاط.

ولعبد الله بن الجيلالي ذاكرة قوية إلكترونية يحتفظ بها بالشيء الكثير مما عايشه ورآه وسمعه، وهذه الصفة معروف ومشهور بها لدى جميع إخوانه في ساحة النضال، ولدى زملائه في الادارة وأقاربه ومعارفه. وبهذه الذاكرة يعود بك الى أحداث وذكريات بتفاصيلها في منتهى الدقة، ويحولها اليك حية في صورتها الأصلية، حتى تعتقد أنك أمام أستاذ جامعي دون مبالغة، يحمل معه مستنداته ووثائقه ليستعين بها في محاضراته، وصاحبنا عبد الله لا يحمل أي وثقة ولا حتى ورقة، بل مرجعه الأول والأخير ذاكرته الجبارة. أعرفه شخصيا في كل أطوار حياته الكفاحية إذ تعارفنا ونحن مراهقان ثم شبان فرجال ونحن اليوم في طور الكهولة وعلى أبواب الشيخوخة.

ومن خلال ما زودني به شفويا من معلومات اضافية خطيرة ومهمة، بناء على ملف كامل ناطق بمستنداته وحججه الدامغة، بدءاً

باستدعاء صادر من المحكمة الاقليمية (القسم الجنائي بالبيضاء) ومرورا بورقة التبليغ وقائمة المستشارين وصك الاتهام والمحاكمة مع مجموعة إخوانه الأبطال الشوريين بتهمة — تهيىء مشروع اعتداءات وبارتكابها، وعدم اخبار السلطة — وكل هذا يشير تحريره الى تاريخ مايو — يونيو 1958 حينما كانت ديكتاتورية حزب الاستقلال في عز بطشها وصولتها !

عبد الله بن الجيلالي ورفاقه في جحيم الستيام

وقبل أن أدخل الى تفاصيل هذا الملف العجيب الغريب سأنقلك عزيزي القارىء مرة أخرى إلى أجواء الستيام وجحيمه اللعين التي قامت باختطاف السيد عبد الله بن الجيلالي وعبد الواحد الحارثي وعبد السلام السعيدي الذين كانوا منهمكين في تعليق اللافتات والتزيين وصور صاحب الجلالة محمد الخامس وعائلته الكريمة ترحيبا بقدومه بمناسبة احتفاله بعيد العرش بالبيضاء لأول مرة بعد عودته من المنفى وذلك في 18 نوفمبر 1956.

وتشاء العناية الربانية أن لا ينتبه الخاطفون الطغاة الى وجود أحد الاخوان داخل سيارة الحزب الذي انطلق مسرعا حاملا خبر الاختطاف الى السادة أحمد بن البشير وعبد القادر التورنور رحمه الله، ولولا حصول الاخوان على رقم السيارة التي قامت بذلك الاختطاف، والتدخلات المختلفة لكان مصير جميع هؤلاء الاخوان هو مصير المختطفين الذين ذهبوا ولم يعودوا الى يوم الناس هذا.

وأمام هذا الاخفاق والفشل لتوقيف نشاط عبد الله الجيلالي وحجاج أو تجميده على الأقل، اضطر حزب الاستقلال الى نهج خطة

أخرى، وهي أنه في عمالة بن مسيك وسيدي عثمان والحي الحسني وفرار، وبما أن بن الجيلالي وحجاج هما المحركان الأساسيان في ابن مسيك وسيدي عثمان، اتجه التفكير الى القضاء عليهما، إما بالتصفية الجسدية العلنية أو بالاعتقال الرسمي بخلق تهمة تبريرية تضع حدا لنشاطهما الذي أقلق الدوائر المسؤولة محليا.

وهكذا بعد أسبوع بالضبط من محاولة الاختطاف الأولى، اقتحمت الشرطة سكنى ابن الجبلالي لاعتقاله، وكان من بين الحاضرين في المنزل السيد بلفلاح حجاج الذي سألته الشرطة عن حجاج فأجاب بأنه خرج قاصدا مقاهي شارع الفداء. وبن الجيلالي الذي سئل عنه وهو أمام عينيه ويتلقى من أجله اللكمات والركلات، أبت عليه شجاعته ورجولته أن يدلهم على حجاج الموجود معهم في الدار. وهكذا تمكن حجاج من الافلات والاتصال برجال الحزب في المكتبين المحلي والسياسي كالسيد عبد القادر التورنور والحاج أحمد بن التهامي والأستاذ فاضل المؤقت ومدير جريدة الرأي العام الأستاذ محمد العمراوي رحمهم الله جميعا. الذين اتخذوا الاجراءات الأولية التي كان يتطلبها الموقف، ففضحوا هذه المؤامرة التي أدت الى ذلك الاعتقال التعسفي المدبر، وذلك بواسطة جريدة الحزب التي أعطت كل التفاصيل والبيانات عن هذه الانتهاكات الجديدة والمستهدفة بالخصوص أطر الحزب الرئيسية في منطقة ابن مسيك وسيدي عثمان.

إن مراكز التعذيب المختلفة وشراسة حملة السياط لم تزد هؤلاء المخلصين أمثال عبد الله بن الجيلالي وحجاج بلفلاح إلا قوة وثباتا، وصبرا على دفع باطل الديكتاتورية الحزبية، فليس بالسياط تقاوم المبادىء والأفكار... أو بالاغتيالات الغادرة أو الاختطافات المكشوفة... تنشر

الأفكار ؛ ولكن الدليل يُقرع بالدليل والرأي بالرأي والكلمة تقابلها الكلمة.

بسيط جدا أن توضع القوة الباطشة العمياء في أيدي المجانين، ولكن الصعب والعسير أن تأخذ المخدوعين بالباطل والمقتنعين بحمل السياط والمتألهين في الأرض، أننا كنا ولا زلنا في دعوتنا ومفهومنا للديمقراطية، أن يقول المواطن نعم متى أراد، ولا متى شاء دون إكراه أو ضغط، وأن الديمقراطية ليست شعاراً أو انتماء، بل التزماً وسلوكاً.

ومرة أخرى يوجد ابن الجيلالي ومجموعته باستثناء حجاج داخل جحيم الستيام بألوانه وأشكاله تمارس عليهم أحط الأساليب في القهر والتعذيب طيلة 25 يوما من المعاناة في الاستنطاقات الوحشية، وكلها كانت تدور حول قوى الحزب وتنظيماتها ومؤطريها، وقد بلغ عدد المنخرطين آنذاك الأرقام الآتية :

قسم ابن مسيك سيدي عثمان فقط :

بالنسبة للرجال **35.000**

بالنسبة للنساء **4.000**

مجرد معرفة وجود **39.500** في المجموع من المنخرطين أفزعهم.

تم الاستفسار عما كان يدور بين الأستاذ محمد حسن الوزاني وبلفلاح حجاج حينما كان هذا الأخير يزور طنجة من حين لآخر، أو في الفترة التي كان مقيما بها، واتصالاته مع الشوريين في الشمال بصفة عامة، بغية شراء السلاح وتوزيعه على الشوريين للقيام باغتيال شخصيات من حزب الاستقلال، هكذا كانوا يتوهمون، كان الطغاة أثناء التنكيل بأخينا عبد الله يأمرونه بأن يعترف بأن الأستاذ أحمد بنسودة هو الذي

يتزعم هذه التنظيمات والخلايا السرية الشورية التي تدعو الى الانتقام، ويقرنون اسمه بأبشع ما يتصور الانسان من الألفاظ الفاحشة والكلمات البذيئة، وطبعا يرفض السيد عبد الله ويعودون لجلده مرات ومرات وهو يقاسي من عذابهم وويلاتهم حتى يفقد وعيه، ثم يأتي دور المجاهد البطل محمد بن عبد الكريم الخطابي والمراسلات العديدة التي كان يتبادلها مع الاخوان الشوريين، وخاصة الأخ بلفلاح حجاج بالعنوان الآتي : 66، زنقة سكاكيني باشا ـــ كبري القاهرة.

وعن نوع المراسلات وما تحويه، فإن حجاج هو الذي كان يتولى تحريرها وإرسالها الى المجاهد الخطابي. وكانت جلها تدور حول الاستعمار الفرنسي، والمفاوضات التي كانت تجري آنذاك. وكان يرى أن تلك المفاوضات يجب أن تشمل جميع الأراضي التي كانت خاضعة للسيطرة الاسبانية. وتبين بعد ذلك أنه كان على صواب نظرا للمتاعب التي عرفها المغرب بالمعارك التي خاضها من أجل استرجاع أقاليمه الجنوبية. وأن العلاقات الشخصية التي كانت تقوم بين شخصيات من حزب الاستقلال و «كارسيا فالينيو» كان الاسبان ينشرونها لصالحهم بالتماطل والتسويف، وقوائم المعتقلين والمختطفين والمغتالين فرادى وجماعات من الشوريين والهلاليين، ومراكز التعذيب التي كانت تغطي أهم أقاليم المملكة.

نعم، كان الأخ حجاج بلفلاح يتصل بالمجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي عن طريق المراسلة ويطلعه على كل شيء يجري في مغربنا العزيز، وكان هناك بعض الاخوان الذين اتصلوا به مباشرة في القاهرة، واستقبلهم ورحب بهم وأكرمهم وقدم لهم مساعدات كبيرة، أذكر منهم بالخصوص الحاج محمد الجديدي وعبد الله الدكالي وطلبة شوريون كانوا

يدرسون بالقاهرة، دون أن ننسى العلاقات الحميمة والودية التي جمعته والمرحوم الأستاذ محمد حسن الوزاني. والشعب المغربي كله. كان على علم بهذه الروابط الأخوية، ولكن أهل الستيام لا يستسيغون هذه الأمور التي يعتبرونها تجاوزا بل خيانة للوطن، لأن كل من كان لا يومن بحزب الاستقلال وسياسته فهو مارق خائن، ومغضوب عليه في الأرض والسماء.

لقد بلغت بهم الغطرسة والغرور أن من كان لا يحمل بطاقة عضوية حزب الاستقلال، يجب أن تسحب منه الجنسية المغربية، ومن كان يرغب أن يعمل في حمل البضائع بميناء الدار البيضاء لا بد أن يقدم توصية من دائرة الحزب أو بطاقة الحزب أو أي وثيقة تثبت انتماؤه لحزب الاستقلال؛ هذه النكبات والمخازي التي أسقطت الأقنعة عن وجوه الذين كانوا يتبجحون بالوطنية والأخلاق أعلنوها حربا شعواء على الشوريين والهلاليين وكل من لا يسير في ركاب حزب الاستقلال.

في هذه الأجواء المحمومة كان يعذب بن الجيلالي ورفاقه ويتعرضون لأقسى ضروب التنكيل والقهر، ويعاملون بوحشية بالغة، عرفوا كإخوانهم التعذيب بالماء والكهرباء والتعليق والضرب وأشياء أخرى من باب الأخلاق لا يستطيع المرء ذكرها ! وكنّا، يقول عبد الله الجيلالي، نستمر معلقين بضع ساعات، ومن وقت لآخر كنا نستنطق بالضرب عن مكان حجاج! وأين يمكن أن يكون مختفيا. ويضيف : أخذوني ذات صباح معصب العينين الى مكان خارج الستيام بعد ما ركبنا سيارة وقطعنا مسافة طويلة، وقدموني الى شخصية مسؤولة في حزب الاستقلال على أنني وحجاج الذي هو في حالة فرار والمجموعة على أننا نخطط للقيام باغتيالات واختطافات ضد رجال حزب الاستقلال، لاسيما في القيادات

العليا. ويزيد مضيفا أقواله : وعلمنا بعد هذا أن هذه الشخصية المرموقة هي التي كانت مسؤولة عمليا عن منطقة الستيام، وأوصتهم بأن لا يتركونا نستريح أو نتنفس، فالعذاب بجميع أشكاله يجب أن يستمر حتى نعترف بأن المكتب السياسي لحزب الشورى هو الذي وجهنا وأمرنا بتنفيذ خطط الاغتيالات والاختطافات، وخاصة محمد بن عبد الله الشرقاوي وأحمد بنسودة والمرحوم فاضل المؤقت، وقد أعطيت هذه التعليمات لطاقم التعذيب الذي كان يتكون من :

1 – الحسين توش لودو
2 – الحاج الأعـور
3 – الأخوان بنجلون
4 – الحسين سرحان.

ولعل هذا ما دفع الحاج الأعور أن يقول لنا بصريح العبارة ذات مرة : سنخصص لكم ضيافة في مستوى إبراهيم الوزاني وعبد القادر برادة وعبد السلام الطود. يعني التصفية الجسدية ! وفعلا استأنفوا جلدهم لنا على أيدي أشخاص تمرنوا وتمرسوا على الجريمة وتفننوا في التنكيل بنا بمختلف الطرق التي لم نكن نتصورها مطلقا.

هؤلاء المجرمون الجلادون فقدوا آدميتهم بالمرة، وأصبحوا يتصرفون معنا تصرفات لا تمت إلى الآدمية بالمرة، وأمام هذه الحالة والإرهاب الذي كان مستحوذاً على بعض ضعفاء الإيمان، كانوا يدفعون بعض المعتقلين والمختطفين لترديد كلام كالببغاوات. من ذلك ما قاله السيد عبد الله الوكيلي للاستاذ إدريس الطود (لا تصبّ مع أولئك الشوريين لأنهم أرادوا أن يقتلوني). وهكذا اطمأن السيد الطود إلينا، وأخبرنا بقصة اختطافه، هو وعدد كبير من الشوريين بالشمال، بالطريقة التي كنا نتبادل بها

المعلومات يومياً تقريباً عبر براد الشاي (نضع في مقدمته ورقة صغيرة تحتوي على جميع المعلومات سواء داخل مركز الستيام أو تطورات الاستنطاقات وأخبارها، وكذلك خارج أسوار الستيام، وما يقوم به الحزب لصالح المعتقلين والمخطوفين من نشر صورهم وكتابة مقالات إخبارية وتحليلية قصد فضح مجازرهم ومذابحهم داخل مراكز التعذيب. كما أخبرت حجاجاً عن نفس القناة المذكورة أنهم ألحوا كثيراً حوله وعلاقته ووجوده المستقر في وقت معين واتصاله مع عبد السلام التدلاوي — البقالي — الزرهوني — العروسي — عبد القادر برادة — إبراهيم الوزاني — وعبد السلام الطود.

أستسمحك أيها القارىء العزيز، مرة أخرى لنسترسل في مأساة عبد الله بن الجيلالي ورفاقه الذين صُلّبوا لمدة ثلاثة أيام كاملة، وخلال دجنبر في عنفوان فصل الشتاء، فماذا سيكون حكم الأجيال الحاضرة واللاحقة على هذه الصور التي سقتها منذ بدء هذا الكتاب والتي هي من صنع حزب الاستقلال ؟

مجازر — مظالم — اعتقالات — اختطافات — تشريد — خطط جهنمية خططت لها ونفذتها قوى الشر من حزب الاستقلال واستبدت وعاثت في الأرض فساداً.

كل الشوريين والهلاليين — الشاب والشيخ — الرجل والمرأة — المريض والسليم — كلهم أمام الجلد وتحت السياط والتعليق والصلب وسائر أنواع التعذيب سواء. إنها مساواة حزب الاستقلال في البطش والجبروت. ماذا يرجى من هؤلاء القتلة السفاحين الذين لم يترددوا في تمزيق لافتات الترحيب والفرح بقدوم محمد الخامس رحمه الله وعائلته، في زيارته الأولى للدار البيضاء بعد رجوعه من المنفى وتحطيم صوره؟

هكذا مرت على إخواننا، وفي مقدمتهم السيد عبد الله بن الجيلالي، خمسة وعشرون يوماً بتمامها من العذاب الجهنمي، وهم صابرون صامدون صمود الأبطال، وسيقوا إلى محكمة «الحزب العتيد» بتهمة الإتلاف بواسطة آلة انفجار والمشاركة فيه والسرقة في ظروف مشددة والمشاركة فيها ومسك القنابل ومواد الانفجار، والاطلاع على مشروع اعتداءات وعدم تبليغه، وتكوين عصابة للإجرام، هذا ما يقوله حرفياً صك الاتهام الذي هو بين أيدينا كوثيقة تاريخية قصد الإثبات وتعزيز أقوالنا.

ما أطول وأعرض هذه التهم الفريدة من نوعها، يا سلام دفعة واحدة!! يقوم هؤلاء الناس بهذا كله، إن أصحاب الانقلابات الفاشلة في أمريكا اللاتينية وإفريقيا لا توجه لهم هذه التهم دفعة واحدة. يقول صك الاتهام بالحرف الواحد في فقرته الأولى :

(بتاريخ 27 نوفمبر 1956، أخبر مصلحة الشرطة رجل رغب في عدم فضح اسمه بأن شخصين طلبا منه حمل مفرقعات في سيارته، وعلى إثر الوشاية هذه تمكن رجال الشرطة من إلقاء القبض على المسمى محمد بن الطاهر أحمد والمكي بن أحمد أثناء ركوبهما في السيارة المذكورة، ووجدت معهما خنشة بها قنبلتان وعشرون قنوطاً من فتيلة السيكفورد! وإحدى وعشرون قرطاسة وأطراف من الحديد، وثلاث مفرقعات. وبعدما سيق الشخصان لمركز الشرطة ووقع استنطاقهما اعترفا بأنهما ينتميان لمنظمة تسمى ــ أنصار الحق ــ. أسست حوالي شهر ذي الحجة 1375).

إن التمعن في هذا الكلام العجيب، يعرِّف من الوهلة الأولى أن الأشخاص الذين كانوا وراء هذه المسرحيات المكشوفة هم أشخاص

كانت دوافعهم الأساسية الانتقام ومقاومة كل فرد أو جماعة أو هيئة لا يخضعون لما يريده حزب الاستقلال الذي كان يتصرف في البلاد والعباد، كأنهما ملك له لا يشاركه أي أحد في هذه الملكية وإلى الأبد.

وهكذا استمرت هذه القضية تنتقل من محكمة إلى أخرى، وجاء الاعلام بقرار الإحالة من محكمة الاستيناف (غرفة توجيه التهم) على المحكمة الجنائية بتاريخ 6 فبراير 1958، ومعلوم أن تاريخ الاعتقال كما جاء في صك الاتهام هو 27 نوفمبر 1956 : سنتين من العذاب والآلام هي حصيلة تلك المجموعة التي كان قدرها هو ذلك المصير اللعين.

هل لي أن أتساءل لما لم يحاكم حزب الاستقلال ولو أدبياً على ما ارتكب من جرائم ليستطيع المغرب أن يواجه التاريخ، ويقف ورأسه مرفوع؟ إن الأمر لجد خطير إن لم يبرأ المغرب من جرائم وقعت في عهد وسيطرة وحكم هذا الحزب. وإلى أن يأتي ذلك اليوم فسيظل المغرب كله مسؤولاً عن تلك الجرائم والفظائع إلا ضحايا هذه الجرائم وأنصارهم وقادتهم وأطرهم ومنظمات الهلال الأسود والشوريين والمواطنين الشرفاء الذين أدانوا بكل شجاعة تلك الجرائم البشعة ورفعوا أصواتهم عالية باستنكارها بل ومقاومتها بكل ما أوتوا من عزم وقوة، إنها كانت بحق معركة الشرف بين الحق والباطل وبين الديمقراطية والديكتاتورية !

شعر القائد محمد الخامس تغمده الله برحمته بخطورة الأوضاع ومحاولة هؤلاء الذين يريدون خلق دولة داخل دولة، وفرض الأمر الواقع على الشعب المغربي، كما حدث في تونس! ولم يتردد وزير الداخلية الحزبي حين قامت الحركة الشعبية بقيادة الدكتور عبد الكريم الخطيب والمحجوبي أحرضان في إلقاء القبض عليهما ونقلهما إلى سجن عين قادوس بفاس.

ولكن الرائد العبقري جلالة محمد الخامس طيب الله ثراه عرف بحكمته وتجربته كيف يجعل حداً لأحلام حزب الاستقلال التي كانت مجرد أحلام يقظة، فأصدر ظهير الحريات العامة في سنة 1958 الذي كان بمثابة ضربة قاضية على خصوم التعددية الحزبية، وأمر بنقل كل أفراد عصابة الستيام إلى مدن أخرى، وبهذا بدأ يتبخر حلم حزب الاستقلال، والسجون والمعتقلات تخف من نزلائها الذين بقوا على قيد الحياة. أما الذين اختطفوا أو اعتقلوا ولم يعودوا فهم دائما بيننا بأرواحهم الطاهرة، فانقضاء الأعوام يزيدهم في قلوبنا وقناعاتنا رسوخاً وعمقاً، ثم استعلاء على الموت، فلله دركم، ما أصبركم أيها الشوريون والهلاليون! لقد عبَّدتم مع المغتالين والمشنوقين والمذبوحين الطريق الواضح، ورسمتم معالم الفوز والانتصار، وأعظم تاريخ للحرية هو الذي يكتب بدموع الأرامل والأطفال والآباء وبدماء الشهداء الزكية.

وجاءت سنة 1959 تحمل الخزي والعار للطغاة الذين انقسموا على أنفسهم وبدأوا يتبادلون التهم في موضوع الاغتيالات والاختطافات! ولم يخجل أحدهم بالإسراع إلى ضحاياه يتودد إليهم، ويخبرهم بأنه سيتبنى أفكار حزب الشورى التقدمية الثورية ! إن هم إنضموا إلى أفكاره التي تدعو إلى إلغاء الزعامات ونبذ الحزبية، وقد استطاع أن يقنع ويستدرج بعض الشخصيات من المكتب السياسي وبعض أطر الحزب، ولكن الجماهير الشورية صمدت صموداً رائعاً في وجه الترغيب والترهيب.

وهنا مرة أخرى تقتضي بل تفرض الأمانة التاريخية أن أعود إلى المواقف الشجاعة لعبد الله بن الجيلالي وحجاج بلفلاح وأحمد جحفل بن العربي والحاج أحمد بن العربي الصفرسوس والحاج بوشعيب الحجار ومحمد بن اسماعيل وعز العرب محمد المكناسي الذين شاركوا في حملة

التوعية والتوضيح وإعادة تنظيم الأقسام وذلك بتفان منقطع النظير. وقد قدموا هذه الأعمال وأعطوها الأولوية على بيوتهم وأولادهم وأعمالهم، بل أكثر من هذا تلقوا التهديدات بالموت لا سيما عبد الله بن الجيلالي، وحجاج وكاتب هذه السطور عبد الله الرداد، ولم يبالوا بكل تلك الأخطار التي كانت محدقة بهم خصوصاً وأن الجناح الذي كنا نتلقى منه التهديدات كان أنصاره ما زالوا في حكومة عبد الله إبراهيم.

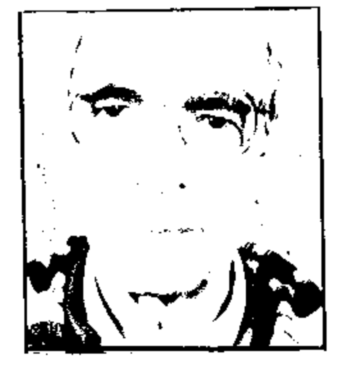
حاولوا معنا بجميع الوسائل والأساليب لجرنا إلى صفوفهم، ومرة أتذكر ذلك جيداً طلعوا علينا بشعار لا حزبية بعد اليوم، فكان جوابنا على الفور : لا مغالطة بعد اليوم !

وبهذا تمكنت هذه المجموعة المؤمنة في أن تقود سفينة الحزب بالبيضاء ونواحيها، وتحافظ على وحدة الحزب وكيانه وهيبته، وكانت على اتصال مباشر يومياً مع الأستاذ الأمين العام محمد حسن الوزاني سواء في البيضاء أو طنجة أو فاس، كما كانت على اتصال مماثل بالأستاذ الجليل والمجاهد الكبير الحاج أحمد معنينو أمد الله في عمره.

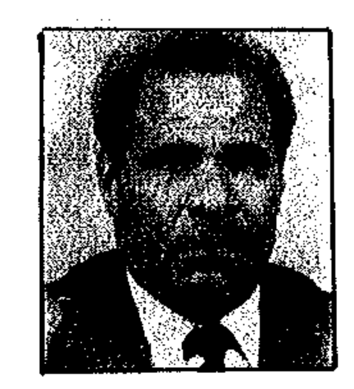
وقد كانت هذه الفئة الصامدة تحظى بعطف ورضى الأستاذ الوزاني وتحتل مكانة رفيعة لديه على ما قدمته للحزب من خدمات جليلة بإيمانها وصبرها وتجندها وتصدّيها للخوارج والمنخدعين الذين غرر بهم !

وبمناسبة انتخابات المجالس البلدية والقروية الأولى التي جرت في سنة 1960، اقتنع المنخدعون والمتحمسون الذين تزعموا تلك الحركة المشؤومة، أنهم استُعملوا كلهم كآلات ليصل زعماء الحزب الجديد إلى أهدافهم وأغراضهم وأحلامهم التي لم يستطيعوا أن يحققوها بالاغتيالات والاختطافات، ولكنهم فشلوا مرة أخرى، وبدأت الانسحابات تعلن بواسطة الجرائد من حظيرة الاتحاد الوطني للقوات الشعبية يومياً، ثم جاء

جماعة من المقاومين المحكوم عليهم بالاعدام .


رحال الشرقاوي


الحاجة حليمة البورقادي


الحاج عدة بنسعيد


عكراش بوشعيب .

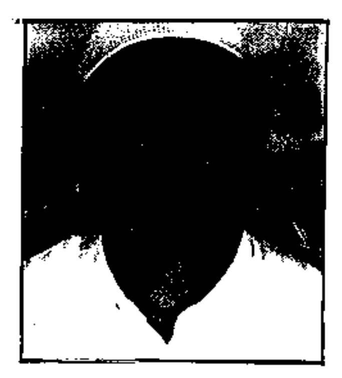

عبد الله الحداوي


الحاج المختار محرز

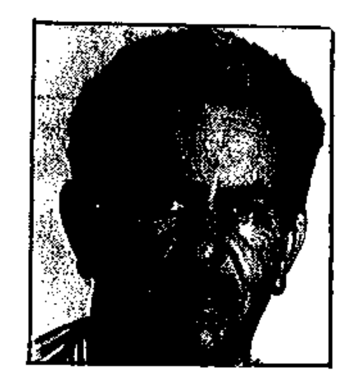
مجموعة من جمعية المتطوعين التي يرأسها الأستاذ عبد الله الرداد



الشيخ الطايع عبد الله بن الجيلالي



أحمد رؤوف



محمد السوسي



بريك بن ميلود



الجيلالي الدكالي



فكري مصطفى

انسحابها وتعيينها في سفارات بالشرق العربي، وكان من بين هذه الشخصيات والأطراف المتوسطة من قام بجولات عبر الأحزاب الجديدة اللاحقة فيما بعد !

تعقيب على كتاب أوراق من ساحة النضال

كنت في السنوات الأخيرة قرأت كتاباً لأحد قدماء الوطنيين المؤسسين للاتحاد الوطني للقوات الشعبية تحت عنوان : (أوراق من ساحة النضال) وكنت أقف عند بعض الفقرات وأعقب عليها في قرارة نفسي ولا سيما الفقرات التي تتناقض مع مواقف الكاتب من 1956 الى غاية 1960.

يقول الأستاذ عبد الله إبراهيم في الصفحتين 214 و215 ما نصه :

ـ هذا الوضع الوطني المفجع، الذي يعوم فيه الشعب المغربي الآن عوماناً ويلتمس المخرج منه باستعجال هنا وهناك، لم تخلقه فجأة أحداث 10 يوليوز، ولم يكن نتيجة لا مباشرة ولا غير مباشرة لما وقع يوم 16 غشت، بل كان هو التسلسل المنطقي والعقبى القدرية لاختيار تاريخي فاسد، جرى في سنة 1960.

وتعقيبي كالآتي على هذا الكلام للاستاذ عبد الله إبراهيم مع احترامي وتقديري لمواقفه الوطنية قبل الاستقلال : أنا لا أدعي أنني أعرف كل شيء، ولا أدعي أني قمت بكل شيء، وجل ما هناك، أن ما قمت به أو ساهمت به، وما اطلعت عليه ينبع من وقائع وأحداث كتب لي أن أعيشها وأصنعها وأنفذها. إن الأسباب الرئيسية تعود أصلا إلى تلك السيطرة والاحتكار الذي قام به حزبكم، عفواً حزب الاستقلال، يا أستاذ

عبد الله إبراهيم منذ نوفمبر 1956، واستولى بالقوة على جميع أجهزة الدولة تقريباً ونصب نفسه وصياً على الشعب المغربي، كل من كان يخالف تعاليمه وسياسته فمصيره الاغتيال والاختطاف، وفتح السجون الرسمية وغير الرسمية، ومراكز التعذيب وما — **دار بريشة** — ببعيدة عن الشعب المغربي، هل لي أن أتساءل معكم ؟

أين كان دعاة الوحدة والاشتراكية والتقدمية إلى آخر القائمة؟ كان بإمكانكم أن تقولوا كلام 1972 في تلك الظروف المظلمة، خصوصاً وأنتم وزير في حكومة البكاي ومسؤول عن الاعلام، لماذا لم تقولوا إن الاختيار الفاسد كان يوم كنتم ضمن من طالبوا بحكومة الانسجام؟

هل يعرف أخي الاستاذ الكبير عبد الله إبراهيم أن عشرات من أبطال المقاومة شوريين وهلاليين تمت تصفيتهم الجسدية بأوامر من اللجنة التنفيذية التي كان ينتمي إلى عضويتها ويشاطر إخوانه فيها أفكارهم ومعتقداتهم الحزبية، لا شك أن الأستاذ عبد الله إبراهيم يعلم بمذبحة سوق أربعاء الغرب التي لم يرحم القتلة فيها حتى الأطفال!!

إن الأستاذ عبد الله إبراهيم على علم بمئات المختطفين الشوريين والهلاليين الذين هم في عداد الموتى اليوم بعد مرور 32 سنة على اختفائهم كالسيد عبد القادر برادة وإبراهيم الوزاني وخليفة بن العربي ومصطفى خلمي ومبارك القصري وميلود الزياني وبوعزة رشد وكرنفال وغيرهم من الرجال الأفذاذ.

ويزيد الأستاذ عبد الله إبراهيم في الصفحة 242 من نفس الكتاب قائلا : إن تاريخنا المعاصر، تاريخ المغرب المستقل، لا زال لم يكتب بعد أو على الأصح لم يتناول إلا من وجهات نظر إما رسمية وإما متحيزة دائماً في

خدمة مصالح لا تمت لمصلحة الشعب والبلاد بصلة، ولهذا كثيراً ما تطمس حقبات ومواقف، فلا تبقى إلا في ذهن من عاشوها وتغيب بالتالي عن ذهن من يهمهم الأمر أكثر من غيرهم الخ.. عظيم وجميل هذا التعبير عن تلك الفترة البعيدة والقريبة في آن واحد.

أخي الأستاذ عبد الله إبراهيم.

من هو الشخص الشجاع أو الثوري كما تسمونه يتجرأ ويصدع بالحق ويروي بإنصاف أخبار الاضطهاد والقمع والتنكيل والاغتيالات والاختطافات بالجملة التي تعرض لها الشوريون والهلاليون في فجر الاستقلال وحتى في ظل حكومتكم «الموقرة» كانت مراكز التعذيب لا زالت قائمة وخاصة بدرب مولاي الشريف حيث كانت مجموعة من الأبطال التابعين للحركة الشعبية رهن الاعتقال الذي دام بمركز الستيام ما يزيد عن ستة أشهر، وكان من بين المعتقلين الحركيين رجال من حزب الشورى والاستقلال اتهموا بالتعاون مع الحركة الشعبية ومنهم على سبيل المثال : بريك بن ميلود الخياط الذي سبق أن شرف معي وبقية الاخوان الآخرين مركز الستيام بالبيضاء والعربي الكثيري البيضاوي والحاج حسن البولانجي، ومكثوا في سجن لعلو مدة عام بالتمام والكمال. وبعد رحيل حكومتكم بأيام قليلة أصدر جلالة الملك محمد الخامس رضوان الله عليه العفو عليهم.

وفي صفحة 290 : الأعمال تبقى لحكم التاريخ.

(رقابة رسمية لا تستند، شكلاً ولا روحاً، على أي نص قانوني، تسخر الشرطة الوطنية، في إطار غير قانوني، للاطلاع قبل الصدور، على الصحف الوطنية في المطبعة، ولحجزها أحياناً في المطبعة إلخ...)

لا حول ولا قوة إلا بالله ! حينما كانت تسخر الشرطة الوطنية لقتل الشوريين والهلاليين في بيوتهم تارة وأخرى في مراكز التعذيب وأحياناً في الشوارع، كانت قانونية ! وحينما كانت تداهم البيوت ليلاً وتهاجم الأبرياء، كان كل شيء يستمد ويستند، شكلاً وروحاً، على نصوص قانونية ! وحينما كانت تنتهك أعراض الشوريين والهلاليين وتنهب أموالهم وأمتعتهم كان كل شيء ينفذ ويطبق في إطار القانون !

وبما أن سيادتكم سبق أن تحملت مسؤولية وزارة الأنباء، لا يخفى عليكم ما تعرضت له صحف حزب الشورى والاستقلال كجريدة «الديمقراطية» بالفرنسية وجريدة «الرأي العام» بالعربية من مضايقات وتعسفات لا سبيل إلى حصرها، وأشهرها عرفها الرأي العام الوطني والافريقي والعربي والدولي من محاصرة مطبعة صحف الحزب بشارع دانطون سابقاً حينما سارعت إلى استنكار هجوم القوات الفرنسية على ساقية سيدي يوسف! كما دعت إلى عقد تجمعات ومهرجانات تضامناً مع الشعب التونسي، وكان رد حكومة «حزبكم العتيد» غير لائق إذ لم تقنع أو تكتفي بحجز الجريدتين، بل أوقفتهما وضربت حصاراً على حي المعارف كله خاصة منطقة دانطون. (شارع بئر إنزران حالياً)، والملعب الشرفي، ودام هذا الحصار أكثر من أسبوع.

وقد قام عمال مطبعة «الأمل» بمظاهرات صاخبة احتجاجاً على حصار جرائد الحزب ـــ وكان رد المرحوم إدريس المحمدي سريعاً بقمعه تلك المظاهرات واعتقاله عدداً كبيراً من المتظاهرين. ولمعلوماتك الخاصة أضيف ما يلي : لم يتردد السيد المحمدي في إعطاء الأمر بتفتيش الأمين العام الأستاذ محمد حسن الوزاني عند خروجه من مطبعة جريدتي الرأي العام والديمقراطية. ولعل أخوتكم إن أرادت التأكد من هذا فلتتصفح

كتاب «دار بريشة أو قصة مختطف» فستجد كل ما ذكرت معززا بالصور وخاصة صورة الأستاذ الوزاني وهو يفتش !

الأستاذ عبد الله إبراهيم.

ماذا سيقول التاريخ النزيه عن كل هذه الأحداث الخطيرة، إنها نكسة ولا أقول كارثة، وما أكثر نكسات هذا الشعب المغربي الأبي، لقد تعددت فما أعظمها ! وما أعظمها! لقد أصابت شعبنا نكسات ونكسات... وأخيراً نكسة **1956**!!!! التي تسلّم بموجبها حزب الاستقلال التحكم في رقابنا، وكانت طامة كبرى على المغرب الحبيب، هذه النكسة الجديدة جعلت الحزبيين يستعمرون أجسادنا بالاغتيالات والإعتقالات والاختطافات نيابة عن المستعمر الفرنسي، ويذيقوننا من العذاب أصنافاً ومن ألوان البطش والتنكيل ما تمتلىء به نفوس القتلة والمجرمين حقداً وضغينة.

ومن الفقرات المختارة في صفحة الكتاب الاخيرة يكتب الأستاذ عبد الله إبراهيم ما نصه :

(نظام حزب الدولة الوحيد المملى من القمة الحاكمة على القاعدة الشعبية بشكل انفرادي، لا يخلق — ولو كان ينطبع في التظاهر بطابع ثوري — سوى وحدة مزيفة ومفروضة، ومعرضة باستمرار للزوابع بين القاعدة والقمة الخ... ويقول في نفس الصفحة وفي فقرات أخرى :

(جماهير مهرجانية، غير منظمة، وأهداف ضبابية ذات طابع غوغائي وكفاح شعبي غير متمرحل، وتيارات انتهازية هنا وهناك الخ...)

فسبحان الله يا أستاذ عبد الله إبراهيم !

كنتم جميعاً دون استثناء في قيادة حزب الاستقلال، تقولون وخصوصاً في أواخر 1955 وأوائل 1956 الى غاية انقسامكم رسمياً في سنة 1959، إنكم القوة الأولى في المغرب، وعلى هذا الأساس يجب أن يتعود الجميع على اتجاه واحد موحد ومنسجم داخل الحكم وخارجه ودون معارضة لنتمكن من قطع أشواط مهمة في البناء والتشييد، وبصريح العبارة قيام حزب وحيد.

لقد حاولتم فرض الوحدة المزيفة والمفروضة، إلا أنها كانت تصطدم وباستمرار مع الرأي الآخر، لأن الرجال المغاربة، كما يعلم الأستاذ الجليل، كانوا ولا زالوا عشاق الحرية وخصوم العبودية منذ 14 قرناً. تقولون جماهير مهرجانية وغير منظمة إلى آخر الصفات والنعوت التي ألصقتموها بالجماهير المغربية. من المسؤول عن ذلك؟

كنتم تجيؤون بالجماهير من أجل التصفيق والهتاف، عندما تلقى الكلمات الرنانة، وترفع الشعارات الثورية الزائفة، هذا هو دورها الحقيقي. وليس من حقها إبداء أي رأي أو ملاحظة تمشياً مع الشعار الخالد لحزب الاستقلال : «من قال لماذا؟ فإنه لا يفلح أبداً»!

إن صراحتي معكم ربما كانت قاسية حول ما جاء في كتابكم الجميل من النظريات، فرجائي أن لا يغضبكم هذا التعليق وإن شئتم فاعتبروه مجرد نقد من أحد ضحايا دكتاتورية «حزبكم العتيد» !

لقد تحملت مع الإخوان الشوريين والهلاليين في مركز الستيام والسجن المدني بالبيضاء والسجن المركزي بالقنيطرة إهانة النفس والضرب بالسياط وتمزيق الأبدان والتنكيل والبطش والقتل والتجويع والعطش و.. فأرجوكم أن تتحملوا مشقة الاطلاع، وبصدر رحب، على هذه الكليمات !

وإيماناً منا نحن الشوريين والهلاليين أن فترة تعذيبنا وسجننا هي من حق التاريخ، ومن حق الذين على الطريق أن يعوها ويدرسوها حتى يبقوا على طريق الكفاح والنضال الشريف. ولا تتحول قضيتهم إلى سفسطة كلامية وحديث ترف وأسطورة تاريخ.

نعم، إننا لا نستعجل الزمن، فالسنون، عثراتها ليست بذات قيمة في عمر المبادىء والأمم، ولكن العبرة أننا ثابتون على الطريق مؤمنون بالسلامة من الخطأ وبوضوح الرؤية.

الخاتمــة

المــوت... والقتلــة...
وتصفية الحسابات بين أدوات الموت وأسيادهم

قد ينسى أو يتناسى المجرمون القتلة أنهم لا مفر لهم من أن يشربوا يوما من الكأس ــ كأس الموت ــ يتناسون ذلك فيتجبرون، ويطغون ويعذبون. وتدور عجلة الأيام، وتقبل أجيال وتنقضي أعمار، وتبلى أجسام وتنزع أرواح انتزاعا فلا يمكن ردها (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) صدق الله العظيم.

كنا مازلنا داخل السجن المدني بالبيضاء، حين تناقل الناس نبأ اغتيال أحمد الطويل ! وإصابة أحد اصدقائه المعروفين في أوساط النقل، ويتعلق الأمر بالمسمى عريبات بجروح بليغة بشارع (داماد سابقا) وشارع الحسن الثاني حاليا، وبالضبط في ملتقى الطرق المعروف وقته بملتقى أوروبا (وسبع شوانط) في ليلة من ليالي خريف 1956 حوالي الساعة الثامنة والنصف ليلا، وقد ذهب الناس في تفسير هذا الاغتيال مذاهب شتى، كل من زاويته الخاصة وبروايته الشخصية.

هناك من يقول. بعد انتهاء مهمة أحمد الطويل قرر أسياده في «الحزب العتيد» التخلص منه لتدشين مرحلة جديدة بوجوه جديدة وعقليات جديدة ! وهناك من أطلق العنان لخياله وتحدث عن انتقام ربما يكون وراءه الشوريون والهلاليون ؟

وجاء اغتيال رحال المسكيني من طرف أشقاء أحمد الطويل، مسعود وبوشعيب ليجعل حدا لكل هاته التفسيرات والتأويلات !

وعقب هذه التصفيات المافياوية (نسبة الى لامافيا) وتتويجا لذلك الفصل الدموي الأخير من الرواية ــ الوستيرنية ــ بشارع الفداء، حيث حاول أشقاء الطويل ومن كان معهم، خاصة المامون والمعطي الأشهب والمعطي بوعبانة ومحمد العروبي قمر وسيمكا وعباس (سائق السيد مدير الأمن الاقليمي) احتلال مكتب المقاومة بشارع الفداء، كما تقول رواية بعض من شارك في هذا الاقتتال.

والمؤكد في هذه القضية، أن كل شيء كان مخططا له من قبل ! ولأجل تنفيذ هذا الفصل الأخير جرى اتصال مبكر في الساعة السادسة صباحا بالمكلفين بتصفية بقايا مجموعة أحمد الطويل، واستمر الاقتتال والتراشق بالرصاص الى غروب الشمس، حيث قُضي على آل أحمد الطويل قضاء مبرما، بعد ما سقط الضحايا داخل المكتب وخارجه، وتقول بعض الروايات إن عدد الضحايا بلغ عشرين.

والله وحده يعلم أننا ما كنا يوما شامتين لموت أحد ؟ فهذه آجال وأعمال مقدرة بمقدار فلا يعدو انسانٌ أجله ؟ ولا يستبق من عمره شيئا ولكن الموت نذير البشرية، وناقوس فنائها ! وعندما يأتي الأجل لهم أو لغيرهم، ينتقلون الى دار الحساب حيث الثواب والعقاب ؟ ويتركون كل شيء من ورائهم ــ القوة ــ البطش ــ المال ــ الجاه ــ السلطان ــ الأهل...

والأمر الذي ما زلت حائرا فيه الى الآن رغم مرور 32 سنة على هذه الاحداث كيف حملت بعض الأزقة والشوارع وبسرعة قياسية مذهلة أسماء محمد الزيراوي ــ إبراهيم الروداني ــ رحال المسكيني وغيرهم، ولكنى أقنع نفسي في غالب الأحيان أن هذا راجع الى سيطرة «الحزب العتيد» على كل شيء تقريبا آنذاك ؟ ولم تحمل أسماء شوريين أو هلاليين أو غيرهم ! كالعيدي البيضاوي ــ مبارك الحوات ــ محمد جضهيم ــ

أو من الشوريين أو الهلاليين كعبد الواحد العراقي ــ المكناسي ــ محمد بوشعيب الخياطي ــ العربي السفياني ــ عبد الله البولانجي ــ عبد الله الحداوي ــ لحسن الرضواني ــ محمد بن بوعزة ــ لحسن الكلاوي ــ الدكتور الادريسي ــ عبد الكريم بن عبد الله ــ محمد الحداوي ــ حجاج العسكري (شهداء معركة سيدي معروف الشهيرة) وغيرهم كثيرون.

وأثناء وجود الحاج حمزة كعضو في المجلس البلدي بالبيضاء، حاول محاولة نبيلة يشكر عليها، واقترح لائحة طويلة بأسماء عدد كبير من رجالات المغرب على اختلاف اتجاهاتهم، وأدرج في القائمة بعض الأسماء أظن أنني لا زالت احتفظ بها، وهي.

1 ــ الرئيس امبارك البكاي
2 ــ العلامة مولاي محمد بن العربي العلوي
3 ــ المقاوم الشهيد عبد الله الحداوي
4 ــ المقاوم الشهيد عبد القادر التورنور
5 ــ الانسة ثريا الشاوي
6 ــ المقاوم محمد المكناسي... وغيرهم كثير.

وجاء الجواب مخيبا للأمل من «مؤرخ الحزب العتيد»، عفوا مؤرخ المملكة المغربية الذي قال :

(إن أسماء الشوارع والأزقة تعطي لشخصيات تتوفر على مميزات علمية وأدبية وتاريخية، أو من كانت لهم مراكز اجتماعية وثقافية بارزة !)

كان الحاج حمزة الأمين متيقنا من الرفض بالنسبة لبعض الأسماء، ولكن ليس لكل الأسماء التي كانت في القائمة الطويلة، وضمنهم المرحوميان الرئيس امبارك البكاي والعلامة مولاي محمد بن العربي العلوي.

المفروض في هاته الحالة كان يجب على المعترض أن ينسى نهائيا تبعيته السياسية، ولو ظاهريا على الأقل، أمام المصلحة والاعتبارات الأخلاقية والوطنية ولكنه تصرف بطريقة ملتوية ولم تكن لديه الشجاعة الأدبية لتبرير رفضه !

كيف يعقل أن يتجاهل الانسان مواقف الرجلين البطلين الرئيس امبارك البكاي، والعلامة مولاي محمد بن العربي العلوي. فإني وأن كنت لا أشاطر هذا الأخير فكره السياسي ولكني كنت ومازلت أحترمه كوطني مخلص وعلامة متفتح.

وجاءت وفاة احميدو الكهربائي الوطني رحمه الله في الظروف التي يعرف الجميع في السنوات العشر الأخيرة لتبين للناس جميعا مدى تحزب وأخلاق الأشخاص الذين اعترضوا على أسماء المقاومين... اذ أصبحت ساحة (كانكوس) الكائنة بطريق مديونة، قرب القصر الملكي، تحمل اليوم اسم احميدو الوطني !

ان جميع الناس الذين يعرفون المرحوم السيد احميدو الوطني ومواقفه المشرفة بقطع النظر عن انتماءاتهم صفقوا بحرارة لتلك الالتفاتة لصالح احميدو الوطني، إلا أنهم استغربوا واندهشوا في نفس الوقت أن تلك الالتفاتة لم تشمل الأشخاص الذين سبق ذكرهم، وهم جميعا لا يقلون مكانة ولا وطنية عن المرحوم احميدو. على أي حال، لله الأمر من قبل ومن بعد.

التركة المأسوية التي خلقتها سيطرة وفوضى حزب الاستقلال ليست هينة. وأوضح ما يميزها النكبات والفواجع التي أصابت العشرات والمئات من الأسر بسبب اختفاء الأب أو الأخ أو الابن، وما ترتب على ذلك من مشاكل ومصاعب، وعلاج تلك المشاكل يتطلب الصبر

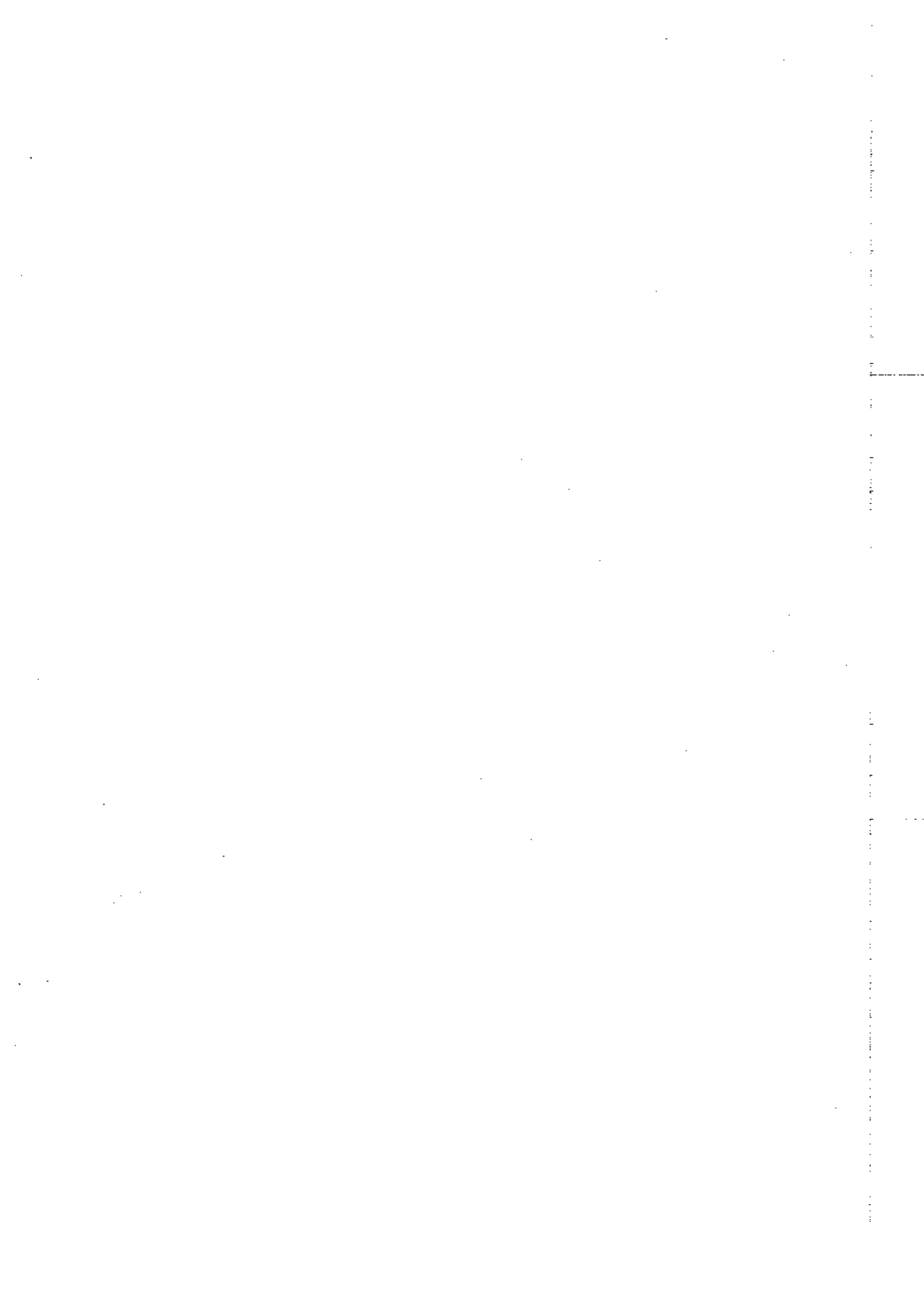
والحكمة وتعاون كافة المغاربة وكان المستعمر لا زال على الأبواب يترقب ويتحين كل فرصة ممكنة ليتدخل عسكريا من جديد أثناء حوادث مكناس الدامية التي جاءت كرد فعل تلقائي بعد اختطاف طائرة ضيوف محمد الخامس والمغرب، قادة الجزائر الخمسة الخالدين.

ان حزب الشورى والاستقلال لم يدَّع قط أنه رائد الديمقراطية في العالم العربي، أو الناطق الرسمي باسمها في المغرب، ولا يطمح أن يتبنى هذا اللقب يوما لأنه يومن إيمانا جازما أن الديمقراطية مطلب الشعب المغربي بأكمله، ولكنه يعتقد أن ذلك لا يمنع من اعتماد الديمقراطية في بلورة برنامجه السياسي على أن يظل الشعب حكما رئيسيا بين البرامج المختلفة، وعلى أن في المغرب تعددية فكرية وسياسية أمر حتم علينا جميعا الحوار الحر النزيه، وقبول الرأي المخالف، ومن خلال هذه العقلية يتمرن الشعب المغربي على ممارسة الديمقراطية الحقيقية، لا ديمقراطية الخوف والاكراه والخنوع والخضوع، فيصبح المواطن المغربي لا يعتبر أخاه المغربي أنه عدو لاه أو خرج من حدود الوطنية لمجرد مخالفته له الرأي أو يجب اسكاته بالاختطاف أو الاعتقال أو الاغتيال ! صحيح أن المجتمعات العربية كلها تقريبا كانت تطغى عليها الفكرة الواحدة ورفض الرأي المخالف واللجوء الى استعمال العنف في مقاومته !

الملحق الاول

مجزرة سوق أربعاء الغرب

1 ـــ نداء الامين العام لحزب الشورى والاستقلال الى الشعب المغربي
2 ـــ تقرير حول حوادث سوق الاربعاء
3 ـــ بلاغ من العصبة المغربية للدفاع عن حقوق الانسان
4 ـــ فاجعة سوق الاربعاء أو مجزرة بدون جزارين
5 ـــ من تعليق المؤلف على فاجعة سوق أربعاء الغرب.



نداء الأمين العام لحزب الشورى والاستقلال إلى الشعب المغربي

(15 جمادى الثاني 1375 /29—1—56)

أيها الشعب المغربي :

في يوم الاثنين الماضي 23 يناير كانت قرية سوق الاربعاء الغرب مسرحا لحوادث دموية فظيعة، ارتكبت أثناءها اعتداءات وحشية لا يقرها عقل، ولا دين، ولا سياسة، ولا وطنية، ولا إنسانية !

ولقد جرت تلك الحوادث الدموية الفظيعة بمناسبة زيارة عامل الناحية لسوق الاربعاء، وقبل هذا بيومين استدعى القائد المحلي فرع حزب الشورى والاستقلال، وطلب منه مشاركه إخواننا في الاحتفال بالعامل وفي حفظ النظام أثناء هذا الاحتفال، فما كان من فرع الحزب إلا أن لبى طلب القائد، ولكن لما جاء رجالنا ساعة الاحتفال ليأخذوا الامكنة المخصصة لهم، وإن ما لدينا من معلومات وحقائق ليدل دلالة قاطعة على أن تلك الحوادث لم تكن بنت الصدف ولا وليدة الساعة، بل كانت مؤامرة مدبرة ضد رجال فرع حزب الشورى والاستقلال بسوق الاربعاء وضد القادمين من إخواننا للمشاركة في الاستقبال هناك، وقد جاء أصحاب تلك المؤامرة ضد الوطنيين الابرياء، وهم يحملون أسلحة من عصي وسكاكين ومناجل وغيرها، من وسائل الفتك والبطش، في حين أن إخواننا كانوا مجردين من كل سلاح، شأن من لا يضمر سوءا، ومن لا يظن سوءا بأحد !؟

أما أولئك المعتدون فقد جاءوا مستعدين لسفك الدماء ! وذلك بما حملوه معهم من الاسلحة بغية تنفيذ المؤامرة المدبرة ؟ وأي دليل على هذا

أعظم وأقوى من أن القتلى كانوا من جهة المعتدى عليهم ! وكذلك الجرحى في تلك الحوادث.

ــ تقرير حول حوادث سوق الأربعاء ــ

في يوم السبت 21 يناير 1956، حوالي الساعة الواحدة ليلا، زار السيد بنعيسى ابن العسرى قائد سوق الأربعاء الغرب السيد الشناوى أحمد بنعيسى، كاتب فرع حزب الشورى والاستقلال بسوق الأربعاء، وأخبره بأن العامل السيد أحرضان سيزور المدينة يوم الاثنين 23 من الجارى وطلب منه أن يتأهب الحزب باستقباله.

وفعلا، وفي يوم الأحد 22 منه، اتصل المسؤولون عن الحزب بسوق الأربعاء، بفروع وزان وطلبوا منه أن يعضدوهم ببعض الكشافة ورجال الحرس، كما اتصل بالسيد العربي السفياني بسلا والدار البيضاء لنفس الغرض.

وفي يوم الاثنين 23 يناير وصل الى سوق الأربعاء حوالي الساعة الحادية عشرة من وزان كاران مشحونان بالكشافة ورجال الحرس، وكاميون مشحون برجال الحزب. ولما وصلوا الى مدخل ساحة الاحتفال، تقدم اليهم مصطفى النجاعي من حزب الاستقلال وقال : لم أتيتم الى بلادنا لتأذونا، ونحن لم نقدم عنكم ؟ فأجابه أحد أعضاء حزب الشورى والاستقلال : لو قدمتم عندنا لأكرمناكم ولرجعتم تثنون علينا بكل خير. ولكنه مع ذلك لم يقتنع ولم يسمح لهم بالدخول.

وحوالي الساعة الثانية عشرة والنصف، وصل كار من سلا حاملا بعض الكشافة وأنصار الحزب.

وعقب ذلك اتصل بعض اعضاء حزب الشورى والاستقلال عبد السلام بن سعيد والعربي السفياني والشناوى أحمد بنعيسى، وعن حزب الاستقلال أحمد قريون ومصطفى النجاعي، واتفقوا معا بمحضر القائد بنعيسى ابن العسرى والشيخ جلول عبد السلام ابن النجاعي على أن يأخذ كل من أتباع الحزبين محلا للوقوف.

وفعلا، أعطى المسؤولون عن حزب الشورى والاستقلال التعليمات لأتباع الحزب ليأخذوا المحل المعين لهم، فاصطفوا هناك.

وبعد لحظات ذهب السيد عبد السلام بن سعيد والسيد العربي السفياني والسيد غيلان لاستقبال وفد الدار البيضاء، ولما رجعوا الى مكان الحفل صحبة الوفد البيضاوي الذي ورد على متن كار، وكان يتركب كله من الكشافة والحرس، وجدوا الأمور على غيرما تركوها عليه، فقد عمت الفوضى وحوصرت الطرق ووقع البحث عمن يحملون ورقة الانخراط في حزب الاستقلال، والتهديد بأن كل من وجد بدون هذه الورقة يعذب ويرجم ويسجن، ومن الغريب أنه عند مرور وفد البيضاء استقبل بالزغاريد وطلقات البارود، ولكن مناديا شتم المزغردات قائلا : لماذا تزغردون على اليهود ؟ ولما حالوا صحبة وفدي وزان وسلا الدخول الى مركز الاحتفال، منعهم حرس حزب الاستقلال ثانيا من الدخول خرقا للاتفاق الذي وقع بين أعضاء الحزبين، وطلب أفراد حزب الاستقلال أن لا يدخل الا أعضاء مكتب حزب الشورى والاستقلال، والذين يحملون ورقة الانخراط في حزب الاستقلال، مدعين أن التعليمات عندهم لا تسمح بالدخول إلا لهؤلاء في الوقت الذي كانوا يسمحون لوفود أخرى بولوج ساحة الاحتفال.

ولما احتجت وفودنا على هذا الاستبداد، قوبلوا بموجة من الشتم والتهديد، فاقترح السيد بن قدور من فرع حزب الشورى والاستقلال بوزان، أن يدخل أصحابه واحدا واحدا حتى لا تقع فتنة، لم يكد ينهى كلامه حتى هجم عليه أعضاء حزب الاستقلال وكادوا يقتلوانه، ولما حاول رفاقه فكه من أيديهم، صعد قريون الى منصة الخطابة وصار ينادي : أيها الاستقلاليون ! اضربوا اليهود الشوريين، اضربوا اليهود ! اضربوا اليهود !... ولما سمع الشهيد الحسن السوسى هذا النداء الخطير قصد المكرفون للدعوة الى الهدوء والطمانينة، فلم يكد يصعد حتى أخذته الحجارة من كل جانب، وشهرت في وجهه الخناجير التى كانت معدة لهذه المذبحة، اذ لا يعقل أن يقبل المحتلفلون وهم مسلحون الا اذا كانوا عازمين على خطة مبيتة.

واثر ذلك شن مدبرو المؤامرة هجومهم على الشوريين بالحجارة التي كانت معدة لهذه الغاية، وشهروا خناجرهم ومناجلهم وأثاروها فتنة بين الناس (اقتلوا اليهود ! اقتلوا اليهود) فأخذت الخناجر والسكاكين تعمل في صدور الشوريين، بما فيهم رجال الحزب وكشافة وجراميز لا يتعدى أكبرهم العشر سنوات اللذين كانوا مجتمعين في مكان واحد، واللذين لم يكن يدور بخلدهم أن هناك مذبحة تنتظرهم. ولم يكتفوا بذلك، بل أطلقوا العنان للخيل تدوسهم وتتعقب الطالبين للنجاة بحياتهم في مسافات بعيدة، وهناك سمع الشهيد الحسن السوسي ينادي : أقتلوني واتركوا هؤلاء الأطفال الصغار.

وقد انصب الهجوم على الكشافة بصفة خاصة ولوحظ أن الأعضاء الشوريين الذين لم تميزهم بذلة كشفية أو بذلة الحرس الوطني التابع للحزب كان بعض المهيجين ينعتونهم للقتلة

ولما لاذ وفد وزان بالكار الذي نقله الى سوق الأربعاء تبعه العربي شنكاو من حزب الاستقلال بوزان صحبة عصابة حاصرت الناس داخل الكار وهي تنادى. أنزلوا أيها اليهود ! ثم تقدم شنكاو وسائل وفد الشوريين بوزان ــ هل مات التهامي الولجي أم لا ؟ ــ فرد عليه أحد الشوريين : اذهب الى حال سبيلك، فانك سبب الفتنة.

ولم يكتف المجرمون بهذه المذبحة، فلم يكد يصل كار يحمل وفد الرباط الذي كان يتركب من 55 عضوا حتى وجد نفسه محاطا بعدد كبير من المجرمين شاهرين أسلحتهم محاولين احراق السيارة ومن فيها، وفتحوا مستودع البنزين وكادوا يتممون جريمتهم لولا دفاع الركاب عن أنفسهم ونصح المعتدين بأنهم اخوان، لا فرق بين شورى وحزبي لأن الكل يعمل لمصلحة البلاد، وكان جوابهم، إنكم أتيتم مسلحين بالقنابل والمسدسات، وعبثا حاولوا إقناعهم بأنهم لا يحملون شيئا، عندئذ صعد أحدهم ــ وكان لابسا بذلة الممرض البيضاء ــ وأخذ يفتش الركاب واحدا اثر واحد، واستمر الهيجان فجائت جماعة منهم صحبة رجل متمنطق «برزة» و أشاع أن أحمد قريون مقتول والحال أنه إذ ذاك كان على منصة الخطابة !

وتلقينا أن الممرضين المكلفين بحمل الجرحى في سيارة الاسعاف كانوا يفحصون الجرحى وينادون على الجناة للتنكيل بهم. ومن استأثر الله بروحه حملوه إلى المستشفى بعد تجريده مما معه من مال وانتزاع ساعة يده، كما قاموا بنفس الدور مع الجرحى. وفي المستشفى كانوا يكيلون للجرحى السب والشتم جزافا.



حجاج بلفلاح والداعية الاسلامي الاستاذ سعيد رمضان الذي رثى وبكى على شهداء سرق أربعاء الغرب



الشوريون يترحمون في خشوع على قبر شهيد سوق أربعاء الغرب العربي السفياني بمدينة سلا

المؤامرة مدبرة

وقد تلقينا عدة تقارير تؤكد أن المذبحة دبرت عشية يوم الأحد على انساعة الخامسة والنصف بنفس المحل الذي وقع فيه الاحتفال، وكان مسرحا للمذبحة، ولدينا لائحة كاملة بأسماء المتامرين، كما لدينا لائحة أخرى متوفرة على أسماء اللذين باشروا المذبحة. وكل هذه اللوائح سنقدمها الى العدالة حتى تتوفر على سائر عناصر الحادثة ليمكنها أن تكشف عن المجرمين الحقيقيين المسؤولين عن هذه المذبحة.

على هامش محاكمة متهمى سوق الأربعاء
بلاغ من العصبة المغربية للدفاع عن حقوق الانسان

(16 ذو الحجة 1375 / 25 يوليوز 1956)

أصدرت العصبة المغربية للدفاع عن حقوق الانسان البلاغ التالي :

ان العصبة المغربية للدفاع عن حقوق الانسان تأبى الا ان تعبر عن تأثرها العميق من المس الخطير الذي مست به العدالة، فقد أصبح احتجاجها وقلقها مشروعين اثر تشجيع اراقة دم الأبرياء المخلصين.

فمن واجب العصبة أن تعبر عن الاستياء العام والمخاوف التي أثارها في الجمهور الحكم الذي أصدر في قضية سوق الأربعاء.

وكيف لا يندهش الانسان عندما يلاحظ أن القتل والاغتيال والتهجمات المبيتة ستجد هنا سابقة خطيرة تشجعها على اعادة الكرة.

وكيف لا يتعجب الناس من كون المتهمين الذين ألقي عليهم القبض عليهم اثر قلاقل 23 يناير 1956 يقع اطلاق سراح جميعهم بالمرة.

وهل ينبغي أن نفكر أن جميع المتهمين برءاء لا يعرفون شيئا عن المأساة، وأن العدالة انتظرت شهورا طوالا لتصل الى هذه النتيجة في الأخير ؟ أم اكتفى القائمون بالبحث باتهام بعض البسطاء لحماية أصحاب المذبحة الحقيقيين ؟ وعلى أي حال فلا يمكن أن تعتبر المحاكمة منتهية بل يجب أن تكون مرحلتها الثانية هي البحث والقاء القبض على المجرمين.

أيمكن أن نتيقن بعد تبرئة ساحة المتهمين أن جميع الشهود المتهمين وقع الانصات اليهم من طرف القضاة، وأن الحجج التي جمعها الضحايا وعائلاتهم لا تكفى مطلقا على ادانة المتهمين.

اننا نشاهد أن جميع المحاكم العدلية في أي قطر من أقطار العالم تعتبر من واجبها — والأمر على هذه الحال — أن تخضع كل قضية من هذا النوع للبحث من جديد بكيفية أوسع،

وكيف يقبل المنطق السليم أولا والرأي العام ثانيا ان اجرامات شنيعة كانت عمل المصادفة وحدها ؟

ان العصبة المغربية للدفاع عن حقوق الانسان التي يحتم عليها دورها المبدئي أن تفضح الظلم وتعمل لانصاف المظلومين لتشعر بقلق كبير على أمن الدولة الضروري لكل رفاهية وتقدم، وتخشى أن تكون من نتائج تراخي المسؤولين عن عقاب مجرمي سوق الأربعاء، بعث الفوضى في البلاد، وتشجيع المجرمين على مثل هذه الأعمال الوحشية وبالتالي ايمان هؤلاء بأن جميع الاجرامات في المغرب الجديد لا تستحق القصاص وأنه لم يبق لاي أحد الا أن يضمن الدفاع عن نفسه بنفسه، ان هذا الوضع يفتح أمام أعيننا آفاقا خطيرة لا نريد أن نراها تستقر في بلادنا بأي وجه من الوجوه.

فباسم العدالة واحترام الفرد البشرى وحرية الرأي، ترفع العصبة نداء حارا للسلطات العليا بهذه البلاد لاجراء بحث تتميمي في هذه المسألة حتى يكشف النقاب عن جميع المسؤولين عن مذبحة سوق الأربعاء ليطبق عليهم العقاب اللازم الذي ينص عليه القانون.

اننا نطالب بالحاح أن لا يترك الشعب المغربي الذي انتصر بفضل اتحاده ونضوجه على نظام الظلم والحمايات الخفية يرتمي من جديد في بؤرة هذا النظام الذي يتناف مع نظام الاستقلال والعدالة الاجتماعية التي نادى بها بالحاح جلالة الملك وأعضاء حكومته.

ان مستقبل المغرب يتعلق على عدالة صارمة ونزيهة في نفس الوقت.

ـ المكتب المركزي ـ

فاجعة سوق الأربعاء أو مجزرة بدون جزارين، ومذبحة بدون ذباحين، وقتل بدون قتلة، وجريمة بدون مجرمين

لقد قضى الواجب على حزب الشورى والاستقلال بأن يقيم ذكرى شهداء الحق والديمقراطية الذين سقطوا في «سوق أربعاء الغرب» ضحايا الحزبية المقيتة، ونعرتها لدامية، ونقمتها الوحشية.

وانه لواجب نحو الأرواح الطاهرة لأولئك الشهداء الأبرار وهم من خيرة الرجال والشباب الوطنيين المكافحين. وهو كذلك واجب نحو عائلات هؤلاء الشهداء الأطهار ونحو أنفسنا وضمائرنا التي تدين بالوفاء للذين أوذوا واستشهدوا في سبيل الله، والوطن، وقضية الحرية والديمقراطية في هذه الأرض الطيبة التي تأبى أن يعبد فيها غير الله سبحانه وتعالى، وأن تحكم بغير ما أمر به من حق وعدل وحرية وأمان في ظل الشريعة، وحماية القانون، ونظام الحكم الصالح.

وهكذا فليست ذكرى شهداء سوق الأربعاء — ككل ذكرى للشهداء — الا ذكرى الواجب المقدس، والوفاء الصادق لأرواح الذين سقطوا في ميدان المعركة، وللاحياء اللذين حملوا من بعدهم مشعل النور والهداية يستضيئون به في سيرهم نحو المثل الأعلى المنشود ويضيئون به الطريق للذين يمشون في الظلام الحالك، ويتخبطون في الضلال المبين.

وليست ذكرى الشهداء في هذه السنة بالأولى من نوعها، بل سبق لنا أن أقمنا في الماضي هذه الذكرى تلبية لنداء الواجب وعملا بمبدأ الوفاء، ولقد مرت في الماضي دون أن يعترضها ما اعترض ذكرى هذه السنة من تدخلات وزارية، واجراءات ادارية، وتدابير بوليسية، فكان في ذلك خير الذكرى، كما كان فيه الخير العام.

وهنا يقف الانسان وقفة ليتساءل عما جرى حتى ثارت ثائرة وزارة الداخلية، وتطاولت في موقفها وخطتها تجاه ذكرى الشهداء هذه السنة الى ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب من الاعتداء على حرية الشعب، وحق المواطنين، ومقدسات المومنين.

وجوابنا على ذلك السؤال الخطير هو أن المغرب يعاني اليوم أكثر من كل وقت مضى استبداد الحكم، وجور السلطة وبغي السيطرة، مما يجعل الشعب عرضة — في حقوقه ومقدساته نفسها — لعدوان مطلق مستمر، ولهذا فان منع وزارة الداخلية لاقامة ذكرى الشهداء يدخل في نطاق الحرب المعلنة عن الحرية المقدسة في أرض المغرب وذلك من طرف من كانوا — مثلنا ومعنا — حربا على الاستعمار الغاشم الذي كان يخنق بتشريعه وسياسته واضطهاده أنفاس الحرية المغربية التي كنا جميعا لها جنودا مجندة، والتي ان تنكر لها اليوم الفريق الحاكم، فان فريقنا ازداد لها وفاء وعنها دفاعا الى أن تكون كلمتها هي العليا وكلمة البغي هي السفلى، وبعبارة أخرى ان منع وزارة الداخلية لذكرى الشهداء تصرف جائر يمت بأوثق الصلات الى المؤامرة الكبرى المدبرة في الخفاء والعلانية ضد حقوق وحريات الانسان والمواطن في مغرب الاستقلال وفي عهد الحكم القائم.

وليس مشروع قانون الجمعيات والأحزاب الذي تقدم به أصحابه في حكومة الرباط الا جانبا بارزا من جوانب تلك المؤامرة على الشعب في حرياته التي انتزعها بكفاحه وتضحيته وذلك ليتمتع بها في عهد السيادة والاستقلال، لا ليستبد بها ويحتكرها ويسخرها بعض الحاكمين لغير ما يرضى الله والشعب.

وفيما يخص اقامة ذكرى شهداء سوق الأربعاء، فقد حرص الحزب عليها في هذه السنة حرصه على اقامتها فيما مضى وذلك للأسباب

والاعتبارات الدينية والانسانية والوطنية والسياسية التي أشرنا اليها سابقا، ولم يرد على الحزب أن يكون في اقامة تلك الذكرى الا ما يناسبها من وقار وجلال، وهدوء ونظام رعيا للصالح العام، ولهذا فان ما قرره الحزب ونشرته جريدة الرأي العام في بلاغ رسمي لم يتجاوز الحد الأدنى وما هو ضروري وأقل القليل في هذه المناسبات، وبعبارة أصرح فقد طلب الحزب في ذلك بلاغ من فروعه أن يقيموا في جلال وخشوع هذه الذكرى داخل مكاتب الحزب بالترحم على أرواح الشهداء واستخلاص العبرة من تلك الحوادث «كما أضاف بلاغ الحزب فيما يخص مقابر الشهداء بالبيضاء ووزان وسلا زيارتها لتلاوة آي الذكر الحكيم والترحم على الضحايا» هذا ما قرره الحزب ـــ كما هو مثبت في نص البلاغ المذكور ـــ من أجل اقامة ذكرى شهدائه الأبرار. وواضح من تلك أن الحزب أراد أن يكون للذكرى أضيق نطاق بين جدران مكاتب لحزب، وأن يقتصر الأعضاء والأنصار على الترحم واستخلاص العبرة، وفي مدفن الشهداء على تلاوة آيات من كتاب الله العزيز.

فهذه هي حقيقة ما أراده الحزب لاحياء ذكرى شهدائه الأطهار، ولو جرت الذكرى طبق ارادة الحزب وقراره الأول لمرت الأمور بسلام ولما كان في هذه المناسبة أدنى ما يخل بالنظام والأمن العام الذين نحن حريصون عليهما بدليل ما أمرنا به فروعنا من الاقتصار على الترحم داخل المكاتب الشورية لا غير، وتلاوة بعض الذكر الحكيم على مقابر الشهداء في الدار البيضاء ووزان وسلا.

ولكن وزارة الداخلية أرادت غير ما أردنا، بل أكثر مما أردنا أولا.

فماذا أرادت وزارة الداخلية ؟ الحقيقة أنها أرادت أن تمنع اقامة الذكرى في دائرة حزبية ضيقة، فكانت النتيجة أن اقامة الذكرى أصبحت

في دائرة عامة واسعة حيث أنها ستكون شعبية وقومية، الشوريون وغيرهم من أبناء الشعب الأحرار فيها سواء.

لقد قالت وزارة الداخلية. لا ذكرى داخل المكاتب الشورية.

فقال الحزب. فلتكن اذن الذكرى شعبية، ولتتخذ نفس الصفة ونفس المظهر اللذين كانا لذكرياتنا في عهد الكفاح الوطني زمن الحماية والاستعمار، وهكذا شائت تصرفات وزارة الداخلية أن يعيد التاريخ نفسه، وأن تستأنف وسائل وأساليب ومظاهر الكفاح الشعبي في سبيل الحرية التي كنا نريدها مشمولا ومدلولا في الحقيقة والواقع لكلمتي السيادة القومية والاستقلال الوطني، والتي جاءت وزارة الداخلية فأعطت برهانا جديدا على أن الحرية ما تزال هنا في حاجة الى معارك حتى يظفر بها الشعب، وينعم بوجودها، وفضائلها، ويتمتع بها هو وأهله في عهد السيادة والاستقلال.

لقد كان قرار وزارة الداخلية بمنع الذكرى (مفاجأة) لنا وللشعب، وان كنا نحن والشعب لا ننتظر من هذه الوزارة — كما هي اليوم — مواقف وتصرفات وتدابير كلها سليمة ومرضية، وفجائية القرار من أمرين. أحدهما منعه لأشياء لم توجد الا في مخيلة منشىء القرار، وتلك هي المظاهرات في الشوارع واستعراضات الكشافة، والروايات المسرحية، والصلوات على أرواح الشهداء في المساجد أو خارجها، فكل هذا لم يفكر فيه الحزب مطلقا، ولم يصدر به أمرا بأية وسيلة من الوسائل، فبلاغ الحزب الخاص بالذكرى لم يتضمن سوى اجتماع الأعضاء داخل المكاتب الشورية للترحم واستخلاص العبرة، وتلاوة ما تيسر من القرآن على مقابر الشهداء، فأين اصطاد قرار وزارة الداخلية ماعدا هذا مما سطره ورقمه ومنعه، وفي القول المشهور. ان أفعال العقلاء تصان عن العبث.

والسبب الثاني في مفاجأة القرار هو خطورة ما فيه، وهو تحريم ما أحل الله من ترحم على ارواح الشهداء، ومن تلاوة آي من كتاب الله العظيم على مقابرهم، ان ذلك لم يكن يخطر ببال أحد، ويذكرنا بما كان يرتكبه الاستعمار من منع للترحم على أرواح الشهداء، أو قراءة اللطيف في المساجد احتجاجا على السياسة البربرية مثلا، مع هذا الفرق وهو أن الاستعمار كان يمنع ذلك عن طريق رجال البوليس وأعوانه والمتعاونين معه من الولاة والحكام ومن غير أن يتخذ مدير الداخلية زمن الحماية قرارا في الموضوع من نوع قرار وزارة الداخلية اليوم وحتى ان فعل الاستعمار ذلك فسطا واعتدى على مقدسات الأمة مما هو من صميم الدين والعبادة فلم يكن منتظرا منه غير هذا وهو عدو لحرية المغاربة، وخصم لدينهم، وفي المثل : من جاء على أصله فلا سؤال عليه. أما اليوم فكيف تبيح وزارة الداخلية لنفسها — في عهد السيادة القومية والاستقلال الوطني — أن تتطاول الى منع الترحم على أرواح الشهداء وتلاوة القرآن الكريم على مقابرهم ؟ ان هذا الأمر خطير وخطير جدا، وسابقة تدل دلالة واضحة على أن شيئا من الحرمات والمقدسات لم يبق له أي احترام وأن السلطة هنا لن تعد تتقيد بشيء — مهما سما وتقدس — في مواقفها وتصرفاتها ضد الحرية والأحرار، ومن هنا الى منع الترحم عموما، وتلاوة القرآن في المناسبات ربما لم تبق مسافة طويلة، لا قدر الله، ولا سمح الشعب وعلى رأسه حامي حمى الدين في هذه البلاد جلالة الملك محمد الخامس.

ونتساءل الآن. هل ظفرت وزارة الداخلية بما أرادت ؟ ونجيب عن هذا بالنفي، لأنها أرادات أن تمنع اجتماعات مصغرة داخل مكاتب الحزب ترحما على أرواح الشهداء فانتقلت الذكرى من هذه الدائرة الصغرى الى دائرة كبرى هي دائرة الشعب، ومنعت الترحم والصلوات على أرواح

الشهداء وتلاوة كتاب الله على مقابر فتقرر احياء ذكرى الشهداء عن طريق الصيام في هذا اليوم والصمت دقيقة ترحما واستنكارا، وبالاضافة الى هذا جعلت وزارة الداخلية من ذكرى الشهداء قضية عامة شغلت الرأى العام طيلة أيام، وذلك ابتداء من صدور قرار المنع، وتبليغه الى جميع فروع الحزب بواسطة رجال البوليس، الأمر الذى أحدث حركة غير معهودة، وأثار التعاليق في كل الأوساط وأطلق الألسنة في كل مكان، وهكذا راج من جديد حديث مذبحة سوق الأربعاء، وأعيدت ذكرى شهدائها الى أذهان الشعب طيلة أيام لا يوما واحدا فقط. وغني عن البيان ما صحب قرار منع وزارة الداخلية واجراءات تبليغه الى فروع الحزب في المغرب كله من تشويش للأفكار، واضطراب في النفوس، واستنكار شديد شامل لذلك التصرف الذي نال من مقدسات الأمة نيلا لا تحمد عليه وزارة الداخلية طبعا، ومن المؤكد أنه سيتضح لها أنه لم يكن في صالحها وأنه كان خطأ سياسيا عظيما، لو أمكن لوزير الداخلية أن يرتكبه في غير المغرب من بلاد الاسلام لعجل باستقالته أو اقالته من منصبه.

وأمام ذلك القرار الجائر الخطير، أصدر الحزب نداء الى الشعب دعاه الى احياء ذكرى شهداء سوق الأربعاء في يومنا هذا بالصيام يوما كاملا، وبالصمت دقيقة في الحادية عشر صباحا وذلك ترحما على أرواح الشهداء، واستنكارا للمذبحة الفظيعة التي أزهقت فيها أرواح بريئة. وهل نحتاج الى أن نذكر أن الصيام كان من وسائل الاحتجاج والاستنكار التي كانت تستعملها الحركة الوطنية المكافحة ضد الاستعمار وسياسته، وبهذه المناسبة نذكر أن الجبهة الوطنية المغربية المؤلفة من جميع الأحزاب كانت قررت اقامة ذكرى فرض الحماية في 30 مارس 1952 بدعوة الشعب الى الصيام في هذا اليوم المشؤوم احتجاجا واستنكارا، ولا يخفى ما

في هذا من التأثير العظيم في نفوس المؤمنين الصادقين، والمضطهدين والمكافحين، وهكذا بسبب قرار وزارة الداخلية يعيد التاريخ نفسه فيلجأ الأحرار في بلادنا من جديد الى نفس الوسائل الروحية التي ألفها الشعب المغربي في الماضي وذلك للتعبير عن استنكاره لما كانت ترتكبه سياسة الاستعمار ضد حقوقه وحرياته ومقدساته.

ولنا أن نتسائل الآن عن سبب هذه الحملة الجديدة الموجهة ضد ما للانسان والمواطن من حقوق وحريات ومقدسات، هل الباعث على هذه الحملة المنكرة مجرد الضدية لحقوق الانسان وحرياتهم، وأخذ أصحاب هذه الحملة بما يأخذ به عادة كل الطغاة والمستبدين ؟ أو هل الباعث هو ما يمكن أن نسميه بمحاولة «تونسة» السياسة المغربية نتيجة لرحلة وزير الداخلية الى تونس ؟ واذا كان هذا صحيحا فالى أين سنتهي هذه «التونسة» المجلوبة في نعال الوزير ؟ وهل ما تحكم به من سياسة وأساليب ورجال صالح لأن يحكم به كذلك المغرب والفرق بين القطرين والشعبين كبير، وكبير جدا ؟ وهل عجزت وزارة الداخلية في سياستها المغربية» عجزا جعلها «تحج» الى موطن بورقيبة «لتستورد» منه ما يمكنها من «تونسة» تلك السياسة، و «تنسيق» الأهداف والخطط بين نظامي الحكم في تونس والرباط ؟

ان هذه اسئلة هامة وخطيرة نلقيها على الشعب وعلى كبار المسؤولين في الدولة حتى يعيروها ما هي جديرة به من اهتمام يبدد المخاوف التي أخذت تساور الأفكار في المغرب، ويضع حدا لعيث الحاكمين، وعبثهم بحقوق في عهد نريده عهد محبة للشعب، لا ثورة الحاكمين على هذه الحرية نفسها التي نصرها جلالة ملك المغرب في هيئة الأمم المتحدة حيث قال : ان مبادىء العدل والحرية والمساواة التي هي أسس منظمتكم تتفق وما نعتبره رعيا لمعتقداتنا مبادىء مقدسة، ولذلك فان

الأغراض التي حددها الميثاق ليست غريبة عما نهتم به من شؤون وما نرمي اليه من غايات.

واذا كان هذا هو القول الفصل في المعركة الدائرة اليوم ببلادنا في سبيل الحرية والعدالة والمساواة فهل يجوز لوزير الداخلية أن يجعل من نفسه خصما لهذه المبادىء السامية، ومن سياسته حربا عوانا عليها وعلى الأحرار من المواطنين ؟ وهل يصح أن يكون مغرب اليوم ذا وجهين أحدهما داخلي «مدخول» والثاني خارجي سليم ؟ واذا وجد في المغرب اليوم من يغلط أو يغالط نفسه من الوزراء والحكام فان حقيقتهم لا تخفى على أحد وان ظنوا عكس ذلك، ولا خير لهم في التمادى في الغلط أو المغالطة لأنفسهم أو لغيرهم، فان الشعب الواعي الذي عرف كيف ينتزع حقه من المستعمر بالكفاح والتضحية قادر على أن يحمى هذا الحق بكل ما أوتي من عزيمة وثبات، والحرية كل لا يتجزأ، وهي ملك للشعب كما هي ملك لكل واحد من أفراده، وليست وقفا على الحاكمين ليعيثوا بها في الأرض فسادا، فالحرية مقدسة، وهي أجل من أن تكون وسيلة للظلم، وأداة للاضطهاد، وسلاحا ضد ما يعتز به الانسان والمواطن في حياة الحضارة، والنظام، والرقي، فاذا كان لنا أن نتمنى لوطننا شيئا فهو أن لا نضطر اليوم فيه الى أن نرسل الصيحة في وجه الحاكمين فنقول لهم القول التاريخي والثورى المشهور: أيتها الحرية العزيزة ! كم من جرائم ترتكب باسمك.

— جهينـة —

(23 رجب 1377 /24—1—1958)

تعليق على فاجعة سوق أربعاء الغرب

... وهكذا لم تمض إلا أيام معدودة حتى دبروا مجزرة سوق أربعاء الغرب الدموية الشهيرة التي دشنت بها قافلة الشهداء الجماعية، نذكر منهم بالأخص السيد العربي السفياني والحسن السوسي ومحمد بن بوعزة المزابي وأحمد الكزروفي رحمهم الله جميعا.. وجماعة من أطفال الكشفية العبدلاوية التابعة للحزب. ومن مظاهر الوحشية المفزعة التي تجسدت في هذه المذبحة هناك، هي محاولة ممرضة فرنسية حماية طفل من الكشفية، فانتزعوه منها أمام أعينها وهي تصيح وتصرخ من هول المشهد الفظيع الذي فاقت ضراوته كل ما قام به «هتلر أو مسوليني»، وكيفية استشهاد الحسن السوسي الذي حاول هو الآخر أن يحمي طفلا، فطعنا معا وماتا ملتصقين. وبأعجوبة نجا من الموت المحقق كل من السيد عبد السلام بن سعيد من سلا، والسيد محمد الشاوي القائد المحلي بالبيضاء للكشفية العبدلاوية. والسيد الشيخ إدريس الأوديي من عين القصب.

وفي خضم هذه الأحداث المتلاحقة، اتصل أحمد الطويل بالسيدين عبد القادر التورنور ومحمد فاضل المؤقت رحمهما الله، وعرض عليهما التعاون لمواجهة ما يدبّر في الظلام ضد حزب الشورى والاستقلال ! فنقل هذان الأخيران الفكرة الى الأستاذ محمد حسن الوزاني ــ رحمه الله ــ فكان جوابه القاطع كما يلي : «لا أريد فتنة قد تؤدي إلى حرب أهلية».

وعلى ضوء هذه الاجابة السلبية التي توحي بالتعقل والرزانة وللحفاظ على وحدة الوطن ومصالحه العليا، اتصل أحمد الطويل مباشرة بالسيد المهدي بنبركة، في مكان قرب المامونية بالبيضاء، واستجاب لكل

طلباته وشروطه مقابل أن ينفذ دون مناقشة أو تفسير أو تساؤل كل ما يصله من تعليمات حرفيا، سواء بواسطة قنوات الحزب السرية أو الدولة بواسطة السيد مدير الأمن الوطني حينذاك.

وأستسمح القارىء الكريم لنعود معا الى الأجواء التي خلفها تشييع جنائز ضحايا حوادث سوق أربعاء الغرب وما صاحبها من ردود فعل، ومحاولات المصالحة بين الحزبين، لقد خرج الشعب المغربي في كل من سلا والبيضاء ووزان لتشييع جنازة الضحايا، معبرا عن سخطه واستيائه من الوحشية الحزبية العمياء التي لم ترحم حتى الأطفال الأبرياء.

كما يمكن أن يكون درسا مفيدا لو اتعظوا به، ولكن فلاسفة سياستهم وواضعي خططهم التي قرأوها لكتاب من أوربا الشرقية، ولكنها تدخل في العلوم السياسية النظرية، أرادوا أن يطبقوها في المغرب الذي لا يرضى بالحرية الفردية والجماعية بديلا، حاولوا بجميع الوسائل أن يجعلوا من الشعب المغربي مجرد قطيع، ولكنهم خابوا وفشلوا إلى أبد الآبدين، رغم تماديهم وإصرارهم على متابعة وتنفيذ المخطط الجهنمي عساهم أن يحققوا ما حققه وأنجزه «المجاهد الأكبر، والرئيس مدى الحياة في تونس» ؟

وبالرغم عن المحاولة النبيلة التي قام بها أحد قادة حركة الاخوان المسلمين البارزين الأستاذ «سعيد رمضان» بإصلاح ذات البين، وكان قد اتصل في هذا الشأن بالمناضل الكبير الحاج أحمد معنينو الذي بذل معه مجهودات جبارة لاعادة المياه الى مجاريها، ولكن يبدو أن مؤلفات اليسار النظرى أثرت على من بيدهم الحل والعقد في «الحزب العتيد»، فاستمروا في نهجهم التضليلي والاستبدادي ضاربين عرض الحائط بكل القيم والمثل العليا.

هذه الصفحات ليست للتسلية... رغم ما فيها من تسلية مرة !، ولكنها وثيقة خطيرة ينبغي أن توضع نصب أعيننا دائما، حتى يقف الناس في الوقت المناسب ويحولوا بين الظالم وظلمه، وكفى ما حدث فقد دفع المجتمع ثمنه غاليا !

كما قلت في بداية هذه الصفحات إن الحاح بعض الزملاء والاخوان هو الذي دفعني الى الكتابة، وكذلك خشيتي على هذه الأحداث أن تأخذ طريقها الى النسيان والضياع، ولذا مرة أخرى أكرر أنها وثيقة خطيرة أقدمها الى محكمة التاريخ، وقد ارتفعت بعض الأصوات في هذه الأيام تدين ما كان أيام الديكتاتورية والاستبداد ! ومن أصحاب هذه الأصوات من اكتوى بنار هذا الظلم والجور أخي وعزيزى الاستاذ المهدي المومني التوجكاني رحمه الله الذي كان له شرف المبادرة بفضح الطغاة الجبابرة من حزب الاستقلال وزبانيتهم؛ في كتاب **دار بريشة** أو قصة مختطف الذي صور لنا حقائق ومشاهد دامغة عاشها في جحيم ومركز من مراكز حزب الاستقلال الخاصة بالتعذيب والتنكيل، لأولئك الذين رفضوا الظلم، وأعلنوا الرفض بكل شجاعة وإباء، وكل ذلك معزز بالصور والوثائق والمستندات التاريخية وفي مقدمتها الرسالة الجوابية من الأمير محمد عبد الكريم الخطابي إلى الأستاذ محمد حسن الوزاني رحمهم الله، والتي يعدد فيها عشرات المراكز الخاصة بالاختطافات والتعذيب. وهو صوت من مئات وعشرات الأصوات الذين آثروا البلاء، وعانوا مرارة السجن، فكتب حروف كتابه بدمه ليقدم تجربته للأجيال القادمة. ومرة أخرى نسأل الله أن يمطر على أخينا وفقيدنا البطل المكافح الاستاذ التجكاني مغفرة ورحمة.

أما أولائك الذين كانوا يحرضون السفاكين ويحلون لهم ما يفعلون على صفحات جرائد حزب الاستقلال، ويهللون أثناء سلخ الضحايا، والمجرمون القتلة ينهشون لحم الشهداء... ثم تغيرت الظروف وبدءوا ينتقدون وينعون على الظلم والظالمين... فلهؤلاء أقول : ما أخبثكم وأتعسكم !... أين كنتم آنذاك ؟ ألم تكونوا سندة هذا الاضلال والاجرام ؟ وأصبحتم اليوم كالذي يقتل الشخص ويسير في جنازته باكيا خاشعا.

إننا نكتب ونتذكر هذه الويلات، لا لننتقم، بل لنتحاشها مستقبلا، وقد علمتنا وطنيتنا ومبادؤنا الشورية أن نتسامح مع من آذونا وأن ندعو لهم بالهداية... فنحن معشر الشوريين دعاة مبادىء ورسالة... ونحن أولى من غيرنا بالتخلق بأخلاق الوطنية السمحة.

وأرجو من الله العلي القدير أن يستوعب الجيلُ الجديد ما جاء في هذه الصفحات الناطقة بصوتٍ من أصوات المئات من الرجال الذين عاشوا مرحلة من مراحل الغرور الحزبي، والظلم والجور بل كان من ضحاياه البارزين.

ونأمل أن يلقى الجميع في المغرب الجديد في معترك الحياة الفسيح للعمل الدؤوب لرفع كلمة المغرب العزيز تحت قيادة حامل مشعل الديمقراطية جلالة الملك الحسن الثاني دان له النصر والتمكين.

الملحق الثاني

صوت حزب الشورى والاستقلال يرتفع منادياً بوضع حد للاختطافات والإرهاب البوليسي

1 ــ رسالة من الأمين العام إلى صاحب الجلالة
2 ــ مذكرة سياسية لحزب الشورى والاستقلال إلى رئيس الحكومة
3 ــ أسئلة وجهها الأستاذ الحاج أحمد معنينو لوزير العدل في المجلس الوطني الاستشاري حول الاختطافات.
4 ــ لن يخضع الشعب لدكتاتوريتكم أبداً.

رسالة من الأمين العام الى صاحب الجلالة(*)

الحمد لله وحده

حضرة صاحب الجلالة، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد،

فقد سبق لجلالتكم أن استقبلتم في شهر أكتوبر **1956** وفدا عن حزب الشورى والاستقلال من سائر جهات المغرب، وقدم لجلالتكم بعض أعضاء المكتب السياسي تقريرا مفصلا عن الاضطهادات التي يلاقيها أعضاء الحزب في جميع نواحي المغرب، كما قد قدم في نفس الشهر الفرع المركزي بالشمال التابع لحزب الشورى والاستقلال تقريرا يشرح الوضعية المؤلمة بشمال المغرب.

والآن بعد رجوعي الى أرض الوطن العزيز، يسعدني أن أرفع الى جلالتكم هذه الرسالة مرفوقة بتقرير عن ما جد من الحوادث منذ شهر أكتوبر الماضي، ونسختين من تقريرين على سبيل التذكرة، معربا لجلالتكم عن وجهة نظر الحزب في خطورة الحالة التي يحياها المغرب المستقل في الظروف الراهنة.

مولاي. كان المنتظر — والمغاربة لا يزالون يذكرون معاملة الاستعمار القاسية ويتطلعون الى المستقبل بايمان وشوق وأمل — أن يدشن رجال العهد الجديد سياسة رشيدة تقوم على العدل والنزاهة والانصاف، حتى يدرك الشعب الفرق بين عهد الاستعمار البغيض وعهد الاستقلال المشرق، ولكن مع الأسف الشديد سجلت السنة الماضية حوادث مؤلمة، بل فظائع يندى لها الجبين.

(*) نقلا عن جريدة «الرأي العام» عدد 372، الصادرة بتاريخ جمادى الثانية 21/1376 يناير 1957

ذلك لأن الرجال الذين اسندت اليهم في العهد الجديد مسؤولية الأمن والعدل تصرفوا تصرفا برهن على أنهم مغرضون، أو على الأقل عاجزون. فقد توالت الاذايات على الشوريين في أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، وذاق أبطالهم صروف العذاب والتنكيل في مختلف السجون والمعتقلات، فكم من شهيد اغتيل في رابعة النهار، كالعلامة المكافح الأستاذ عبد الواحد العراقي، وكم من جماعات ووفود هجم عليها وقتل عدد من أفرادها كمذبحة سوق الأربعاء، وكم من عائلات فوجئت في منتصف الليل بعصابات الاجرام فنهب متاعها وأحرقت منازلها أو هدمتها فوق رؤوس النساء والأطفال، وكم من مكافح اختطفوهم ولا يزال مصيرهم مجهولا الى الآن، كابراهيم الوزاني وعبد القادر برادة وعبد السلام الطود، وكل هؤلاء من السابقين الأولين للكفاح الوطني ولا ذنب لهم الا أنهم مخلصون لمبادئهم وليسوا على رأي المسؤولين في مذهبهم السياسي.

ان رجال الأمن يزعمون أن الغرض من هذا الاضطهاد هو تطبيق القانون وتجريد المدنيين من السلاح، ولكن الحوادث اليومية والوقائع يبرهنان على أن الغرض الحقيقي هو محاربة حزب الشورى والاستقلال وفرض فكرة حزب معين، اذ اننا نشاهد مدنيين مسلحين يعبثون بالنظام والقانون ويرعبون ويرهبون المواطنين وينهبونهم ولا تلقي السلطة القبض عليهم ليسوا من حزب الشورى والاستقلال، وكم من سيارات عثر عليها مملوءة بالسلاح فأطلق سراح أصحابها لأنهم ليسوا من حزب الشورى والاستقلال، بل كم من أجنبي عثر على أسلحة بمنزله فلم يعاقب الا عقوبة تأديبية بسيطة. أما الشوريون فبتهمة السلاح يلقون في دهالس الكومساريات الأسابيع العديدة وفي المعتقلات المجهولة شهورا متوالية مع أن المحاكمات التي صدرت خلال 1956 أثبتت براءة كل الشوريين الذين مروا أمامها فأطلقت العدالة سراحهم، ولكن هل فكر المسؤولون عن

العدل في العقاب للذين نكلوا بأولئك الأبرياء وشوهوا أجسامهم، ولم يسمحوا لهم بالعودة الى الحياة العادية الا بعد أن أصبحوا معطوبين عجزة وهم في عنفوان الشباب.

ان حزب الشورى والاستقلال المقدر لخطورة الحالة والشاعر بمسؤوليته وواجباته نحو الملك والعرش والشعب، طالما طالب بواسطة وفوده والوزراء المنتمين اليه في الحكومة الائتلافية بأن تكون الداخلية والأمن والعدل والدفاع الوطني بأيدي محايدة لا تنتمي لحزب من الأحزاب، ولم يكن غرض الحزب من ذلك الا ضمان الأمن والعدل لجميع المواطنين يشعرون بنعمة الاستقلال ويؤمنون بأن الدولة للجميع.

مولاي، ان حزب الشورى والاستقلال، لأجل تصفية الجو السياسي والعمل على ضمانة الاستقرار الداخلي يطالب بكل تأكيد بما يلي :

1 ــ الافراج عاجلا عن جميع المعتقلين السياسيين سواء من كان من أعضاء حزب الشورى والاستقلال أو من المحايدين الأحرار.

2 ــ ارجاع جميع المخطوفين الشوريين وغيرهم الى بيوتهم

3 ــ منع الوسائل الجهنمية المستعملة في ادارة الشرطة أو في المعتقلات للانتقام ولانتزاع الاعترافات وفرضها كما يريد الطامعون فيها لحاجة في أنفسهم.

4 ــ تطبيق القوانين داخل السجون والكوميساريات واصدار قوانين جديدة تحمي المواطنين وتضمن حقوقهم وحرياتهم.

5 ــ تعيين لجنة بحث متركبة من عناصر نزيهة تتمتع بثقة صاحب الجلالة للقيام بتفقد مراكز الشرطة والسجون والمعتقلات للاطلاع

على حقيقة مجالسها واطلاع جلالة الملك على ما يرتكب فيها كلها مما يخالف الانسانية والقانون والمصلحة الوطنية في العهد الجديد.

6 — الضرب على أيدي المسؤولين عن كل الاعتداءات والمعاملات الوحشية القاسية التي عومل ويعامل بها المسجونون واتخاذ كل التدابير لايقاف ذلك بكيفية عامة نهائية.

والله يحفظكم ويرعاكم ويمدكم بعونه وتوفيقه حتى تحققوا لشعبكم الوفي ما يصبو اليه من رقي ورفاهية والسلام

16 يناير 1956

الامضاء : الأمين العام لحزب الشورى والاستقلال

محمد حسن الوزاني

مذكرة سياسية لحزب الشورى والاستقلال إلى رئيس الحكومة بتاريخ 3 مارس 1958

الحزب يطالب بإيقاف حملات القمع، والتعجيل بظهير حريات الجمعيات والأحزاب، وانتهاج سياسة قومية استقلالية، وضمانة التمثيل الشعبي الصحيح، وتصحيح الوضع الحكومي بالمغرب.

بسم الله الرحمن الرحيم
دولة السيد البكاي مبارك رئيس الحكومة المغربية
القصر العامر ــ الرباط

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد فباسم حزب الشورى والاستقلال، أتشرف بأن أقدم إلى سيادتكم ما يلي :

أولا ــ احتجاجنا الصارم على :

1 ــ استمرار الاعتقالات الجائرة التي ما فتئت تشن حملتها السلطات المغربية بشتى المدن والقرى والقبائل، في صفوف الأحرار من الشوريين وغيرهم، وذلك بتهم زائفة، وفق خطة مدبرة للتشفي والانتقام، أو للضغط على الأفكار في صالح حزب معلوم.

2 ــ مواصلة التعذيب الوحشي في مراكز الشرطة العلنية والسرية وفي غيرها من المخابىء والمعتقلات الجهنمية، التي ما تزال السلطات المسؤولة، واقفة منها موقفاً هو محل اندهاش وتساؤل من طرف الشعب المغربي، ونرى من الواجب الإسراع بإيقاف ذلك كله باسم الإنسانية والعدالة والمصلحة العامة، والتعجيل بإصدار قانون يحمي الشخصية

الإنسانية المغربية، في عهد الاستقلال وذلك بمنع أنواع التعذيب والاضطهاد من أجل الإقرار وتحريم كل اعتقال غير قانوني.

3 ــ المحاولات التآمرية التي تدبر الآن ضد الأحرار من رجال المعارضة السياسية في عدة جهات كخريبكة، وبو الانوار، وابن سليمان وغيرها، وذلك تنفيذاً لخطة القمع التي سبق لنا أن فضحناها ونددنا بها بناء على ما راج في كثير من الأوساط من أنها على وشك أن تبرز لحيز التنفيذ، وهي خطة حزبية انتقامية، مما ترمي إليه التغطية عن مواقف سبق لنا أن شهرنا بها وبأصحابها.

4 ــ اعتقال كثير من الشوريين وامتحانهم بالتعذيب داخل السجون في بعض جهات المغرب، بالضغط عليهم حتى يتخلوا عن عضوية الحزب، ويدخلوا قهراً وكرهاً في حزب الاستقلال، مثال ذلك ما يقع في تافيلالت عموماً، وتنجداد خصوصاً.

5 ــ منع الشوريين من حرية الاجتماع، وحرية القول، وحرية التعبير عنه، كما وقع أخيراً بمنع إقامة ذكرى شهداء سوق الأربعاء الغرب، وإلقاء محاضرات الأستاذين ابن سودة في بني ملال، وبوطالب في تطوان وطنجة، ثم بصفة عامة مضايقة الأحرار من طرف السلطات التي لا تتورع في كثير من الجهات والمناسبات عن التحرشات والاستفزازات التي كشفت عنها صحفنا في حينها غير ما مرة. ونسجل هنا أنه في الوقت الذي يمنع فيه رجال الحزب من حرية الرأي والمهرجانات في المدن والبوادي مما يجعل الحرية في المغرب الجديد، حرية مقيدة ومحتكرة لصالح فريق من المغاربة والأجانب، دون فريق من المواطنين.

6 ـــ مظاهر التحزب في مؤتمر اليونسكو في فاس، وتدخل السلطة المحلية لإكراه مكتب حزبنا هناك على إنزال راية الجزائر الشقيقة المكافحة في سبيل حريتها واستقلالها بدعوى مجاملة الملاحظين الفرنسيين.

7 ـــ الكتابات الإجرامية على الجدران التي كانت فضحتها جريدتنا «الرأي العام» في وقتها مطالبة باتخاذ التدابير الصارمة ضد مرتكبي ذلك الجرم الشنيع، ويؤسفنا أشد الاسف أن تقصر السلطات المسؤولة في القيام بهذا الواجب وأن يعمد بعض الولاة إلى محاولة التغطية عن ذلك المنكر الفظيع، بإلصاق التهم الباطلة بالبرآء من الخصوم السياسيين، وذلك بغية التشفي والانتقام لا غير، والعمل بالتعذيب لانتزاع اعترافات مزورة، بتلك التهم المختلفة.

ثانيـاً : مطالبتنا بالتعجيل :

1 ـــ بظهير حرية الجمعيات والأحزاب الذي تقدمت به رئاسة الحكومة إلى جلالة الملك أعز الله ملكه وأيده.

2 ـــ بظهير يؤكد بصفة قانونية نظام الدولة المغربية، ويوضح الفلسفة السياسية للأمة المغربية، وكلاهما يقوم على الملكية الدستورية، وفق إرادة الجلالة الشريفة التي هي كذلك إرادة الأمة المغربية الوفية لقضيتي العرش والحرية.

3 ـــ بإلغاء التشريع الاستعماري الذي خلفته الحماية في المغرب، والذي يتنافى مع مصالح البلاد والمغاربة في عهد الحرية والسيادة والاستقلال، وينبغي التعجيل بإلغاء جميع القوانين التي ألغى أو قيد بها الاستعمار حقوق وحريات المغاربة زمن العبودية الأجنبية المفروضة عليهم.

4 ـــ إصدار قانون للإذاعة المغربية يحررها من السيطرة الحزبية ويوجهها توجيهاً وطنياً سليماً لصالح الدولة والأمة لا غير.

ثالثاً : الاستنكار :

1 ـــ لمشروع معاهدة الاستيطان الذي سبق للشعب أن عارضه، كما عارضته بعض التصريحات الرسمية في الماضي وحتى الاذاعة المغربية وصحيفة «العلم» الناطقة باسم الحزب الحكومي والتي وصفت المشروع المذكور بأنه حماية اقتصادية، وهكذا كان الرفض لمعاهدة الاستيطان إجماعياً من المعارضة والحكوميين، ونحن لا نعرف بلاداً مستقلة ارتبطت بالدولة المستعمرة لها ماضياً بمعاهدة استيطان، وقد صرحنا كما صرح الحكوميون في الماضي بأنه لا داعي لتلك المعاهدة ثم ما دامت مصالح الفرنسيين مضمونة في بلادنا، وما دامت القوانين الدولية والتزاماتنا الناشئة عنها في عهد الاستقلال تفرض احترام الأجانب وصيانة مصالحهم المشروعة.

2 ـــ لسياسة التبعية التي أعلنا وأعلن المجلس الاستشاري في دورته السالفة، كما أعلن وزير الخارجية فيه، أن المغرب يرفضها، رفضاً تاماً، فإن سياسة الاتفاقات التي منها معاهدة الاستيطان ليست الا تطبيقاً للتبعية المنافية للسيادة والاستقلال.

3 ـــ لمشروع قانون الانتخابات الذي يمثل وجهة النظر والخطة السياسية لحزب الاستقلال، الذي يريد أن يشرع ويجري الانتخابات البلدية والقروية لصالحه لا غير، ومن المعلومات التي بلغتنا أن المجالس المحلية قد تم تركيبها من أجل ترشيح أعضائها من طرف ذلك الحزب، وأن جهاز السلطة القائم في المغرب سيضمن بكل يسر وسهولة فوز تلك المجالس نتيجة انتخاب مصطنع ومدبر. ليس هو الانتخاب الذي يريده

جلالة الملك والشعب، ونؤكد باختصار أن الاحصاء المزور للناخبين غير صالح لإجراء الانتخابات على أساسه، وأنه يجب القيام بإحصاء تام نزيه لجميع الناخبين والناخبات من المغاربة، وذلك بفرض نظام الحالة المدنية في الحواضر والبوادي وبتشريع الحريات الفردية والعامة، وبإعداد الأنظمة والوسائل الصالحة للانتخاب الشعبي الحر. الذي يعبر عن الارادة العامة تعبيراً كاملاً صحيحاً، وبسن قانون انتخاب يخدم المصلحة المغربية ويفسح المجال لجميع الاتجاهات السياسية في الأمة حتى تشارك في أول ديمقراطية في بلادنا، ويكون لها من التمثيل والصوت في المجالس ما يناسب قوتها النسبية في الشعب.

رابعاً : المطالبة بانتهاج سياسة قومية استقلالية وذلك :

1 ــ بالسعي الجدي في سبيل إجلاء الجيوش الأجنبية التي ما تزال تحتل أرضنا في عهد السيادة والاستقلال، وإن الشعب لا يرضى عن أنصاف الحلول في مسألة الجلاء، لأن بقاء جيوش الاحتلال في وطننا خطر عظيم عليه في الحاضر والمستقبل.

2 ــ بمصادقة جميع الدول والتعاون معها على أساس احتفاظ المغرب بكامل حرية العمل وصيانة سيادته واستقلاله، وتبادل المصالح في هذه الدائرة وعدم الارتباط مع تلك الدول بمعاهدات من شأنها أن تسخرنا لها في شتى الميادين، أو تفقدنا ما هو حق مشروع.

خامساً : ضمانة التمثيل الشعبي الصحيح وذلك :

بإعادة النظر في المجلس الاستشاري لتصحيح أوضاعه الراهنة بما يجعلها مطابقة للأوضاع الشعبية الجديدة، وليصبح المجلس الاستشاري في طوره المنشود أصدق تمثيل لجميع الاتجاهات والقوات السياسية وغيرها.

في الأمة المغربية وليستطيع بهذا كله أن يؤدي مهمته وفق مصلحة البلاد والشعب.

سادساً : المطالبة بتصحيح الوضع الحكومي في المغرب.

إن المشاكل الكبرى سواء منها الداخلية والمعلقة مع الدول الأجنبية وظروف ومقتضيات فترة الانتقال التي يجتازها المغرب الحديث العهد بالاستقلال، وضرورات الحياة العامة في بلادنا، كل هذا يحتم اليوم أكثر من أي وقت آخر التفكير في الوضع الحكومي كما هو قائم الآن عندنا، خصوصاً وقد دلت التجارب الطويلة والحوادث الكثيرة على أنه لم يعد صالحاً للبقاء، فهو فاسد الأساس، حيث انه حزبي لا قومي، كما هو فاشل السياسة مما جعل معظم الشعب في الحواضر والبوادي غير راض عنه، وإنه لمن أبسط قواعد الحرية والديمقراطية والعدالة والمصلحة العامة أن لا يحكم الشعب بغير رضاه، لكل هذا نرى أن يكون تصحيح الوضع الحكومي الراهن في المغرب كما يلي :

1 ـــ إما بتشكيل حكومة إئتلافية تمثل الإجماع القومي المغربي على أساس مشاركة جميع الاتجاهات والقوات السياسية في الشعب، مشاركة عادلة مرضية من حيث التمثيل وتوزيع المسؤوليات، وبهذا يخرج المغرب في هذا الوقت العصيب من الحكم الحزبي إلى الحكم القومي، وتتضافر جميع قواه في تدبير الشؤون العامة وتحمل المسؤوليات لمواجهة المشاكل والسعي في حلها في الداخل وفي الخارج.

2 ـــ وإما بتكوين حكومة محايدة، الحياد الحقيقي التام، تعتمد على الكفاءات من غير اعتبار اللون السياسي والحزبي. وينبغي أن تقوم الحكومة المغربية الجديدة على أساس برنامج قومي عام متفق عليه مع جميع

الأحزاب والهيئات، ليمكن تأييدها وإسناد سياستها في دائرة هذا البرنامج السياسي العام.

ونظراً للحالة القائمة في المغرب من حيث استمرار الاعتقالات الجائرة والتعذيبات والاضطهادات البوليسية، فإننا نرى من الواجب إسناد وزارة الداخلية إلى أحد رجال الجيش الملكي الذي يختاره جلالة الملك، والذي يستطيع أن يضمن لجميع المغاربة حقوقهم المقدسة في مجال الأمن والحرية، إذ بدون هذا لا يستقيم النظام والاستقرار في البلاد.

هذا وأرجو من دولتكم كامل الاعتناء بما في هذه المذكرة من قضايا هامة ومستعجلة، والتفضل بإبلاغها لجلالة الملك أعز الله نصره، مع عظيم احتراماتنا ووفائنا لعرشه المنيف وشخصه الجليل.

وتكرموا دولتكم بقبول فائق الاعتبار والتقدير

عن حزب الشورى والاستقلال

الأمين العام

محمد حسن الوزاني

الدار البيضاء 1958/2/3

أسئلة وجهها الأستاذ الحاج أحمد معنينو لوزير العدل حول الاختطافات في المجلس الوطني الاستشاري

أتوجه إلى معاليكم بالأسئلة الآتية راجياً منكم الجواب عنها إحقاقاً للحق، وتخفيفاً عن المواطنين المعذبين في وقت يعمل فيه صاحب الجلالة سيد البلاد بالداخل والخارج لإعطاء نظرة وافية عن المغرب العزيز، وما يتمتع به سكانه من حرية وعدالة وحقوق إنسانية، لا فرق في ذلك بين المواطنين والأجانب وهذه هي الأسئلة.

1 ـــ هل الشرطة المغربية سلطة تتعدى وتفوق القوانين العدلية ؟

2 ـــ هل يوافق معاليكم على ما ترتكبه الشرطة في دهاليز «الكوميسariات» بالمواطنين من مناكر لا يقرها دين ولا عقل، الحرق بالكهرباء السياط والتعذيب المخالفة لشرائع الدنيا ويطول هذا المكر وهذا العدوان الشهر والشهرين ولا سميع ولا مغيث؟

3 ـــ هل تسمح العدالة بانتهاك الشرطة منازل المواطنين بالليل والنهار، واختطاف الأفراد بدعوى المتابعة، بدل مطالبتهم باستدعاء لمركزها حسب الأعراف المتبعة؟

4 ـــ ما هي الوسائل القانونية التي تسمح لعائلات هؤلاء المعذبين في الأرض أو الوكلاء عنهم ليتصلوا بهم في السجون بعد اختفائهم عنهم طيلة شهر أو شهرين دون معرفة مكان وجودهم؟

5 ـــ عدد من العائلات تستغيث ولا مغيث زارت عدة محاكم للحصول على هذا الاذن القانوني لتطفئ غلتها برؤية أهاليها في السجن. ورجعت بالخيبة لأن كل محكمة تبعدهم بأنها لا تعرف ملفات هؤلاء ولا صلة لمحاكمهم بها.

6 ــ الكثير من هؤلاء المعتدى عليهم يستغيثون بالطرق القانونية التشريعية ويطالبون عائلاتهم بإحضار طبيب شرعي لفحصهم بالسجن، ومعرفة الحالة التي يوجدون عليها من جراء التعذيب، فهل ليس لهم الحق في ذلك ؟

وإلى حضراتكم أسماء هؤلاء المعذبين.

إدريس الكويس

محمد بن كدور

عبد الوهاب بن موسى... الخ..

لن يخضع الشعب لديكتاتوريتكم أبداً(*)

«ومن يكسب خطيئة أو إثماً، ثم يَرْمِ به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً» (قرآن كريم).

هذه الانتصارات التي حققها حزب الشورى والاستقلال لصالح الحرية والديمقراطية أصبحت تزعج رجال حزب الاستقلال وصحافة حزب الاستقلال، فينطلقون مسعورين ينادون بالمحاكمات وتطبيق القوانين الجائرة، والتستر وراء ما يسمونه بحماية الدولة من مخربيها.

هذا الوعي الذي تحرك في نفوس الجماهير الشعبية التي آمنت بفشل الحكومة الحالية وعجزها عن تحمل مسؤولياتها فأصبح المغربي من

(*) «الرأي العام» ترد على «العلم» (22) يناير 1958)

أقصى المغرب إلى أقصاه متسائلاً عما حققته له الحكومة، وما قدمته للشعب، ومجيبا نفسه بنفسه أن المغرب لا يسير بخير، هذا الوعي الشعبي ثار له الحاكمون ثورة لم يسبق لها مثيل، بعد أن أحسوا أن حلوقهم تغص بلقمة الحكم التي حسبوا أنهم سيأكلونها دائماً سائغة، ولو جاعت بطون الشعب.

هذه الحملة الظالمة التي قام بها حزب الاستقلال على جميع الأحرار في كل مكان سواء منهم من ينتمي لحزب الأحرار المستقلين، وللحركة الشعبية، أو لحزب الوحدة والاستقلال، أو لحزب الشورى والاستقلال، أو للنقابة الحرة الممنوعة من الوجود، تلك الحملة التي تنوعت في أشكال الاعتقال والاختطاف والاغتيال والتعذيب الجهنمي، ثم فشلت تحت صبر الشعب وأمام احتماله الرائع وثباته المدهش، فانقلبت شرا على الظالمين.

هذا هو التفسير الحقيقي لمقال جريدة العلم الذي نشرته أمس تحت عنوان : «هؤلاء الذين يخربون الدولة، ما موقف الدولة منهم؟»

لقد جاء هذا المقال إثر ستة أحداث هامة وقعت في المغرب تزيد أهدافه وضوحاً.

1 ــ انتصار حزبنا لمبادىء القومية العربية وظهوره بمظهر الوفي لقضاياها بمشاركته في المؤتمر التاريخي العظيم الذي انعقد بالقاهرة وارتفع فيه صوت المغرب الحر، إلى جانب ممثلي مليار وخمسمائة مليون من البشر المنتمين للقارتين الآسيوية والافريقية، في الوقت الذي كان حزب الاستقلال يطمع في أن يظل مقعد المغرب فارغاً وأن يكون لشعبنا موقف غير موقف بقية الشعوب العربية الشقيقة من قضايا العروبة والتحرير.

وإذا كان موقفنا من ذلك المؤتمر انتصاراً لنا وللشعب، فالموقف المعادي الذي اتخذه حزب الاستقلال من ذلك المؤتمر والتهجمات الكاذبة، والقذف المغرض لأهدافه ورجاله والدول العربية المشاركة فيه التي قام بها رئيس حزب الاستقلال السيد علال الفاسي، ثم مقابلة الشعب لجميع تلك الدعايات بالاستخفاف بل وبالتنديد والسخط على مروجيها، كل ذلك قد زعزع حزب الاستقلال، وألقى في صفوفه نفسها الشك في قادته والتساؤل عن الأسباب الحقيقية والخفية التي أطلقت أفواه المسؤولين فيه وأقلامهم بحملات القذف والطعن تبعاً لموقف الصحافة الاستعمارية ونزولاً عند مصالحها.

2 ــ وجاء مهرجان باشكو الذي ضم عشرات الآلاف من جماهير الشعب البيضاوي، كلهم أيدوا مطلبي الحرية والديمقراطية، وكلهم أيدوا مقررات مؤتمر القاهرة، وكلهم هتفوا بحياة جلالة الملك مقرونة بحياة المبادىء السامية التي يدعو لها حزب الشورى والاستقلال.

فهال حزب الاستقلال أن يقف ذلك الخضم البشري من الخلائق يهتف بحنجرة واحدة، ويقول من تلقاء نفسه أن في الشعب بطوناً جائعة، وعاطلين يعدون بمئات الآلاف، وكلهم ينددون بالظلم، وينادون بأن الوطن ينبغي أن يكون للجميع لا لحزب الاستقلال الذي يريد أن يحتكر جميع ما في الوطن من خيرات ووظائف وامتيازات له وحده.

3 ــ وجاء هذا المقال بعد ما اعتقد حزب الاستقلال أن خروج حزبنا من الحكم، والقتل والاختطاف الذين ذهب ضحيتهما طائفة من أنصاره ستوهن من عزم أنصار حزبنا، فإذا به يرى صوت المعارضة يرتفع، وصفوفنا تتكاثر وتتقوى، ولم ينفع حزب الاستقلال منعه للحركة الشعبية،

ولم يستفد غير السخط مما نزل بالأحرار المستقلين من قتل واختطاف وإحراق مكاتبهم.

وبذلك لم يصل حزب الاستقلال إلى هدفه من أن يجعل من نفسه حزب الأمة الوحيد، وكان قد ظن أنه من ذلك على قاب قوسين أو أدنى، فإذا بأموره في الدولة تتعثر، وإذا بالحرية تفرض نفسها، وإذا بمشروع إقبار الحريات يكاد يقبر قبل أن تقبر الحريات، وأخذ الحزب يفكر في المصير.

ظهرت الكتابة على الجدران فازداد الشعب سخطاً وحنقاً على من يكتبون تلك الكتابات الهدامة، وظهرت شخصية الملك قوية أكثر من كل وقت مضى، وأعلن الشعب أنه ما يزال وفياً لمحمد الخامس، فتبددت الأحلام وجاءت جريدة العلم لتتحدث عن الدولة واحترامها وحمايتها من المخربين، وقرأنا عنوانها فخيل إلينا أنها تتحدث عن هؤلاء المخربين ولكن هؤلاء المخربين الجبناء لا تتخذ العلم وحزبها منهم موقفاً، ونحن نسجل عليها ذلك، والشعب يعلن أنها لم تتخذ منهم لحد الآن موقفاً لسبب واحد، هو أنهم لم يتهجموا في نظرها على الدولة لأن الدولة تعني في لغتهم حزبهم، كما هو معناها عند الأحزاب الديكتاتورية.

لماذا سكتت العلم عن هؤلاء المخربين؟ ولم تتحدث الا عن حزب الشورى والاستقلال ورجاله الوطنيين الصادقين الذين يحلو لها أن تدعوهم بالمخربين للدولة.

وقد جاء مقال العلم إثر اتخاذنا موقفاً صريحاً من ذلك الدس المفضوح الذي نددنا فيه بالمستترين من ورائه والذين يهدفون الى تخريب الدولة بالمعنى الحقيقي لهذه الكلمة هذه المرة.

4 ـــ وجاء هذا المقال إثر جواب الشعب بالاجماع ضد المشروع الذي كان يريد حزب الاستقلال أن يعرقل قضية الحريات، ويصبح بمقتضاه المتحكم في مصير الأحزاب ومصير الملايين من أتباعها من المغاربة، فافتضحت بجميع ما سلف خرافة حزب الأغلبية، وخرافة الحزب العتيد، هذا الحزب الذي لو كان يتأكد من كونه حزب الأغلبية لما لجأ ممثلوه في الحكم إلى تزوير إحصاء الناخبين ليضمن لنفسه ولأعضائه الخلود في الحكم رغم إرادة الأمة، بعد أن احتكر في ظل الحكومة الحاضرة طيلة أزيد من سنة جميع إمكانيات الدولة من وظيفة عمومية وإذاعة وطنية، وبعد أن لخص المغرب في أعضائه فجعل منهم طبقة المحظوظين، وأسلم بقية الشعب أي الملايين العديدة من الأمة إلى أحضان الإهمال والحرمان والشقاء.

5 ـــ ثم ياتي هذا المقال بعد محاكمة لأنصار حزبنا في الدار البيضاء، تلك المحاكمة التي كانت مهزلة قضائية تبين فيها للجماهير الشعبية حقيقة تلك المحاكمة ومقدار نزاهة قضاتها الذين حرفوا الحكم بعد أن نطقوا به أمام ستة محامين و26 متهماً وعدد غفير من الجماهير، من بينهم أعوان المحامين ومراسلو الصحف ووكالات الأنباء العالمية التي أبرقت في الحين بنص الحكم الأول قبل أن تشرق عليه شمس اليوم التالي فيصبح حكماً آخر.

وطبيعي أن يكون لهذه المهزلة رد فعل في نفس الشعب الحريص على الاستمتاع بعدالة نزيهة.

6 ـــ ويأتي هذا المقال اثر تصرفات طائشة ـــ ولا نصفها بأكثر من هذا ـــ قام بها المسؤولون في الحكومة الحاضرة من أعضاء حزب الاستقلال ضد جيش التحرير الجزائري المكافح، افتضح معه لرجال

الجبهة الوطنية الجزائرية الألعاب الخفية التي تدار ضد حركة التحرير الجزائري التي يتمشدق المسؤولون في حزب الاستقلال بأنهم يعينونها ويساندونها ولولا تدخل ملكي كريم أنقذ البلاد من شر فتنة كان أعداء المغرب والجزائر أول من كان سيستفيد منها، لوقعت في البلاد مصيبة وقى الله وحكمة ملكنا الشعب من شرها المستطير.

وهذا مما زاد في تأزم موقف رجال حزب الاستقلال الذين يريدون أن يستروا هزائمهم بأمثال المقال الذي كتبته جريدتهم أمس.

إنها سلسلة أحداث وهزائم نستطيع أن نقول عنها إنها تؤلف باختصار الظروف التي أملت على أصحاب جريدة العلم مقالها الافتتاحي في عدد أمس.

فأما المقال نفسه فيصبح بعد هذه المقدمة الموضحة لما سلف سخيفاً كل السخافة فاقدا لروحه، وجوهره يتلخص في كلمتين. قذف من منهزمين فاشلين، ودس من مغرضين موتورين وما هم هنا الا قادة حزب الاستقلال.

ومع ذلك فسنحاول أن نجد من خلال هذا المقال بعد أن أفرغناه من مدلوله ما قد يكون فيه من تهم خادعة وادعاءات مضللة، سندحضها بعد هذه المقدمة في غير عسر ولا صعوبة.

التحريض على الفتنة

إن من بين ما تقذف به «العلم» رجال حزبنا المسؤولين هو أنهم حرضوا الجماهير على الفتنة في مهرجان «باشكو» والحمد لله أن كان رجال الحزب يلقون خطبهم أمام سمع الأمة وبصرها، وتلك الجماهير التي بلغت عشرات الآلاف قد سجلت كلها بوعي وإدراك ما ذكره الخطباء

الشوريون من توجيهات رشيدة نيرة، وتعاليم دعت كلها لاحترام النظام، وقد سجل مراسلو الصحف تصريحات قادة الحزب وتصدت هذه الصحيفة لنشر نصوصها الكاملة دفعا لأباطيل «العلم» وردا على ترهاتها، ومتى كان رجال سياسيون معروفون بوعيهم الوطني كقادة حزبنا رجال فتنة؟ أو خطباء محرضين على الفتنة؟

هل الدعوة الى نصرة الديمقراطية والحرية والدستور والبرلمان فتنة؟ هل تأييد مقررات القاهرة فتنة؟ هل حث الشعب على الوقوف وراء جلالة الملك فتنة؟

فعن أي فتنة يتحدثون؟ لقد فتن الشعب عن حزبهم، وفتن أنصارهم عن قاعدتهم، وفتنت معارضة حزبنا رجال الحكم منهم عن الاستمتاع بلذة الحكم، هذه هي الفتنة القائمة في المغرب.

فأما المغرب فهادىء رغم استفزازهم للشعب، وأما مهرجان باشكو فقد تفرق في هدوء وسكينة، لم يعكر قبله ولا خلاله ولا بعده نظام، فأين هي الفتنة؟ إنها في عقولهم الخائفة على الحكم أن يفلت من أيديهم، إنها داخل ضمائرهم الغير المطمئنة، انها داخل صفوفهم التي تسرب إليها الشك في قادتها.

وإذا كانت هذه هي الفتنة، فما نحن بمسؤولين عنها وإنما المسؤولون عنها هم أنفسهم، وعلى نفسها جنت براقش. لماذا لم يكن علال الفاسي في نظرهم محرضاً على الفتنة عندما حضر من القاهرة ليسقط الحكومة الائتلافية، وليهدد الوزراء في حزبه بالموت إذا لم يقدموا استقالتهم؟

وكانت جريدة العلم التي تبكي اليوم بدموع التماسيح هي المحرضة على الفتنة حين نشرت له تصريحه ذلك، عجيب والله أن تصبح العلم اليوم باكية حزينة على الدولة المهددة التي كان زعيم تلك الجريدة أول من حرض على الفتنة لولا حكمة قادتنا وتمسكهم بالصبر ولولا وعي الشعب الذي قابل ذلك التحريض بالاستخفاف والاستهزاء.

الأموال واليد الأجنبية

هي تهمة أخرى تقذفنا بها العلم، لم تجهد نفسها في العثور عليها لأنها أول ما يتهم به الاستعمار وأذنابه ممثلي الشعب والناطقين به، كان كَيوم والجلاوي وبونيفاس يقولونها في حق كل وطني مغربي وفي حقهم كذلك. كما قالها الإنجليز من قبل في مصر والعراق، ورددها الهولنديون في أندونيسيا وتبناها بالحرف كل طاغية مستبد أوحى له تبوؤ مقعد الحكم بعقلية الاستعمار! ذلك أن الاستبداد كصنوه الاستعمار يلتقيان في أهداف واحدة ويستعملان نفس الخطط والأساليب؟

منذ أن نشأت الحركة الوطنية ورجالها يتهمون من لدن المستعمرين وطغاة العهد البائد، بأنهم يتحركون بأيدي أجنبية، وتموهم مصالح أجنبية، إنهم يقلدون الاستعمار في أساليبه ووسائله فيتهمون وهم متأكدون بأن تهمهم باطلة، وأنهم يقذفون بالاثم والبهتان، تماما كما كان الاستعمار يفعل مع الوطنيين، حين كان يقذفهم بالاثم والبهتان. أيكون لمهرجان باشكو الرائع هذا الأثر الكبير في نفوس رجال حزب الاستقلال حتى يلجأوا إلى هذا القذف الحقير الذي لا يغالطون به حتى أنفسهم؟

أكانت تكفي ستة خطب تلقى في مهرجان باشكو لتنطلق أقلامهم تكتب هذا الخزي والعار الذي يسجله عليهم الشعب والتاريخ؟

أيخافون على مقاعد حكمهم هذا الخوف حتى ينطلقوا في هذا السعر المجرم، وفي هذيان المحموم يهرفون بما لا يعتقدون؟

من الذي يصدقهم في هذا الهذيان، وهم يعلمون أنهم كاذبون، والله يشهد أنهم لكاذبون؟

لنفكر قليلاً؟ أي يد أجنبية يقصدون؟ أيقصدون فرنسا التي لنا من جيشها موقف واضح هو الجلاء، ومن التبعية لها موقف جلي هو الاستقلال التام، ومن موقف الاتفاقيات الثنائية معها موقف معروف هو الرفض، ومن معونتها موقف هو ردها كلما كانت مقيدة بشروط.

أتؤدي لنا فرنسا المال لنطالبها بالاستقلال التام، والجلاء الكامل في الوقت الذي يسكت فيه حزب الاستقلال عن هذا سكوتاً مريباً؟

أتؤدي لنا فرنسا المال ونحن الذين نصبنا صحافتنا وحزبنا للتنديد بسياستها في الجزائر، ونحن الذين أيدنا دائماً مطالب إخواننا الجزائريين في الاستقلال الكامل؟

إن ما قمنا به لصالح الجزائر الشهيدة نحتسبه لذات الله والوطن، ولكن يعرف حقيقته إخواننا قادة الجزائر انفسهم، وكل هذا يكفي لكي لا يجعل منا الحزب الذي يمكن أن يتهم بكونه خادم قضية فرنسا التي لم يمض غير أسبوع على تهجم إذاعتها علينا ووصفنا بأسوأ النعوت والألقاب.

أم يقصدون باليد الأجنبية اسبانيا التي نطالبها برد مناطقنا الصحراوية الواقعة تحت نفوذها الى حظيرة أم الوطن، وننفرد في المغرب بمطالبتها بإرجاع سبتة ومليلية الينا، وهما قطعتان إسبانيتان.

ألم يكن لنا من حوادث إيفني موقف واضح صريح هو التأييد المطلق لكفاح المجاهدين الباعمرانيين، ثم ألم نطالب — ولا نزال — الحكومة المغربية بالخروج من ترددها، وباتخاذ موقف الحزم من اسبانيا المتنكرة لحقوقنا ومطالبنا في السيادة والاستقلال الكاملين.

لقد طالبنا حكومة الرباط بسحب سفير المغرب في مدريد احتجاجاً على العدوان الاسباني فلم تفعل، وطالبناها برفع قضيتنا مع إسبانيا الى المحافل الدولية فلم تقبل؟

أتكون إسبانيا تحركنا وتزودنا بالمال لنفضح استعمارها ونضايقها، لفائدة استقلالنا ووحدة ترابنا الكاملة، ولنطالب جيشها بالجلاء عن أرضنا؟

أم تكون الدولة التي تحركنا هي أمريكا، ولنا من قواعدها موقف واضح هو الجلاء، ومن عراكها مع الكتلة السوفياتية موقف معروف هو الحياد.

فهل تمولنا أمريكا لنتخذ منها هذه المواقف التي لا تخدم مصالحها بوطننا؟

أم تكون الدولة التي تحركنا هي روسيا التي لا نلتقي معها في فلسفتنا لأننا ديمقراطيون، والتي كتب قادتنا دائماً يقولون إنهم لا يقبلون مذهبها الإجتماعي وأن لهم مذهباً ولحزبنا مذهباً، فهل تمولنا روسيا وتستخدمنا لنقول عن عقيدتها ما قلناه ونكرره اليوم ؟

إننا لا نسمح لوطننا أن يسقط من جديد تحت استعمار كيفما كان نوعه وشأنه، ونحن نتحدى الحكومة أن يكون لها موقف وطني واضح كل الوضوح من قضايا المستعمرين ومن الدول الاجنبية كموقفنا.

ولا نريد نحن بدورنا أن نتهم ــ وكان في إمكاننا أن نفعل ــ أن الشعب ليتساءل عن الأسباب الخفية التي أقامت حملة حزب الاستقلال على مؤتمر القاهرة وعن الدولة أو الدول التي أوصت بعدم حضور المغرب فيه وعن الظروف التي تم فيها إبرام اتفاقية بسحب البسيطة في مدريد، وعن السبب في عدم المطالبة رسمياً بسبتة ومليلة، ويسأل إخواننا المجاهدون الجزائريون هل يساعدون من لدن الحكومة الحاضرة، وهل يسمح لهم بالقيام بنشاط حر عبر الحدود؟ وهي أسئلة يضعها الشعب ولا نتولى نحن الجواب عليها.

الاستعمار أرحم

تكذب العلم حين تنسب الينا أننا صرحنا أو قلنا بأن الاستعمار الفرنسي والاسباني أرحم من طغيان الحكومة، فهذا بهتان طبخته العلم والنافخون فيها طبخاً.

إننا نددنا دائماً بتصرفات بعض المسؤولين في الحكومة وأعوانها، وقلنا وما نزال نؤكد بأن تلك التصرفات تذكر بأيام الاستعمار، وقلنا ونكرر بأن الحكومة أبقت ما كان في عدة ميادين، وكتبنا أن محاولة إقبار الحريات ومضايقة الوطنيين بالتشريد والاعتقال الجائر عمل لا يتفق ومقتضيات العهد الجديد، وكنا دائماً ضد الاستعمار لم يعرف منا هوادة، ونددنا دائما بتصرفاته في العهد البائد، وبما خلفه من شرور وآثام وتمنينا دائماً لأمتنا أن تنمحي صورة العهد البائد المظلم من جميع تصرفات المسؤولين وقراراتهم ليشعر الشعب في ظل العهد الجديد بالراحة النفسية والرفاهية والرخاء.

إننا في طموح الى حياة أسعد ومستقبل أحسن، وفي تطلع دائم الى أن يكون يومنا أحسن من أمسنا، وغدنا أحسن من يومنا. وإن رضي

رجال حزب الاستقلال عن أنفسهم وحكمهم كل الرضى عاملين بحكمة. ليس ي الامكان أبدع مما كان، فما نحن معهم على وفاق.

أسود وخرفان

يقول كاتب العلم : إن هؤلاء الذين يتظاهرون كمنقذين للوطن ويتقمصون بشجاعة الأسود، قد كانوا بالأمس القريب خرفاناً يرعاها المقيمون العامون الفرنسيون والاسبانيون!

هذه تهمة أخرى يلفقها أصحاب العلم فيما لفقوه من ترهات كاذبة ومغرضة في مقالهم الذي نشروه الامس، انهم يريدون أن يتهمونا بالتعاون مع المقيمين العامين الفرنسيين والاسبانيين! ولكن التاريخ يكذب جريدة العلم ويشهد لنا بأن الذين تعاونوا في مجلس شورى المقيم، لم يكونوا من حزبنا! ولكن كانوا من حزب جريدة العلم، فهم الذين رضوا بالتعاون مع الجنرال جوان في ذلك المجلس يوم قاطعه الشعب! وحين كانت صحيفة الرأي العام تندد بخطر التعاون داخل ذلك المجلس، وتشهر بالوطنيين الذين رضوا بالحضور فيه الى جانب أذناب الاستعمار، كان مقص الرقابة الفرنسية يحذف مقالاتنا ليحمي ظهور المتعاونين، وكانت جريدة العلم نفسها تكتب المقالات للدفاع عنهم دون حياء ولا خجل! وجريدة العلم تأتي اليوم في غير حياء ولا خجل أيضاً لتقول عنا إننا تعاونا مع المقيم الفرنسي !

من تعاون مع الجنرال نوجس ؟ وذهب إلى قصر الاقامة العامة ليحمل وثيقة التضامن مع فرنسا في حربها العالمية ؟ من جلس على مائدة اريك لابون يبارك مشاريعه الاقتصادية الاستعمارية ؟

من الذي حضر على مائدة المقيم لاكوسط يوم كان جلالة الملك محمد الخامس بمدغسكر؟

أليس الذين فعلوا ذلك هم من حزب الاستقلال ومن أعضائه البارزين بالذات؟

تقول جريدة العلم، اننا قدمنا للجنرال جوان مذكرة 23 شتنبر 1947، نعم، لقد قدمناها وهي وثيقة على أساس المطالبة للمغرب بالاستقلال وعلى أساس الاستقلال أجرينا مفاوضتنا معه الى أن يئسنا من انصاف فرنسا لنا في حقوقنا، فأوقفنا المفاوضات وطارت وفود حزبنا الى القاهرة وباريس ونيويورك، لتقيم الحجة على المستعمرين ولنطالب المحافل الدولية بإدانة فرنسا (على أننا لم نقدمها للجنرال جوان حتى قدمناها لصاحب الجلالة سيدي محمد الخامس)، هذا هو تاريخنا مع المقيمين العامين الفرنسيين وتاريخ حزب الاستقلال أيضاً. ولا يعرف لنا التاريخ شيئاً عن علاقتنا بمقيمي اسبانيا سوى أنهم حاربوا دائماً حزب الشورى والاستقلال بوصفه حزباً ديمقراطياً وبوصفهم ممثلي نظام ديكتاتوري.

إن علاقة رجال حزبنا بالمقيمين الاسبانيين هي علاقة المضطهد (بالكسر) بالمضطهد، فأعضاء حزبنا هم الذين عرفوا السجون وحدهم، على عهد الاستعمار الاسباني، ورجال حزبنا هم الذين تضايق من نشاطهم السياسي رجال الاقامة العامة الاسبانية، على حين شجع ذلك الاستعمار صحافة ورجال حزب آخر بالتأييد والمال، وهذا التاريخ معروف فيما كان يسمى سابقاً بمنطقة الشمال.

ألم يسجن الاستعمار الاسباني أحمد بنسودة، وإبراهيم الوزاني، ألم يضايقهما في نشاطهما إثر مؤامرة غادرة سنفضحها في وقتها.

وإذن فأين هي تهمة العلم الملفقة، ان العلم تستطيع أن تزور التاريخ حين ينقرض أحياء الجيل الذين عاشوا الحوادث، ولكن نسيت العلم أنها تكتب عن تاريخ ما تزال ذكرياته عالقة بالأذهان.

أنصاف الحلول

وتقول العلم. اننا كنا من أنصار أنصاف الحلول في مواجهة مشاكل المغرب، إن تصريحات رجال حزب الاستقلال شاهدة عليهم بأنهم كانوا دائماً يتراجعون في مواقفهم، ان تصريحات زعمائهم وهم في السجون أو في المنفى لم ينساها الشعب بعد، ثم ألم يصرح الكاتب العام لحزبهم الحاج أحمد بلافريج وجلالة الملك في المنفى، بأنهم يكتفون برجوعه الى فرنسا لا الى العرش، في الوقت الذي انطلق فيه صوت حزبنا مطالبا برجوع جلالة الملك الى عرشه، ومنددا ومستخفا بمؤامرة الاستعمار على عرش السيادة والاستقلال، ثم ألا يحق لنا أن نذكر حزب الاستقلال بمراجعة أسماء الذين لم يرضوا بأنصاف الحلول من أعضائه، بل انحنوا على أقدام بن عرفة راكعين، وتبرأوا إثر قنبلة السوق البلدي (المارشي سنطرال) بالدار البيضاء من رجال التضحية والفداء.

وإن ننسى فلا ننسى التصريح الذي أفضى به زعيم حزب الاستقلال بالقاهرة يوم عين السيد كرانفال مقيماً عاما بالمغرب، فقد صرح لمراسل فرانس سوار بالقاهرة بقوله. اننا مستعدون للتعاون مع كرانفال في إطار الحماية، ولم يتعرض الى رجوع جلالة الملك.

هو تاريخ عشناه جميعاً وكنا في غنى عن التذكير به لولا أن اضطرتنا اليوم وقاحة العلم التي ظن محررو مقالها أنهم قادرون على مسخ حقائق التاريخ وتحطيم الماضي لمجرد كلمات تخطها أقلامهم.

وزراء في الحكومة

جاء في افتتاحية العلم: ألم يكن المتكلمون يوم الأحد مسؤولين في الحكومة الائتلافية عن ميادين التعمير والشغل والتصنيع والشبيبة

والمالية؟ فلم لا يتحدثون عن الفشل والفراغ اللذين تركوهما من ورائهم ؟ هكذا تتحدث العلم عن جهود سنة قضاها ممثلو حزب الشورى والاستقلال في الحكومة الائتلافية لتحطمها بكلمة الفشل التي لا ندري كيف تفهمها جريدة العلم، وحيث أخذنا على نفسنا أن نرد على سفسطة جريدة العلم بالحقائق فسنجيبها أيضاً بالحقائق في هذا المجال.

إن وزارة التعمير ضربت الرقم القياسي في ما شيدته من مساكن بعموم المغرب نذكر منها على سبيل المثال ما شيد لفائدة الطبقة الفقيرة بالدار البيضاء في سيدي البرنوصي والعنق وعين الذئاب وكريير سنطرال وابن مسيك وبورنازيل والدرب الجديد، بالإضافة إلى ما شيد في جهات أخرى.

وذلك بالرغم من كون وزراء حزب الاستقلال مانعوا في إعطاء وزارة التعمير ما كان يلزمها من اعتمادات مالية لتحقيق مشاريعها التعميرية الكبرى التي أبقى الوزير طائفة منها يوم خروجه من الوزارة مشاريع ممكنة التحقيق، فلم يقدر لها الوجود لسبب واحد، وفي كلمة واحدة، هو توقف حركة البناء على عهد الحكومة الحاضرة.

وأما وزير الشغل، فقد خلق وزارة من عدم، ووضع مشروع قانون للشغل يعتبر مشروعاً تحررياً، فقوبل بمؤامرات العرقلة من طرف رجال حزب الاستقلال وظل ذلك المشروع ينتقل من لجنة الى لجنة، حتى تغيرت الحكومة، وأقبر المشروع وتبنى الوزير الحزبي فصلين منه نشرا في شكل ظهير، ولا ننسى أن وزير الشغل قد رفع أجور العملة وأدخل المغرب إلى منظمة الشغل الدولية ونجحت وزارته رغم الاضرابات المنظمة لغرض حزبي معروف.

وأما وزير التصنيع فقد حقق مشاريع معروفة لفائدة التصنيع في المغرب وسافر بصحبة وزير المالية إلى بروكسيل عاصمة بلجيكة من حيث رجعا يحملان مشاريع كفيلة بتحقيق الازدهار الصناعي، ومع ذلك فإن وزراء حزب الاستقلال تآمروا على الوزيرين الشوريين وهما في بلجيكا ليحبطا مسعاهما الذي ما كان يستفيد منه الا المغرب وحده، ولا نعلم أن المعامل الصناعية قد أقفلت أبوابها أو قللت من نشاطها على عهده بنفس النسبة التي وقعت على عهد الحكومة الحالية التي يسيطر حزب الاستقلال فيها على وزارة الاقتصاد الوطني.

وأما وزير الشبيبة والرياضة فهو معروف بما حققه من مشاريع ضخمة لفائدة الرياضة والشباب، فالحركات الرياضية ومنظمات الشبيبة وجمعيات التمثيل ورعايته للمنظمات الاجتماعية أمر لا نحتاج للتذكير به، لأنه في غنى عن كل تذكير ومن العبث أن نقارن بين ما أنجزته وزارته على عهد الحكومة الاولى، وما أصبحت عليه حالتها اليوم فالمقارنة هنا غير ذات موضوع.

وأما وزير المالية فيكفي أن نذكر بأنه كان أول وزير للمالية عمل مستقلا حقاً وطرد الكاتب العام للمالية دون بقية جميع الوزراء، واستطاع أن يضع ميزانية ذات قواعد وأصول للمغرب المستقل، بقسميهما التسيير، والتجهيز، وقد غادر الوزارة المالية تاركاً وراءه خزينة سليمة، قادرة على الوفاء بما يطلب منها رغم ما اكتنف به عمله من مؤامرات من طرف من كان يجب عليهم أن يسندوه من وزراء حزب الاستقلال الذين كانوا داخل الوزارة الائتلافية التي لم يكن لها من الائتلاف الا لفظه.

وقد كان السيد بوعبيد نفسه وهو سفير للمغرب في باريس، يقوم بإحباط مساعي وزير المالية، وما كان السيد بوعبيد يدري أنه إنما يحطم

بتلك المساعي الدولة التي كان ممثلها في عاصمة فرنسا، والسيد بوعبيد اليوم وهو يتخبط في الأزمة الاقتصادية الخانقة لا يجني الا ما قدمت يداه، وينبغي أن نذكر هنا بمغالطة السيد علال الفاسي — على عادته — حين كتب يقول. «إن في إمكان المغرب أن يحصل من الدول العربية على ستمائة مليار من الفرنكات» وقد صدق بعض المغرورين ادعاءات السيد علال الفاسي التي ظهر أنها كانت ملفقة عندما لم يمكنه أن ينجد بها حكومة حزبه الموجودة اليوم في الحكم، هذه الحكومة التي رفضت على ما يقال بضعة ملايير عرضتها عليها دولة عربية لا ينظر اليها المستعمرون بعين الرضى.

لسنا ضد حرية الآخرين

هكذا تدعي جريدة العلم اليوم، بينما كانت مقالاتها طيلة سنة كاملة، دعوة صريحة الى القضاء على الحرية واستعداء الحكومة على الاحرار باسم الامن تارة، والدولة المهددة تارة اخرى، فهل حزب الاستقلال حقاً يريد أن يضر بحرية الآخرين؟ لنراجع التاريخ، ألم يمنع حزب الاستقلال نقابة حرة من التأسيس؟

ألم يمنع حزب الاستقلال «الحركة الشعبية من الوجود»؟

ألم يضايق الأحرار المستقلين في نشاطهم ويلقي بأعضائهم في السجون؟

ألم يمنع حق التشكي والتظلم في المغرب؟

ألم يحجز وزير من وزرائهم البرقيات الموجهة إلى جلالة الملك وإلى الرئيس البكاي ؟

ألا تعد بالعشرات والمائات قائمة المضطهدين والمختطفين في صفوف حزبنا؟

ألم يضطهد كثيرا من الموظفين لأجل أفكارهم فحيل بينهم وبين الوظيفة العمومية؟

ألم تصبح الاذاعة في المغرب بوقاً له وحده، وحرمت على الأحزاب الوطنية الاخرى؟

فأين هي الحرية التي يدعي حزب الاستقلال أنه لا يقاومها في المغرب؟

التطرف في الوطنية

وتقول العلم. ان هؤلاء الذين يتغالون في التطرف في الوطنية لا يصدرون في ذلك عن مبادىء راسخة في أنفسهم ولا عن عقائد وطنية، توحي بها قلوبهم ولا عن وجدان قومي يكيف سلوكهم وتعبيرهم.

هذه تهمة أخرى ليس لجريدة العلم أيضاً أي فضل في اكتشافها لأنها نغمة مألوفة عند المستعمرين والمستبدين، تذكرنا بلغة كَيوم في العهد الماضي، إننا متطرفون لأننا نطالب بالوحدة الكاملة والجلاء التام والاستقلال الصحيح وبالانضمام الى الجامعة العربية وبالحياد عن الاحلاف، ولا نقبل التهاون مع المستعمرين.

وحزب الاستقلال معتدل لأنه يومن بإمكانية تحقيق هذه الأهداف وقدرة الشعب على الوصول إليها، وهو يعتبر أن مناداتنا بهذه المبادىء تملق للجماهير، لأنه أراد أن يصل إلى الحكم من أسهل طريق، ولأنه خمدت في رجاله شعلة الكفاح التي تسهل كل عسير، والتي تدفع بالجائعين إلى وصف ذوي الشجاعة والإيمان بالتطرف حين لا يقووا على مواصلة الكفاح، انهم يريدون أن يخلقوا من جديد أسطورة التطرف

والاعتدال، وهم بذلك يتكلمون مع الأجانب بلغة المساومة التي نعلم أنها كثيراً ما يستعملونها في أحاديثهم ليبرروا بها ما يحلمون به من قمع للوطنيين ومضايقة للحريات حتى يطمئن الأجانب أنهم قاوموا التطرف الذي لا يخدم مصلحة الاجانب حين قاوموا كفاح خصومهم السياسيين.

إننا مع الشعب معتدلا كان أو متطرفاً، ووطنيتنا لا تخضع لمقاييس التطرف والاعتدال، لأنها صادرة عن وحي ضمائرنا وعن إرادة شعبنا الذي قهر بعزيمته كل مطلب صعب المنال عسير التحقيق والذي تتفق أهداف كفاحه مع أهداف كفاح الشعوب التي عانت الاستعمار أو التي لا تزال تعانيه، وإننا نسجل على رجال حزب الاستقلال اعتبارهم لمطامح الشعب بهذه الاعتبارات التي سوف يتمسك بها الاجنبي لإدامة احتلاله ونفوذه السياسي الذي يخدمه كل من يدعي الاعتدال في مواقفه وتصرفاته.

الاحتراف بالسياسة

هو وصف وصفتنا به جريدة العلم فيما وصفتنا به بسخاء من عبارات قاسية وقذف وتهجمات فقالت عن قادتنا «إنهم فئة من العاطلين يحترفون السياسة» والذي يعرف قادة حزب الشورى والاستقلال — وهم معروفون في المغرب وخارج المغرب — يعلم أنهم أبعد الناس إلى الاحتراف بالسياسة والتكسب منها.

فالذين احترفوا السياسة في المغرب منذ ثلاثين سنة خلت معروفون من عامة الشعب بأسمائهم وعناوينهم، ان الشعب يعرف كيف نشأوا في ظل السياسة فقراء، وكيف استغنوا من حرفة السياسة، وهؤلاء الذين كانوا يسكنون دورا متواضعة، ويعيشون عيشة بسيطة أصبحوا ولهم إيراد شهري

مرتفع، ومال في البنوك بالداخل والخارج مودع، وسيارات فخمة ينتقلون فيها، ولا يعلم الشعب انهم احترفوا حرفة سابقة غير حرفة السياسة.

وإن الفضائح المالية المعروفة داخل حزب الاستقلال والتي دفعت بطائفة من قادته الى الفرار من بعض الجهات التي كانوا يعيشون فيها، هاته الفضائح يردد الشعب أخبارها في المدن والقرى، ويعلم في الوقت نفسه طهارة صفوف حزبنا من أمثالها.

إننا ندعو حزب الاستقلال الى التحكم إلى قانون (من أين لك هذا) الذي نطالب بإصداره وتطبيقه بكل نزاهة على جميع الوطنيين، فهل يستطيع رجال حزب الاستقلال أن يقبلوا كما قبلنا التحكم الى هذا القانون ؟

فئة باغية تتمرد على الحكومة

هو تعبير آخر قذفت به افتتاحية العلم، ليس هو الا تعبيرا يفضح العقلية الديكتاتورية لرجال حزب الاستقلال، إنهم يريدون أن يقولوا أن انتقاد الحكومة تمرد من فئة باغية، ومتى كانت أية حكومة في حصانة من انتقاد الشعب، إذا استثنينا الحكومات الفاشستية والنازية التي عرفتها بعض دول أوروبا، فهل تريد جريدة العلم أن تضع الحكومة الحاضرة في نفس هذا الوضع، فتحرم انتقادها وتسميه تمرد فئة باغية من أبناء المغرب الضالين على حكومة تقول جريدة العلم إن على رأسها جلالة الملك.

يا للمغالطة! إن جلالة الملك على رأس الدولة، لا على رأس الحكومة، وللحكومة كما هو معلوم رئيس معروف، والمعروف على جلالة الملك أنه وإن لم يتقرر في المغرب النظام الديمقراطي بعد، فهو يترك لوزرائه

تحمل مسؤولياتهم كاملة، فلماذا يريد حزب الاستقلال أن يتستر دائماً وراء جلالة الملك ليخفي فشله الذريع.

حاشا جلالة الملك أن يضايق الحريات أو أن يضطهد رعاياه، أو أن يوافق على تصرفات بعض المسؤولين المنافية لمقتضيات العهد الجديد، إن حزب الاستقلال يحاول دائماً ان ينسب لنفسه وحده ما في الحكم من حسنات، وحين يتعلق الأمر بفشل الحكومة وعجزها أو حين يتعلق الأمر بإخضاع الأحرار لطغيانه يلجأ الى اسم صاحب الجلالة الذي سيظل عنواناً للحرية في هذه البلاد، لا يمكن استغلاله لغرض حزبي مقيت.

تلك ترهات العلم أو أكاذيبها، لم يصعب علينا ردها واحدة فأخرى، ولأنها أوهى من بيت العنكبوت، ولأنها صادرة عن نفوس مغرضة وأقلام مسخرة لغايات غير شريفة تهدف الى شن حملة القمع والاضطهاد كأن ما سلف في هذا الباب لم يشبع نهمهم ولم يطفىء غليلهم.

وبعد، فإن مقال جريدة العلم كشف بصراحة عن المؤامرة الخطيرة المدبرة للحرية وأنصارها في المغرب، تلك الحرية التي ابتدأت بالممانعة في تأسيس النقابات والجمعيات والأحزاب الجديدة، والتي يراد أن يعقبها حملة من الاضطهاد مدبرة من خصوم الشعب تهدف الى أن تجعل منهم الحزب الوحيد في الأمة تمهيدا للانتخابات التي تطبخ في الكواليس لتسفر عن أغلبية لا تجد لها منافساً.

إنهم يحاولون إسكات صوت المعارضة لئلا يستمر الشعب في مطالبته بما يسمونه بالمطالب المتطرفة، وهم يحاولون إسكات صوت المعارضة ليتمكنوا من توقيع معاهدة الاستيطان التي ستفتح عليهم مدد المعونة التي يرتقبونها وهم يحاولون إسكات صوت المعارضة ليستطيعوا أن

يبرموا ما يشاءون من الاتفاقيات حول الدفاع المشترك، والسوق المشتركة، والقواعد الجوية الامريكية، وليمسكوا بهذا الشعب بعيدا عن الاسرة العربية ويربطوه في عجلة الأحلاف وهم يحاولون أن يسكتوا صوت المعارضة ليلا تحاسبهم على مواقفهم حيال الجزائر التي أصبح حزبنا يحمل راية نصرتها كما هو معروف في الداخل والخارج.

وهم يحاولون أن يسكتوا صوت المعارضة لينفردوا بمقاليد المغرب، ويفرضوا عليه ما يشاءون من أنظمة تمنى أحدهم أن تكون ديمقراطية شعبية.

لقد قال سفير فرنسا السيد «بارودي» عن رجال الحكومة الحاضرة أنهم اختاروا فرنسا وأنهم يعطون لها كل يوم الدليل القاطع على هذا الاختيار، فهل يدخل في هذا الاختيار تحطيم المعارضة التي لا ترضى عنها فرنسا والاستعمار حيث كان؟

إن حزب الاستقلال واحد من عدة أحزاب في المغرب ليس غير، وليس له أي حق في أن يمتلك بمفرده هذا الوطن الذي هو ملك لجميع المواطنين.

ونحن نتحداه أن يترك الحكم لحكومة محايدة تجري الانتخابات بكل سرعة في البلاد ليعرف من هو حزب الأغلبية، فيعهد اليه بالحكم، وإلى غيره بالمعارضة.

فأما أن يجعل حزب الاستقلال من نفسه دولة يطالب بطاعتها والخضوع لها جميع المواطنين بالحديد والنار تارة، وبالقذف والخيانات تارة أخرى، فهذا لا نسمح به، ولا يسمح به جميع المواطنين الذين يريدون أن

يجعلوا من وطنهم وطناً حراً، لا وطناً تحطم فيه جميع القيم، ويصبح فيه النفوذ لمن سطا على الحكم واغتصبه.

لقد شققنا لأنفسنا طريقاً آمنا، إنه الطريق الأمثل الذي يخدم مصالح شعبنا، وهو طريق شائك ولكنه واضح الهدف قد يكلفنا تضحيات غالية، فلن يعزينا عنها إلاّ إيمان الشعب الاجماعي بأن طريقنا أقوم طريق، وهدينا أحسن هدي، فليهدد حزب الاستقلال ما وسعه التهديد، ولينذر فلن نتراجع عن خطتنا، ولن نحيد عن كفاحنا بالويل والثبور، فلن يثنينا عن غاياتنا، فقد جرب ما وسعته التجربة فباءت محاولاته بالفشل، ولن يكتب التاريخ في المغرب غير ما كتب منذ قرون من أن الغلبة للشعب والعاقبة للمتقين ولا عدوان الا على الظالمين ولينصرن الله من ينصره، ان الله لقوي عزيز.

الملحق الثالث

تعريف ببعض رجال المقاومة والشورى
مع تعقيب وتعليق

1 ـــ محمد بن عبد السلام الفاكتور.
2 ـــ الحاج الجيلالي الحداوي (أبو الفتح).
3 ـــ محمد الزاهي (الأزهري).
4 ـــ الشهيد أحمد المكناسي أو صور من الارهاب البوليسي في عهد الاستقلال.
5 ـــ البطل ابن ناجح كما عرفته.
6 ـــ الشريف سيدي محمد اليعقوبي
7 ـــ الوطني الثائر محمد بن عبد الله الشرقاوي.
8 ـــ تعقيب على مقال : قضية الاعتقال السياسي في أبعادها الانسانية والعاطفية
9 ـــ آخر ساعة : تعليق على استجواب بعض أبطال المقاومة في برنامج الكمبيوتر 7 التلفزيوني.

أستسمحك أيها القارىء العزيز، مرة أخرى على هذه الإضافة التي هي خارجة عن إرادتي، إذ سبق أن أشرت في فصل الخاتمة ومواضيع مختلفة، المتعلقة بالسيد محمد بن عبد السلام الفاكتور والسيد الجيلالي الحداوي فجاء في الفقرة الأخيرة ما يلي :

محمد بن عبد السلام الفاكتور

«إن محمد بن عبد السلام المعروف والمشهور بلقب الفاكتور لا زال حياً يرزق إلى يوم الناس هذا، أطال الله عمره. وتقابلنا صدفة في أحد مطاعم مدينة الجديدة، وأخبرني أنه كان خارج المغرب، لإجراء عملية جراحية دقيقة، والتي لاحظت آثارها بادية على أحواله الصحية العامة، وهو يتماثل إلى الشفاء، فلم أرد أن أزعجه، ولكنني طرحت عليه بعض الأسئلة المتعلقة بالموضوع، فأجابني أجوبة عامة، وأعطاني بعض الأسماء والتواريخ، واتفقنا على موعد آخر، وفي مكان غير المطعم لنبحث التفاصيل، ولكن هذا الموعد وهذا اللقاء لم يتم رغم مرور ثمانية شهور على لقائنا الأول (دجنبر 1988) لأسباب قاهرة، وقلت ربما تتاح له فرصة مع صديقه في الاختطاف والاعتقال والتعذيب، والمعروف حاليا باسم الحاج الجيلالي الحداوي الحارس الخاص للمرحوم الأستاذ محمد حسن الوزاني ليحكيا تفاصيل ما حدث لهما؟

وقبل أن أسرد أقوال الحاج الجيلالي الذي أعطاني معلومات مهمة وخطيرة أريد أن أسجل هذه الخواطر.

لقد أبقيتك — عزيزي القارىء — معي مشدوداً أسرد عليك الحقائق المثيرة والرهيبة التي كنت أحد ضحاياها البارزين، والذين كتبت لهم النجاة، وها أنا اليوم أكرر في هذا الملحق وأقول : إني أستعين

بالله وبقدرته، أن أجمع ما اختزنته ذاكرتي مما كان، وإن كان الذي كان من الصعب أن يستعاب بوصفه ونمطه، ولقد دفعني إلى تسجيل ونشر هذه الصفحات الاضافية شعوري الوطني بأن بلادي وهي حديثة العهد بالكفاح المسلح، وتجربتها الضئيلة في هذا النوع من الكفاح، فهي في حاجة ماسة الى العودة الى تجاربها السابقة، للوقوف عليها قصد الاستفادة منها في مواقف الخطأ والصواب، وهي في طريقها نحو البناء والتشييد، ولقد كانت معركة الشورى أو الديمقراطية غنية بالتجارب، طافحة بالدروس، زيادة أنها كانت من العوامل الرئيسية لتحرير المغرب المستقل، من الارهاب الحزبي الذي صال وجال وقتل وخطف وشرد، وذبح وشنق، ولقد شاهدت بعيني زيادة على الضرب بالسياط واللكم والركل انتزاع أظافر بعض الاخوان، وإحراق أجسامهم بأعقاب السجائر، وتعليقهم كالخرفان، كما شاهدت عائلات المخطوفين والمغتالين تحت التعذيب، أطفال وشيوخ ونساء، كل تلك الفظاع شاهدتها في قلعة الارهاب الحزبي بمركز الساتيام ـــ أعراض انتهكت ونساء اغتصبن، كل هذا حدث في المغرب، وفي فجر الاستقلال والحرية!

ولهذه الاسباب يجب أن يطلع كل الناس على هذه الصفحات، حتى أولئك الذين اختلفنا معهم بالامس، وكانوا يدافعون عن أصدقائهم في قيادات تنظيماتهم!

إننا لا يمكن أن ننكر أو نجحد مشاركة رجالهم الاحرار في معركة الاستقلال، ولكننا لا نستطيع أن ننسى الشهداء الذين لفظوا أنفاسهم تحت التعذيب بالإضافة إلى عشرات المفقودين رحمهم الله جميعاً، ولقد تبين لي أنه من التقصير بل ومن الاجرام التفريط في حق هذا الشعب الابي المكافح أن تنسى بطولات أبنائه الأبطال، وتضيع صفحات جهادهم

مع الزمن، لهذه الأسباب قررت وباتفاق مع الاخوان الذين ذكرتهم في مطلع هذا الكتاب، ومع رائد الكفاح والجهاد وشيخ المقاومين فضيلة العلامة الامجد الحاج أحمد معنينو أمد الله في عمره، أن نسلط الاضواء على تلك الحقبة الخالدة من حياة المغرب العزيز !

وإذا كانت ظروف استثنائية شاذة، جعلت الجزاء الذي ناله رجالنا في المقاومة هو الاختطافات والاغتيالات والاعتقالات والحشود في السجون الرسمية وغير الرسمية ! وأن يدفنوا في المقابر المعروفة وغير المعروفة! وللأحياء منهم الرفض التام للانتماء الى المقاومة أو الحصول على صفة مقاوم، ومن سخرية الاقدار أن المشرفين على ملفات المقاومة والمسؤولين الحاليين داخل المندوبية أو مجلسها الوطني بعضهم شارك في تلك المجازر والمذابح ! فإن من أقل حقوقهم سواء بالنسبة للاموات أو الاحياء أن نذكر لهم جهادهم وصمودهم وتضحياتهم الجسيمة، اعترافا على ما قدموا لهذه الامة العريقة المجيدة.

الجيلالي الحداوي أبو الفتح

من الرجال المخلصين التحق بالمقاومة المغربية، ضمن رجالها الأولين من أوساط الهلال الأسود، الذي كان يضم في خلاياه المختلفة عدداً لا يستهان به من رجال حزب الشورى والاستقلال، وكان من الشباب الوطني الواعي بسمؤوليته. وبعد إعلان الاستقلال تعرض كباقي إخوانه بسبب اتجاههم الشوري ومناهضتهم للإرهاب الحزبي، فعرف دار بريشة الجهمنية، ومركز الرباط ومركز الستيام بعدما أن مارست عليه عصابة «الحزب العتيد» كل أصناف وأنواع القهر والاذلال والتنكيل!

إن أقواله هاته التي ستقف عليها ـــ أيها القارىء الكريم ـــ هي خلاصة تجربة قاسية في تلك الفترة العصيبة الارهابية التي عاشها كل رجال الهلال والشورى الصامدين الأوفياء، الذين رفضوا بإباء وشجاعة الخنوع والاستسلام لعصابة الاجرام الحزبية؟ يحكي كل ذلك بصورة صادقة واقعية، ونماذج حية لما ارتكبه «الحزب العتيد»، والانتهازيون من رجاله من التنكيل بأبناء الشعب وانتهاك لحقوق المواطنين !

أقوال الحاج الجيلالي الحداوي :

في بداية صيف 1956 توجهت إلى مدينة طنجة صحبة الاخ محمد بن عبد السلام الفاكتور المشهور بهذا الاسم وسط المقاومة، قصد مساعدة الاخوان هناك لفتح مكاتب الحزب، ووجدنا عدداً لا يستهان به من الإخوان الشوريين البيضاويين، السادة بلفلاح حجاج، ومحمد بن إسماعيل. وعبد القادر التورنور، وأحمد بن التهامي والشرادي وأسماء أخرى لا أتذكرها، وكنا نقيم في فندق وزان، لصاحبه الحاج أحمد بن الحسن السوسي، وكان أحد العاملين في الفندق عيناً من عيون البوليس الحزبي، بمساعدة زوجته، واللذان كانا يبلغان تحركاتنا بدقة إلى عصابة الستيام السيئة الذكر!

وذات يوم هوجمنا في الشارع الرئيسي، ووسط المدينة بعدما تناولنا طعام الفطور متأخرين، وقد شهر المفتشون سلاحهم أمام الملأ، ووضعوا القيود الحديدية في أيدينا ! والنظام القائم آنذاك نظام دولي بطنجة ! وقد تجمهرت المدينة كلها لمشاهدة ذلك المنظر الرهيب ! وارتجت كل الأوساط لتصرفات النازية الجديدة ! ومثلها عن جذارة واستحقاق «الحزب العتيد» (ضد الشوريين المتآمرين !!) وعرف الناس في المغرب كله الخبر بواسطة إذاعة طنجة الدولية في الساعة نفسها !

واستغل ابن عبد السلام ارتباك المفتشين وقد تدمر الشارع ! والضجة التي حدثت ففر بالقيد، وهما يطاردانه بسلاحهم، والناس مستنكرة هذا التصرف الأبله ! الذي لا يشرف البلاد والعباد، وقوافل السواح واقفة تتفرج على تلك المطاردة التي لم تكن في برنامجهم السياحي ؟ وهم يلتقطون هذه الصورة الحية، والخالدة التي نزلت عليهم هبة من السماء ! والمداد الذي كتب به استقلال المغرب لم يجف بعد !! وواصل الشرطيان مطاردتهم (للخائنين المتآمرين) بعدما ضربوا بكل عرف ونظام، وعصفوا بجميع القوانين الوطنية والدولية ! فغدت مؤسسة الأمن الوطني مسرحا لفظائع وجرائم فاقت وحشية البوليس النازي ! ووكرا للدعاية الحزبية ! ومقرا للنشاط الحزبي ! فلا انضباط ولا طاعة ! بل تسيب فوضى عارمة، فالمواطنون (الشوريون المتآمرون) يجب أن يجَمِّدوا على الأقل نشاطهم السياسي، ويدخلون إلى بيوتهم مذعورين كالفئران قصد ترهيبهم وتحطيم أعصابهم واستفزازهم ! ؟ هده هي المرحلة الأولى مع كل واحد يخالف (تعليمات الحزب العلوية المقدسة) وإلّا فمصيره الاختفاء من الوجود !

وإدارة الأمن الوطنية شبه معطلة، وجميع المصالح التابعة لها، فلقد اتخذ المسؤول لنفسه من نخبة (الأبطال الذين لا يقهرون) مجلسا، ومن بطانته مستشارين، ومن الحزب العتيد والنقابة المكافحة معا مرجعاً، والكل يهتف لهذه العصابة مصفقا مباركا اندفاعا وإخلاصا في سبيل (صيانة استقلال المغرب من المتآميرت الشوريين !!) والمعارض (خائن متآمر) ومن أراد أن يحتج أو يملأ الدنيا عويلًا وصخبا فليفعل، فمن يسمع ؟ إذ (لا حرية لأعداء الشعب!!) و (القافلة تسير ولا يضيرها نباح الكلاب !!).

نعود لموضوعنا وكيف انتهى :

عند الخروج من طنجة أوقف البوليس الدولي سيارة عصابة الستيام، وبعد أخذ ورد وبعد مكالمات هاتفية، بين طنجة والرباط والبيضاء، وتبادل البرقيات والتهديدات بسبب هذا الخرق القانوني، تعدياً للسلطات الدولية، ولا أدري كم من الوقت استمرّ ذلك النقاش الحاد الذي انتهى بالسماح لسيارة عصابة الستيام بالمرور !

أخي القارىء الكريم :

لا يمكن لي أن أصف لك ما لقيناه بمجرد دخولنا قلعة الارهاب الحزبي الجهنمي المعروفة بدار بريشة ! استقبال يا له من استقبال ؟ حين وصلنا الباب الخلرجي بدأت تنهال علي اللّكمات والضربات والركلات وهم يأمرونني أن (أهتف يا ابن ال....) وهوت عصاهم علي، وأنا أقفز كالقرد ! حتى أصابتني في إحدى المرات على رأسي... وحمدت الله على أن الاصابة كانت خفيفة... واعترتني رجفة شديدة من هول ما رأيت، شاهدت رجالا من أسرة المقاومة المغربية البارزين... تحت التعذيب الذي تقشعر له الجلود... وسمعت شخصا ينادونه الرحماني لم أر قط في حياتي شخصاً تتمثل فيه السفالة والحقارة وحطة الخلق ! لقد رأينا منه ومن رفيقه المدعو العباس مصائب وإهانات لن تمحوها من ذاكرتي الأيام والأعوام، بالاضافة الى (الكوبوي) أحمد السكوري الجلاد الخبيث !

وبدأوا معنا في الاستنطاقات الجهنمية التي كلها كانت تدور حول منظمة الهلال الأسود ؟ وتنظيماتها الداخلية، ورجالها السريين، وجهازها العام، قيادة حزب الشورى والاستقلال، وبالأخص الأستاذ أحمد بنسودة. والأستاذ محمد بن عبد الله الشرقاوي، والعلاقات والروابط مع أنصار الأمير محمد عبد الكريم الخطابي رحمه الله، في منطقة الشمال،

وأشياء أخرى يحار الانسان في تفسيرها ؟ وضعوها كأسئلة لتلك الاستنطاقات الرهيبة : كانت أجوبتنا مجرد هذيان يخرج من أفواهنا ودون شعور نتكلم كالببغاوات ! من كثرة الجلد والتعذيب الذي لا يطاق، وفي مساء يوم من الأيام المليئة بأنواع التنكيل، طرحوا علينا اقتراحا، يقولون فيه، إن أردتم أن نرفع عنكم العذاب تقولون بالحرف : (إن الأستاذ أحمد بن سودة هو الذي وزع السلاح، وخطط بقصد اغتيال بعض أعضاء اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال). كرد فعل على من سقطوا من الشوريين، وخاصة فضيلة العلامة المجاهد الأخ عبد الواحد العراقي تغمده الله برحمته، وأنكم تعتزمون إزاحة محمد الخامس رحمه الله وتعويضه بمحمد حسن الوزاني !! مقابل هذا الاعتراف الملفق والخطير يتم نقلنا الى الرباط، والادلاءبه أمام وكيل جلالة الملك في المحكمة العليا، وسايرناهم في اقتراحهم العجيب، وما أن وصلنا أمام وكيل جلالة الملك حتى أطلعناه على حقيقة الأمر، ولم يجدوا أي طريقة أخرى للانتقام إلا الاستمرار في اعتقالنا، فنقلونا الى مركز الستيام الذي عرفنا فيه هو الآخر المجازر والمذابح والسياط في كل وقت وحين، كما قابلوني مع الاخوان الذن اختفوا الى الأبد، وهم السادة رحمهم الله :

1) خليفة بن العربي
2) لحسن الكندافي
3) جودة محمد بن المعطي (المشهور بأشليح)
4) كرانفـال
5) ميلود الزياني
6) مصطفى حليمي

وكانت هذه المقابلة حول الأسحلة المخبئة بعين السبع ! لدى علي السوسي وعن وجود أحمد هَرم بالمدينة القديمة، كما يزعمون، وعن منظمة

لهيب جهنم التي كانت تابعة للهلال الأسود ؟ ومن هم الأعضاء فيها بالنسبة للمدينة القديمة والجديدة ؟ وأين كانت تتم التداريب على الأسلحة بواسطة علي السوسي الذي كان من قدماء الجيش الفرنسي بألمانيا ! وانظم الى الهلال الأسود في سنة **1954** صحبة محمد الرباطي ؟

أثناء إقامتنا في دار بريشة سمعنا نزلاء هذه الدار المشؤومة يتحدثون همسا عن مقتل الأستاذ إبراهيم الوزاني، وعبد السلام الطود؛ ورأيت بعيني البطل السيد العربي بوكلب، وبوشعيب المزابي كما رأيت وجوها أخرى غالبة تدْخل هذا الجحيم الحزبي من طنجة، وتطوان، أمثال الأستاذ المهدي التجكاني ومحمد البقالي وغيرهم، وهم في أوضاع مأساوية مثل الذين يتبرزون ويبولون على أنفسهم، وروائحهم تزكم الأنوف القريبة منهم ــ وكان منها أنفي ــ وكل واحد يعاني آلامه في صمت مخيف، والظلام حالك لا تستطيع تمييز وجه أحد... ولكن كانت هناك أيدي تمتد في الظلام لتكتم الأنات الخافتة الآتية من أفواه الجرحى خوفا من بطش عصابة دار بريشة ؟.. وكان جوعنا شديداً ! وعطشنا أشد ! ولكن ما هو الجوع... وما هو العطش... أمام هذا الخوف العارم الذي يقتلع القلوب من الصدور !.. إنه القتل على الأشكال والألوان !.. هناك من يرجمونه برميه بالرصاص !.. وهناك القتل تحت السياط !.. وخلع الأظافر... ونهش الكلاب وأسلاك الكهرباء ! وهناك الشنق، والخنق، والذبح، لقد ارتكبت الفظائع بدار بريشة، ودفن في رحابها وضواحيها فئة من المقاومين الذين أبلو البلاء الحسن من أجل وطنهم؛ وجريمتهم الوحيدة (أنهم الشوريون أو الهلاليون) ومن سخرية الأقدار كذلك، حينما قدمنا للمحكمة بتهم أخرى جديدة، كان أعداؤنا أو خصومنا هم قضاتنا، فكنا في كل مرة نعاد الى السجن ريثما تأتي الأوامر من اللجنة التنفيذية التي كانت تتدخل تدخلا سافرا، في السلطة القضائية إلى أن تدخل

المرحوم الرئيس مبارك البكاي الذي أنقذنا من طاغوت الحزبية ! وأعادنا إلى أهلينا وذوينا، وبفضل كفاح وصمود إخواننا العاملين على جميع المستويات في حزب الشورى.



الأستاذ الحاج أحمد معنينو وسط فرقة من جيش التحرير الشوري برحاب القصر الملكي العامر بالرباط
— جاءوا لتسليم أسلحتهم —

محمد الزاهي الملقب (بالأزهري)

السيد محمد الزاهي أو الأزهري كما يعرف في أوساط الوطنية والمقاومة معلمة شامخة من معالم حزب الشورى والاستقلال بحي البلدية بالمدينة الجديدة، ساهم مساهمة فعالة في منظمة الهلال الأسود، كل الناس تعرف السيد محمد الأزهري الذي كان يملك مكتبة صغيرة بجانب مكتب البريد بالبلدية.

حاولوا في البداية أن يدمروه بالمضايقات والتحرشات ثم طوروا أسلوبهم معه بالاختطاف والاعتقال والتهديد بالتصفية الجسدية ليطفئوا فيه شعلة الشورى والاصرار على الاخلاص للهلال الأسود الذي تعرضت قيادته وأطره للقتل والابادة.

إن كل الوسائل التي استعملت معه زادته إصراراً وإيماناً على مواقفه البطولية ضد مقاومي 1956 وأسيادهم الجبناء. حاولوا أن يجعلوه يركع لمضايقته في سبل رزقه ! وجاع محمد ولم يستسلم ؟ كما جربوا إخضاعه بالتفرقة وإشعال النار بينه وبين إخوانه في المبدإ فلم يفلحوا !

وظل محمد يقاوم خططهم الجهنمية صامدا مرفوع الرأس يعيش مستأنفا حياته العادية في نفس الحي، ولكن بزنقة أيت يفلمان المجاهدة، ويمارس نفس الحرفة القديمة (التجارة في الكتب) وعلى قارعة الطريق، ولكن بشموخ وكبرياء المقاومين والوطنيين الشرفاء.

يقول السيد محمد الأزهري عن ظروفه ورحلة عذابه مع عصابة السنتيام ما يلي :

اعتقلت يوم 16 يوليوز 1956 صحبة الحاج المختار، ومحمود الرباطي ومحمد ولد حلة، ومصطفى السربوتي ومصطفى ولد (المسارني) وأحمد بن المختار وزروال الدكالي الخضار، والفاطمي ووالده العجوز، ومصطفى الودني وشقيقه حمودة المعروفين بأبناء البيضاوي. اقتحم الطغاة مكتب الحزب بحي البلدية زنقة المعافري رقم 30 وأتلفوا كل ما في المكتب بالتمزيق والتحطيم، وكنت أنظر اليهم بازدراء، واحتقار، وهم يكسرون أثاث المكتب وظننت أن القضية ستقف عند هذا الحد، ولكن الزبانية والطاغوت أحمد الطويل وأسياده خطفوا ابني البالغ من العمر آنذاك 14 سنة وساقوه الى مكان مجهول واستولوا على طوابع ووثائق المنظمات الفدائية الآتية أسماؤها :

1) النجم الأسود
2) صوت الحق
3) صوت التحرير

وآلة كاتبة للحزب، ووثائق ومطبوعات وصور عديدة للأمين العام الأستاذ الوزاني وأعضاء المكتب السياسي.

وبدأت الأسئلة عن دوري في منظمة الهلال الأسود ومسؤوليتي الحزبية وعلاقتي ببعض أعضاء المكتب السياسي كالمرحوم الأستاذ محمد فاضل المؤقت وأحمد بن سودة وأعضاء المكتب المحلي بالبيضاء كالسيد عبد القادر التورنور رحمه الله وعبد الله الرداد والمرحوم بريك الخياط. ورفع أحدهم يده فصفعني صفعة أخذ رأسي كله يدور كأنه شحنة كهربائية مستتني وبعد هذه المقدمة الخفيفة بدأ السياط يفعل فعله في جسمي كله، وبعد أكثر من ساعة من الجلد المستمر طلبوا مني أن أسب الأستاذ محمد حسن الوزاني، وبقية أعضاء المكتب السياسي بأبشع ما يتصور المرء

من الكلمات الفاحشة، وخاصة الأساتذة محمد بن عبد الله الشرقاوي، وأحمد بن سودة، وكلما امتنعت عن ترديد ما يلقنون لي يزيدونني تنكيلا وتعذيبا حتى أفقد الوعي.

وذات صباح جاؤوا بإخوان من الهلال الأسود، وخاصة أشليحة، مصطفى حيلمي، ميلود الزياني، الكندافي، كرانفال، وبوعزة رشد وخليفة بن العربي وبدأوا يستدرجونهم بالكلام عن العمليات الفدائية التي قاموا بها في إطار مقاومة المستعمر من اغتيالات وجرائق ثم يدونونها في محاضر رسمية، ويتبنونها فيما بعد، بعد أن يغتالوا أصحابها، ومن حين لآخر يراقب شخص كتابة تلك الحوادث باهتمام بالغ ويظهر أنه موفد من الرباط، ومكلف بهذه المهمة، ويستنسخ بدوره ما يهمه منها، ولقد قضى أربعة أيام هناك في مركز الستيام مع العصابة الباغية ثم اختفى الى غير رجعة.

ومكثت في مركز الستيام ما شاء الله لي أن أمكثه، تحت دوامة التعذيب والاغراء والمساومة بأن أتخلى وأتبرأ وأعلن براءتي في جرائدهم من منظمة الهلال وحزب الشورى ومقابل ذلك يخلى سبيلي في الحين والتحق بإدارة الأمن الوطني !

ثم نقلوني الى مركز كلميم قضيت فيه أربعة أيام سوداء، من الشقاء والقهر المتواصلين دون رحمة ولا شفقة، وأخذوني بعد هذا الى حيث وجدت بها الاخوان المنتمين الى الحزب والى منظمة صوت النار بكريار سنطرال (الحي المحمدي حاليا) والذين قتلا هناك من طرف العصابة الباغية وهما :

1) محمد الخصاصي
2) الحسين بلوش

ودفنا في نفس المكان الذي قتلا فيه ظلما وعدوانا، جريمتهما الوحيدة أنهما ينتميان الى حزب الشورى والاستقلال ! وهذا ما تداولته ألسنة سكان لخصاص ! حينذاك وكل الجنوب حول موضوع اختفاء محمد الخصاصي، والحسين بلوش، المشهورين بانتمائهما الى منظمة صوت النار التابعة لحزب الشورى والاستقلال.

وكان قدري المقدر أن أنقل مرة أخرى من الجنوب الى الشمال وبالضبط الى دار بريشة بتطوان الجهنمي بدعوى أني مورط مع جماعة من الشوريين والهلاليين في قضية مؤامرة مزعومة للقضاء على اللجنة التنفيذية وخلف اضطرابات في الشمال باتفاق مع دولة أجنبية ! ومن خلال هذه التهم التي يطلع علينا بها رؤوس الحزب (الرائد المناضل) فهذه النفوس المريضة الشاعرة بتفاهتها، فهي تدعـو صارخة للقضاء على كل من يخالف الحزب العتيد لترتاح الدنيا من شرورهم ! ولتسير البلاد من بعدهم في طريق التحرير الكامل والازدهار المنشود !! ومرت علي أربعون يوما بالتمام والكمال في «دار بريشة» وفي رحاب أنواع وأصناف البطش المختلفة، وأشرفت على الهلاك، وكانوا يمنعوني من النوم أصلا، نسيت جروحي بل ونسيت نفسي كلها حينما علمت بوجود البطل المقاوم السيد العربي بوكلب، والأستاذ ابراهيم الوزاني، والأستاذ عبد السلام الطود والمناضل الكبير السيد محمد بن اسماعيل وغيرهم من وجوه ورجالات الهلال الأسود والشورى، وجود هذه النخبة النقية من الأوفياء رفع معنويتي وجعلني أقوى من ظلمهم وتعذيبهم، فجددت شجاعتي وقلت في إيمان وسمو، إذا كتب الله لي الاستشهاد وسط هؤلاء الرجال الأبرار، ومعهم فهذا شرف عظيم لي، ففوضت أمري الى الله، وأعادوني الى مركز الستيام بالبيضاء، بعد هذه الجولة الرهيبة التي زرت خلالها أربع مراكز خاصة بالتعذيب والقتل، وقابلوني مع إخواني في الهلال والشورى ! وخاصة عبد الله (بوشرطة)

وشقيقه بوشعيب الحداوي، على أننا كنا نخطط للقيام باغتيال رؤساء الدوائر لحزب الاستقلال بالبيضاء ! باتفاق مع السيد عبد الله الرداد وبريك الخياط !

كانوا يسربون أنباء في كل جهة مفادها أن جميع الشوريين مسلحون وأصبحنا في نظرهم أشباحاً مفزعة ومخيفة ! لهم ولقادتهم ؟ ولست أدري كيف تم إطلاق سراحي دون محاكمة، ولكن بشروط معينة منها مثلا : أن أغادر البيضاء وإلا فسألتحق ببقية المقتولين والمختطفين، وتدخل السيد عريبات صديق أحمد الطويل الذي اعتقد أن له يدا في إخلاء سبيلي بتلك الشروط التي نصحني أن أبتعد عن البيضاء، وكذلك المرحوم السيد عبد القادر التورنور خوفا علي من الاغتيال أو الاختطاف أن أختفي عن الأنظار مؤقتا من البيضاء، والى حين أن تهدأ الأوضاع ؟ وفعلا عدت بعد مدة قصيرة الى نشاطي داخل حي البلدية، بعد أن تقلصت وتراجعت الحملة المسعورة التي قادها «الحزب العتيد» في أوائل الاستقلال بفضل التضحيات الكبيرة التي قدمها حزب الشورى والاستقلال ورجاله المخلصون بصبرهم وصمودهم، ومنظمة الهلال الأسود الذين عادوا سالمين من مراكز التعذيب والبطش، وكان الذين عادوا من الجحيم عددهم قليل.

هذه هي قصتي باختصار مع الحزبية العمياء، التي بغت في الأرض فسادا، ونظرا لظروف خاصة، اجتنبت أن أذكر بعض الأسماء لشخصيات مرموقة حاليا وتحتل وظائف حساسة بالنسبة للدولة. كانت ضالعة ومشاركة بكيفية فعالة في اضطهاد وقمع الهلاليين والشوريين حبا وإخلاصا للمغرب الحبيب !

صدور السجناء الحقد والثورة الرهيبة على قسوة الجلادين الجبناء وتشغلهم عن تفكيرهم في مصيرهم ومصير المبادىء السامية التي يضحون ويعذبون من أجلها، وينشدون في نفس الوقت عدالة السماء. وفي الثانية بعد الزوال قذف به إلى أحضان كهفنا المظلم في حالة تفتت الأكباد وتسيل العبرات من القلوب الجامدة الصلبة. وفي تمام الساعة التاسعة والنصف ليلا بدء النزيف، بدأت الدماء تفور من صدره المعذب واشتد سعاله وأنينه وبلغ به الحال الى درجة أن اعتقدنا أن أجله المحتوم قد وصل، وفي هذه الليلة كرهنا ما يسمى بنعمة النوم والراحة، فقد قضينا طول الليل نترقب حالته...

الثلاثاء 14 غشت 56

في صباح هذا اليوم حمل الأخ على أكتاف أربعة من الزملاء الى المرحاض... وكانت الدماء لا تزال مسترسلة في نزيفها من صدره... ولم يستطع طول هذا اليوم الوقوف على قدميه...

الأربعاء 15 غشت 56 (يوم النهاية)

في صباح هذا اليوم شعر رحمه الله بدنو أجله وبدت حالته تنبيء بأنه يقترب من النهاية والى الخامسة والنصف من مساء اليوم وهو يردد هذه الكلمات. ـــ الحمد لله الذي سأموت شوريا وبين اخوان شوريين، ولي طلب واحد منكم أيها الأخوان هو العناية بأولادي وبلغوهم وبلغوا إخواني جميعا أنني سعيد جدا بهذه النهاية الشريفة ـــ كرر الشهيد هذه العبارة مدة تزيد على الساعة والنصف، وفي تمام الساعة السابعة فاضت روح الشهيد المكناسي على لهفات السياط ولفحات العصي، وتركت على جسده آثار التنكيل والتعذيب هي الشاهد الوحيد. فاضت روحه وكلمة العدالة (ان كانت في المغرب عدالة) لم تقل كلمتها بعد في هذه الضحية.

في هذه اللحظة بدأ الشك يتسرب الى نفوسنا في كون الدساتير والقوانين التي وضعت في جميع دول العالم لحماية المواطنين لم تكن الا حبرا على ورق، كيف وهذا مواطن بريىء يقضي نحبه تحت العذاب والتنكيل بعيدا عن أهله وذويه وبعيدا عن يد العدالة التي تحمل الانسان مسؤوليتها في الأرض ؟.. لماذا لم يقدم هذا المواطن البرىء الى القضاء ان كان مجرما حقا ؟ لقد كان المكناسي حتى النفس الأخير مواطنا بريئا طاهرا، وعلى كل حال فان كل مواطن في نظر القانون بريء حتى تثبت أمام القضاء جريمته ويعاقب حينئذ بحكم القانون...

أخي المكناسي، انك الآن بجوار ربك وكلما حلت ذكراك أشارك في احيائها مع اخوانك المخلصين بالكتابة أو غيرها، وستظل تضحيتك رمزا للوفاء والاخلاص وقد اتخذناها قدوة نسير على منهاجها ونهتدي بهديها في الصمود أمام قوى الطغيان والاستبداد، ولتعلم أيها البطل أننا لازلنا نواصل في هذه الأرض معركة الديمقراطية حاملين لوائها الى أن نحقق كرامة الأمة والبلاد التي وهبت نفسك فداء لها، ولقد أعطت تضحيتك هذه درسا قاسيا للطغاة وان كان الستار قد أسدل على حياتك، فان روحك الطاهرة لا تزال بيننا حية تحثنا على السير في خطاك، وبوفائك سجلت في صفحات التاريخ أروع مثال للصبر والمجد وأقدس تضحية لازلنا نكتب فصولها بمداد من الفخر والاعجاب تغمدك الله برحمته أيها الشهيد، واطمئن فان المعسكر الديمقراطي لا يزال حاملا لواء الكفاح في قوة وعزم وحكمة وتبصر، لا يعتريه فتور ولا اهمال...

البطل بن ناجح كما عرفته

من في البيضاء من لا يعرف بناجح ؟ من في القرى والبوادي يجهل تلك الشخصية الفذة التي لعبت دورا هاما في معركة التحرير ؟ انها شخصية بطل من أبطال الوطنية والفداء، عرفته منذ أمد بعيد، فهو صديق طفولتي وقد ازدادت روابط الصلة بيني وبينه في أسرة حزب الشورى والاستقلال منذ أوائل سنة 1950 حينما كنا في شعبة ايمان التي تخرج منها عدد كبير من رجال حزب الشورى والاستقلال.

وقد كنت متتبعا نشاطه الفياض عن كثب، وكان يستمع باهتمام، وامعان لنصائح الوطني الكبير الأستاذ مصطفى الغرباوي الذي يرجع اليه الفضل في تكوين هذا الرجل وغيره من رجال الحزب، واستطاع بتلك النصائح والتوجيهات القيمة أن يصبح في هيئة التسيير في مدة وجيزة بل ومن المسيرين المقتدرين فيها.

وشاءت الظروف أن تفرق بيننا في نوفمبر 1951 حيث سافرت الى فرنسا لمتابعة دروسي هناك، ورغم بعد المسافة كنت على خبرة من نشاطه وأعماله سواء بواسطة المراسلة التي كنا نتبادلها مرتين في الأسبوع أو بواسطة جريدة الرأي العام التي كان يبعثها الي بانتظام. ثم عدت إلى المغرب لأقضي عطلة الصيف وذلك في شهر يوليوز 52 فوجدت بناجح قد صار شخصا آخر غير الذي تركته في سنة 51 سواء فيما يرجع لحديثه السياسي أو للتوجيهات التي يوجه بها الشعب والخلايا، فأعجبت به اعجابا شديدا ولم أكن وحيدا في هذا الاعجاب والتقدير وانما كانت جماهير الشعب كلها تحترمه وتحبه تقديرا للرسالة الخالدة التي كان يدعو

اليها انذاك، ولما حل موسم الدراسة غادرت المغرب كسائر الطلبة، واستأنفنا المراسلات وكان يخبرني بالشاذة والفاذة من أخبار المغرب.

وفي يوم 7 و 8 ديسمبر 1952 حينما بدأت المؤامرات الشنيعة تدبر وتنفذ ضد الوطنيين بالبيضاء أخبرني بجميع الشوريين الذين استشهدوا في المعمعة والمعتقلين منهم، كما أحاطني علما بحالة الأستاذ مصطفى القصري التي كانت تدعو الى القلق والخوف وقتذاك. وفي اليوم الثاني عشر من يناير 1953 على اثر القرار الذي اتخذه ضدي المكلف بالشؤون المغربية بمرسيليا، وهو يقضي بتوقيف المنحة المدرسية نظرا لنشاطي الغير العادي الذي أقوم به في جنوب فرنسا. قفلت راجعا الى وطني لأواصل الكفاح في صفوف اخواني الشوريين فاتصلت بالأخ الغرباوي واقترح علي أن أتعاون مع البطل بناجح، وبقية الاخوان فيما يقومون به من أعمال. وفعلا اتصلت بالزميل بناجح، وبدأنا نعمل في طي الكتمان والسر لكون الاقامة العامة أعلنت حل جميع الأحزاب على اثر حوادث 7 و 8 دجنبر 1952 الى أن حلت الكارثة الكبرى على المغرب في 20 غشت 1953، حيث أبعد صاحب الجلالة، وفي هذا الظرف العصيب بالذات اعتقل الأخ بناجح، ونقل الى سطات، وحكم عليه بستة أشهر سجنا، قضاها كيف أراد الله له.

وغني عن البيان أن أقول إنه في السجن لقن لمائات من المواطنين مبادىء الوطنية والشورى وعرفهم بالقضية المغربية، ولما قضى تلك المدة خرج بايمان وعزيمة أقوى مما كان عليه انضم الى صفوفنا بمجرد خروجه من السجن، وكلف من لدن الإخوان بمهمة الاتصال بجميع المقاطعات، فبدأ يتجول عليها غير مبالي بالأخطار والأهوال، لا يعرف معنى للراحة الليل والنهار كانا عنده على خد سواء ! أحيانا كان يقضي أسبوعا في ناحية أولاد جرار دون أن يرى عائلته.

في الحقيقة إن جميع الضواحي بمدينة الدار البيضاء قد غزاها هذا الرجل وحده، وزرع فيها بذور الشورى حتى نمت وترعرعت، وهذا شيء لا ينكره لبناجح أي أحد، وفي تلك الآونة الحالكة بالظلمات كان المكتب المؤقت يجتمع في عرصة ابن مسيك تارة وأخرى في بيت من بيوت شارع سويس أو سيدي معروف أو الدرب الكبير وفي ونقة سيدي الركراكي بالمدينة القديمة، وعندما يعرض كل واحد نتائج أعماله المكلف بها في ميدان الكفاح الدامي كان بناجح هو صاحب العرض الطويل والأعمال المتقنة والمواعيد الكثيرة والاتصالات المختلفة. وفي فاتح جوان سنة 1955 اعتقل بناجح والأمين حمزة وبريك بن ميلود ومحمد الشرقاوي في كوميسارية المعارف، حيث قضوا ما يزيد عن أسبوعين تحت العذاب والتنكيل، ونقلوا بعد ذلك الى السجن المدني بالبيضاء وبعد أسابيع أفرج عنهم بصفة مؤقتة، فاستأنفوا نشاطهم من جديد في ميدان الفداء والتضحية، وفي 13 يوليوز من هذه السنة نفسها أوفدني المكتب الى باريس في مهمة خاصة وذات صباح وأنا أتصفح جريدة الفيكارو وقع نظري على اسم السيد عبد الرحمن بناجح ضمن جملة المعتقلين الذين ينتمون الى جماعة سرية، فلما رجعت بعد أسبوع وجدت أن بناجح لازال تحت سياط المستعمرين في المعارف، ولكنه مع هذا لم يكشف سرا من اسرار المقاومة، وفي سبتمبر 1955 حينما بدأت الغيوم السياسية تنقشع عن سماء المغرب أطلق سراحه وهو في حالة يرثى لها من جراء أساليب التعذيب الذي قاساه.

وفي أواخر أكتوبر من السنة نفسها قرر المكتب أن يبعث وفدا الى فرنسا لزيارة صاحب الجلالة، فوقع عليه الاختيار هو والسيد عبد القادر التورنور وكاتب هذا المقال، لا يمكن أن أصور فرحته وسروره لما حظي بالمثول بين يدي صاحب الجلالة واتصاله بالأمين العام الأستاذ محمد

حسن الوزاني بقصر (سان جيرمان أن لاي)، ولقد بذل اثر عودته من زيارة الملك جهودا جبارة في تنظيم ذلك الاستقبال الرائع الذي أعده حزب الشورى والاستقلال لجلالة محمد الخامس يوم عودته في 16 نوفمبر 1955.

ان أعمال بناجح كثيرة وجليلة لا تكفيها صفحات معدودات ان أردنا أن نسطرها بتفصيل وتدقيق، فهل من الانصاف والعدالة أن يوجد بناجح الآن في السجن بعد هذا الكفاح المجيد ؟ وما رأي القائد الذي أمر باعتقاله في أولاد سعيد وحكم عليه بسنة سجنا و 000 20 ذعيرة.

ان بناجح الذي لقن مبادىء الوطنية في تلك الناحية أثناء معركة الاستقلال هو الذي يستحق أن يكون قائدا عليها في هذه الظروف لو كان هناك شيء من الانصاف والحق ؟ فهو الذي حكم عليه من طرف الحاكم الفرنسي في شهر غشت 1953 بستة أشهر سجنا بتهمة تهيىء الثورة ضد نظام الحماية وهو الذي قاسى الويلات في سبيل وطنه ومن أراد أن يصحح هذا فليراجع الملفات الطافحة بأخباره في الكوميساريات.

فما رأي المحكمة الخاصة التي ستعقد يوم 11 يناير 1958 لتحاكم بطل التحرير والديمقراطية وزملاءه أهل قبيلة أولاد سعيد ؟..

الشريف سيدي محمد اليعقوبي

خلال 1959 التحق بالرفيق الأعلى الشريف سيدي محمد بن محمد بن الطاهر اليعقوبي عن سن يناهز 93 سنة.

ولقد كانت للحشود الغفيرة من الجماهير التي ودعته إلى مثواه الأخير دلالتها عن المحبة والتقدير التي كانت تكنه هذه الجماهير للشخصية الفذة التي كرست جهودها لمصلحة هذا الوطن العزيز حيث كان رحمه الله من المناهضين الأوائل للاستعمار.

نشأ رحمه الله في عائلة محترمة خلال 1866 بمدينة فاس، ودرس بجامعة القرويين حتى سن الخامسة والعشرين، ولم يفتأ يتسلح روحياً وخلقياً ليكون في مستوى الكفاح الذي جند نفسه من أجله، وللمزيد من الاطلاع على الأوضاع السائدة آنذاك واستقطاب ما هو ناجع لمواكبته انتقل عبر اقطار أوربية مثل اسبانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا وإنجلترا وأخرى عربية كمصر ولبنان وسوريا حتى استقرت لديه الطريقة الواجب اتباعها لمقاومة الاستعمار المسلط على وطننا، ولم تكن اتصالاته العلنية والسرية بهذه البلدان إلا وسيلة لتنوير طريقه، وحتى أثناء ملازمته الفراش مكفوفا ناهك الجسم والبنيان، كان يتتبع أطوار المرحلة الأخيرة للكفاح والخلاص الوطني وكان يشتد به الفرح والانفعال فتنهار دموعه الزكية ويستنير محياه بكل بشرى عندما كانت الأحداث تُزف له.

ومنذ 1891 غادر مدينة فاس ليستقر بالدار البيضاء في عهدها البدائي القديم حيث فتح بها أول مؤسسة تجارية مغربية من الحجم الدولي المتطور في ذلك العصر، وكان رحمه الله من الأوائل الذين أيقنوا عن حق وجدارة بضرورة مواكبة العصر والتحلي بخصوصياته ومميزاته، حسن الهندام التقليدي ويدرس أبنائه ذكورا وإناثا في المعاهد المخصصة آنذاك للجالية الاجنبية، وألبسهم حلة الأوربيين، فهو بذلك عن حق أول من دشن عهد النهوض بالمرأة المغربية.

وكان يتخذ من نشاطه التجاري والاقتصادي تغطية لخدمة نشاطه السياسي، فتارة كان يستتر وأخرى يجهر لقلة من كانوا آنذاك في عونه ومساعدته، قاوم رحمه الله التفرقة التي كان يسعى اليها المستعمر بين عناصر الأمة، وناهض بشدة وبسالة واستماتة مشروع الظهير البربري، ولم تزحه عن الخطة التي رسمها لنفسه لا الأهواء ولا المطامع ولا المغريات ولا المناصب العليا المعروضة عليه مثل الوزارة وغيرها من المغريات المادية الصرفة، ولم تفته مناسبة إلا وجاهر رجالات الاستعمار بما كان يمليه عليه ضميره الوطني المخلص من وجوب احترام الشخصية المغربية بأسلوب نزيه كان يفرق فيه بين ما تشتهر به فرنسا كدولة لها مبادىء ومن يتكالبون على وطننا العزيز من أعوانها المستعمرين الشرسين. حتى شعرت فرنسا في آخر المطاف بأنه رحمه الله خطر عليها وعلى وجودها بالمغرب فسلطت عليه جميع الاضطهادات والإهانات والمصاعب فابتزت أمواله وعاكست نشاطه ونفته واعتقلته وشردت عائلته دون أن ياخذ ذلك لا من إرادته الراسخة ولا من عزمه الثابت المستميت.

وتحاملت عليه الاضطهادات والمضايقات، واشتدت وطأة المحن والظروف القاسية التي استهدف لها في منفاه السحيق ببنوذنيب والصويرة، وانخارت قواه وأصابه شلل أرداه طريح الفراش طيلة الأعوام السبعة عشر الأخيرة من عمره، ورغم ذلك لم يفتأ يزاول نشاطه ويستقبل الشخصيات البارزة على مختلف المستويات بعضهم من الوزراء والسفراء الأجانب ورجال المقاومة. ولما احتدم الأمر وكان لا مفر من الجهاد الأعظم مع الزهد وإنكار الذات عند اختطاف فقيد العروبة والإسلام محمد الخامس طيب الله ثراه على التضحية بالعرش في سبيل نجدة البلاد ونصرة الله والوطن، حمله أبناؤه رحمه الله ليودع الملك الشهم بضعة أيام قبل نفيه فجدد له

المزيد من الجهاد المقدس إلى أن يرجع منتصرا عالي الرأس إلى وطنه الحبيب.



آل اليعقوب بالبيضاء معروفون بانتمائهم وإخلاصهم لمدرسة محمد الخامس الوطنية، وبيت الشريف اليعقوبي كشمس على علم، مشهور باحتضانه لمبادىء الشورى والديمقراطية، ولقد كافح أبناؤه كلهم دون تمييز، سواء الذكور والاناث، المستعمر الفرنسي بكل شجاعة وإباء، وتحملوا الى جانب والدهم النفي والتشرد وهم أطفال صغار في منفاهم السحيق ببوذنيب، أو في الصويرة، وشاطروا والدهم كل معاناته وصراعه مع المغتصب، وخاصة محمد علي وعز الدين ومارية ولطيفة. ثم كان محمد علي وعز الدين ومارية من جملة من تحملوا مشقة تنظيم وتشييع جنازة لومكَردوبروي بالبيضاء — وقد اعتقل عز الدين صحبة بوشعيب المجاطي فور انتهاء مراسيم الدفن، ثم أفرج عنهم بعد تدخل مباشر من طرف رئيس الحكومة الفرنسية بيير مانديس — فرانس الذي حضرالجنازة.

عائلة سيدي محمد اليعقوبي البيضاوية غنية عن كل تعريف بمواقفها ونضالها من أجل العائلة المالكة والمغرب الحبيب، فلها مني كل تحية وتقدير، وللمجاهد الراحل سيدي محمد اليعقوبي الرحمة والمغفرة والرضوان.



الوطني الثائر
محمد بن عبد الله الشرقاوي

كان في قائمة التصفية الجسدية التي وضعتها جمعية الوجود الفرنسي الارهابي بمدينة البيضاء. وبالفعل تعرض لثلاث محاولات أعرف شخصيا اثنين منها تجلت إحداهما في وسط مدينة البيضاء وبالضبط في زنقة (المكَانة) ــ زنقة علال بن عبد الله حاليا ــ حيث كان يقيم في أحد الفنادق، والأخرى في طريق برشيد ــ ابن احمد ــ ونجا بمعجزة إلاهية، إذ ان الأستاذ الشرقاوي يمتاز بسرعة البديهة، ويحسن سياقة السيارات بكيفية عالية، كل هذه العوامل تظافرت وخرج البطل الشرقاوي من المحاولة الإجرامية سالماً بإذن الله.

ومن الصعب العسير على أي باحث أو مؤرخ أن يختصر حياة كاملة في سطور أو صفحات، إذا كان الأمر يتعلق بحياة بطل جريء ووطني متفان في حب بلاده وملكه، كالأستاذ الشرقاوي أطال الله عمره، فقد كان لي ولكل من أتيحت له فرصة العمل معه عن قرب، ولمدة تزيد على عشر سنوات، معلماً وقائداً وأخاً رؤوفاً وصديقاً صدوقاً في نفس الوقت.

لم يكن في تلك الفترة مدرسة في الكفاح الوطني والسياسي فحسب، بل كان ولا زال إلى يوم الناس هذا. مدرسة في السلوك اليومي والوفاء لأصدقائه وإخوانه في الوطنية والجهاد.

أمانة في عنقي وحق يجب أن أصرخ به جهراً حتى يعرفه الجميع. كان له علينا جميعاً تأثير كبير لأنه لم يفر من المعركة كما فر منها آخرون بمبررات وأسباب ملفقة! بل بقي بجانبنا يقاسمنا كل الأخطار التي كانت تهددنا جميعاً منها السجن والقبر، وكان هو معرضاً أكثر منا للاغتيال بحكم مسؤولياته القيادية، التي كان يتحملها رفقة البطلين الجليلين مولاي علي العراقي أمد الله في عمره، والمرحوم الأستاذ محمد فاضل المؤقت. ففضلوا أن يشاركوننا هموم ومتاعب النضال اليومي غير متبرمين ولا خائفين جزاهم الله خيرا على ما قدموا لبلادهم من خدمات مقدسة وجليلة. من مبادئه المجاهدة بالأفكار والصلابة في الرأي، ولا يقبل أي هوادة ولا مسايرة، قاسيا على نفسه، وعلى أصدقائه في إطار العمل الوطني والاداري.

دون مبالغة، من النادر أن يعرف المغرب في هذه الظرَوف رجال جيل الأستاذ الشرقاوي، أو من معدنهم الصافي الطاهر، لانه عاش ويعيش في العفة والبساطة والنقاء صادقا مع نفسه ومع الغير.

وبالأخلاق النبيلة التي لها وزنها في فلسفته، يفرض مقايسه الصارمة في كل أمر، ولكن حضوره الدائم والمشبع بيننا كان يخلق جوا أخوياً وودياً تهون معه كل المصاعب والأخطار. وفي هذا السياق كان يميل أحياناً إلى البسط والدردشة مع بطلين من أبطال الوطنية الخالدة، رحمهما الله، ويتعلق الأمر بالجندي المجهول والمقاوم المنسي بريك الخياط (المعروف في وسط المقاومة باسم بدوح) والشريف المجاهد السيد الحبيب البخاري، كان له عطف خاص عليهما، بالإضافة إلى أنه كان يقدر رجولتهما وشجاعتهما وإخلاصهما للوطن.

عشت وثلة من الاخوان بجانبه في تلك الظروف القاسية، ولاحظنا أنه كان يختار عباراته في دقة متناهية، فيأتي كلامه وكأنه يقرأ في كتاب أو يقرأ من كتاب، لم يهتز فكره يوما أمام العواصف التي كانت تهب على الوطن الحبيب، عرفت كل هذا عن أستاذنا المبجل الشرقاوي بحكم ملازمتي له يومياً في فندق زنقة (المكَانة ــ علال بن عبد الله حاليا) بالبيضاء، وأحيانا صحبة ابن عمه الحاج محمد بن امحمد الشرقاوي والحاج حمزة الامين أمد الله في عمرهما.

خاطر مراراً وتكراراً، وحضر شخصيا بأحياء شعبية سواء بالمدينة القديمة بمنزل الاستاذ الوطني الكبير مصطفى الغرباوي، أو بحي سيدي معروف بمنزل الحاج حمزة اطال الله عمرهما. اجتماعات الخلية السرية للمقاومة والتي خلقت مجموعة البطلين المرحوم السيد عبد القادر التورنور، والسيد أحمد بن البشير الودغيري، أطال الله عمره، ويتعلق الأمر بالمجموعة التي كانت تتكون من السادة :

1) الحاج محمد بن محمد الشرقاوي.
2) الحاج الأمين حمزة.
3) الحاج محمد الكانوني.
4) الحاج عبد الرحمن بناجح.
5) الحاج بلفلاح حجاج.
6) الحاج عبد الله الداد.
7) محمد المزالي.
8) المرحوم بريك بلخياط.
9) المحجوب بن عبد الله العبدي.
10) الطائع عبد الله بن الجيلالي.

11) محمد بن اسماعيل.
12) المعلم عيسى الحجام.
13) امحمد البكراوي.
14) الحاج ادريس التدلاوي.
15) محمد بن عبد الكريم الشوري.
16) غالب بن محمد.

الأستاذ محمد الشرقاوي هو الذي قدمني لجمعية الضمير الفرنسي وخاصة مجموعة ماروك بريس التي كان يشرف عليها انطوان مازيلا والكمندار سارتو والصحفية كريستيان داريور وغيرهم من الفرنسيين الذين يعطفون على القضية المغربية سواء بالمغرب أو بفرنسا.

لقد كانت الحرية والشورى في نظره مسألتين حيويتين، لا تتغير بتغير الظروف بل وليستا من الكماليات يمكن الاستغناء عنهما. بل انهما أساس هذه الحياة وجوهرها ومعناها.

ما أعرفه عن شخصية الاستاذ محمد بن عبد الله الشرقاوي الفذة، ومواقفه البطولية يحتاج تأليفاً خاصا به، تدون فيه كل التفاصيل عن رجل كان من أبرز رجال مدرسة محمد الخامس الخالدة في الوطنية والاخلاص، والتفاني والصمود، ولكن هذا لا يمنعني من أن أذكر ولو بإيجاز بعض مواقفه الشجاعة والحكيمة، التي لا زالت منقوشة ومحفوظة في ذاكرتي، وهي من أعز وأغلى الذكريات التي جعلتني من الذين حفظوا له التقدير والاحترام والاعجاب :

1) صموده الرائع معنا ومعايشته لنا يومياً بمدينة البيضاء والكفاح المسلح على أشده، وهو يردد معنا ــ لا ــ لعبودية الطغاة الظالمين.

2) تنظيمه العملي وإشرافه البديع على جنازة الشهيد الوطني الاستاذ عمر السلاوي رحمه الله، وتحديه للسلطات الاستعمارية وجمعية الوجود الفرنسي معا، التي حاولت مرات كثيرة تصفيته الجسدية.

3) بعد تشرفنا بمقابلة جلالة الملك الراحل محمد الخامس تغمده الله برحمته بساعات قليلة طلب إلينا بإلحاح متزايد أن نعود فوراً إلى المغرب قصد تنظيم عودة جلالة الملك البطل المظفرة بالنسبة لحزب الشورى والتي شارك فيها معنا بكل ما أوتي من قوة، وقام شخصياً بحجز تذاكر الطائرة للعودة لوفدي البيضاء والمحمدية اللذين كانا يتكونان على الشكل الآتي :

ــ **البيضاء** :

المرحوم السيد عبد القادر التورنور.
الحاج عبد الرحمن بناجح.
الحاج عبد الله الرداد.

ــ **المحمدية** :

أبوقال محماد رحمه الله.
الحاج محمد حوري.

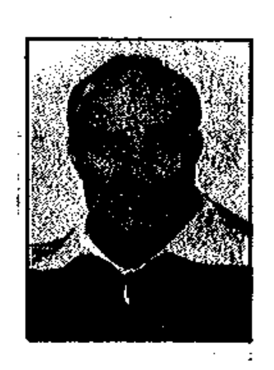
4) إصداره لجريدة الديمقراطية باللغة الفرنسية التي كانت منبراً قوياً وشبحاً مخيفاً لدعاة الديكتاتورية والتشهير بهم وفضحهم أمام الرأي العام الوطني والدولي.

5) إن أنس فلا أنس موقفه النبيل من قضية الانفصال، وكان وقته يقيم في فندق المنصور بقي وفياً مخلصاً لمبادئه وصديق كفاحه الأستاذ

محمد حسن الوزاني وخاصة وفاؤه لوطنه وللعائلة المالكة وعلى رأسها والد الجميع محمد الخامس تغمده الله برحمته.

لقد كان لي شرف مصاحبة الأستاذ الشرقاوي لعقد من الزمن ولكن رفقته أثناء المعركة المسلحة مع الاستعمار وبعد الاستقلال وأيام الانفصال كانت بالنسبة إليّ أحلى وأغلى ما في الدنيا، فقد كنت أشعر بأن كل لحظة من لحظات تلك المراحل تساوي دهرا في التجلي والاشراق.

الأنصاري عبد الله الرداد
دجنبر 1989 ـــ الجديدة



إضافة

يقول الأستاذ الامين حمزة

أحد أعضاء لجنة التسيير في الحزب بالبيضاء

عندما ألقي القبض على السادة عبد الرحمان بناجح، وحمزة الامين ومحمد الشرقاوي ومحمد مزالي وبريك الخياط في فاتح يوليو، **1955** وتعرضوا لأنواع القهر والتعذيب بمركز الشرطة الرئيسي بالمعارف، اتفقنا جميعا على عدم الاعتراف أو ذكر اسم عبد الله الرداد، واسم الكانوني، وذلك لسببين : بالنسبة لعبد الله الرداد أنه يعرف كل أسرار المنظمة للمقاومة برجالها وسلاحها ومراكزها بالبيضاء إضافة الى تحركاته ليستمر العمل متواصلا، والثاني محمد الكانوني لرعاية وإدارة شؤون المدرسة، التي كانت كتغطية وتمويه، ونتحمل كل شيء من أجل عدم إقحامهم في القضية.

فقام الأستاذ والقائد الوطني محمد بن عبد الله الشرقاوي بالاتصال بالأستاذ أحمد بن سودة الموجود آنذاك بباريس، واقترح عليه فكرة تكون لصالح المعتقلين المذكورين، حيث وقع الاتفاق أن يتصل الاستاذ أحمد بنسودة بالسيد بيير جولي وزير الشؤون التونسية والمغربية. ويخبره بأن الحزب سوف لا يشارك في أي مفاوضات أو محادثات، ما دامت الاعتقالات مستمرة في صفوفه، والمواطن المغربي العادي متعرض للظلم والجور، ولكون هؤلاء المعتقلين يقومون بأعمال جليلة سواء في ميدان المقاومة، أو أعمال انسانية أخرى بإعانة المعتقلين وعائلاتهم،

وإعداد منظمات المقاومة بالسلاح والمال، واستطاع الاستاذ الشرقاوي بتلك الضغوط الدبلوماسية، أن يجني ثمار جهوده، فأطلق سراح الاخوان المذكورين، يوم 13 يونيو 1955 وبهذا أنقذ جهازاً من أنشط وأنجح الأجهزة الفعالة والإيجابية في المقاومة، التابعة لحزب الشورى، وهذا جزء من الاعمال الكثيرة التي قدمها البطل والقائد الاستاذ محمد بن عبد الله الشرقاوي أطال الله عمره.

تعقيب وملاحظات

بتاريخ فاتح يوليوز 1989 نشرت جريدة الاتحاد الاشتراكي في الملحق الاسبوعي ركن ملف الاسبوع :

قضية الاعتقال السياسي
في أبعادها الانسانية والعاطفية !

بادىء ذى بدء أتساءل ماذا قال التاريخ عن قضية الاغتيالات والاختطافات والاعتقالات لمجرد المخالفة في الرأي في سنوات 56ـــ57ـــ58ـــ59 ؟ وماذا قال القانون ويقول عن تلك الحقبة أيضا ؟

وماذا تقول المسطرة على السجن الاحتياطي الذي امتدت مدته الى سنة تقريبا، في مركز الشرطة بدرب مولاي الشريف (في حق جماعة من الشوريين والحركيين) وكان فيهم من حزب الشورى والاستقلال السادة المرحومون بريك الخياط والعربي الكثيري والحاج الحسن أمد الله في عمره، وبالضبط في سنة 1959، ثم نقلوا الى سجن العلو، الذي مكثوا فيه شهوراً طويلة، وأفرج عنهم جلالة الملك محمد الخامس رحمه الله، بعد رحيل حكومة الاستاذ عبد الله إبراهيم «التقدمية» بأيام معدودة ؟ وفي أوائل الاستقلال والشعب كله وعي وحماس لعهد الحرية !

مهدت السيدة ثريا السقاط بمقدمة أكاديمية تحدثت فيها عن ميلاد المؤسسة الصحية وعن المجتمع والسلطة الى غير ذلك.

وقال أحد الذين شاركوا في تحضير الملف المشار إليه واسمه السيد نجمي بأن ظاهرة الاعتقال السياسي كانت على عهد الاستعمار ؟ صحيح ! كانت ظاهرة الاعتقال السياسي في أبعادها الانسانية والقانونية والسياسية، ولكنها لم تكن تصل الى ما وصلت إليه الاحوال في الاعتقال السياسي، للاسف على عهد الاستقلال ! كان هناك معتقل الرأي يسمى الوطني، وكل من يسمى وطنيا كان يحترم وتحترم مبادئه رغم قسوة الاستعمار. انتهى كلام السيد نجمي.
كلام واضح لا غبار عليه.

لو عرف السيد نجمي أوضاع المختطفين من بيوتهم في رابعة النهار أو من الشوارع أو الشواطىء الخ في سنوات 56—57—58—59 وكلهم لمجرد أنهم من حزب الشورى. أو من منظمة الهلال الاسود، أو الذين يخالفون رأي الحزب المهيمن ماذا كان سيكون تعبيره ؟إن المقارنة بين السنوات الاولى للاستقلال وسنة 1962 الذي أخذتها السيدة السقاط كانطلاقة للاعتقال الاولى يستحيل أن يكون هناك أي تقارب ولو نسبي، لأن في 1962 بدأ تطور في عقلية المسؤولين بوجود ظهير الحريات العامة، وبجانبه اعتبارات لم تكن موجودة في مطلع الاستقلال. باختصار سنة 1962 يمكن أن أقول إنها كانت أخف من ناحية القيود وأرحم بكثير من سنوات 56 الى غاية 59 التي سمح فيه رسميا بالتعددية السياسية ! بفضل نضال رجال حزب الشورى ومنظمة الهلال الاسود والحركة الشعبية. وتضيف السيدة السقاط (كذلك على عهد الاستقلال كانت هناك اعتقالات متعددة، عانينا من قسوتها سياسيا، وعانينا منها

انسانيا، معاناة كبيرة، كيف ذلك ؟ سوف أشرحه حينا أصل إليه كان الاعتقال الاول في سنة 1962) انتهى كلام السيدة السقاط.

ولي رجاء الى السيدة ثريا السقاط المحترمة، وكل الذين شاركوا في ندوة الاعتقال السياسي أو في تحضير ملفها، أن يقرأوا هذا الكتاب بإمعان واهتمام، ولو أنني اعرف مقدما أنهم سوف لا يتفقون معي سياسيا، ويتحملون مشقة الاطلاع ليعيشوا بعض الساعات مع حقائق واقعية، غاشها واكتوى بنارها في أجواء 56 إلى غاية 60. سنوات الارهاب الحزبي الفظيع، الذي كان يتحكم في رقاب العباد في فترة تسلط الديكتاتورية على الجماهير البسيطة المخذوعة، فاكتشف تزييفهم وأدرك أهدافهم ! وكيف كانت مراكز القتل مقامة في بعض جهات المغرب!

ولتتأكد أخوتكم مما أقول التمس منكم مراجعة رسالة البطل محمد عبد الكريم الخطابي المؤرخة من القاهرة بـ 27 يوليوز 1960 والموجهة الى الأستاذ محمد حسن الوزاني وفيها عشرات من مراكز التعذيب في مختلف مناطق المغرب.

وكما جاء في فقرة من الرسالة تقول : (الكتاب هو دار بريشة أو قصة مختطف):

وإليك بعضا من هذه المعلومات الدقيقة التي لا يتطرق اليها الشك أبدا، معلومات تحمل بين طياتها مآسي تفتت الاكباد، وتذيب العقول، وتشمئز منها النفوس، وتقشعر منها الجلود، وتحار فيها العقول) انتهى كلام البطل محمد عبد الكريم الخطابي رحمه الله.

وأكثر من هذا أقترح عليكم أن تراجعوا وتسألوا بعض الذين كانوا يوجدون داخل القيادة العليا للهيئة المعنية. كما أرجو من السيدة السقاط ان تترك العاطفة الحزبية وتتساءل معي بكل شجاعة ودون لف أو دوران :

من زرع كل هذه البذور الخبيثة ؟ وجوابي الفوري : إنها حصيلة وحصاد محاولة فرض فكرة الحزب الوحيد على الطريقة البورقيبة (أي الحزب الوحيد والقيادة مدى الحياة) من طرف أشخاص أساؤوا الى المغرب كثيرا، في انطلاقته التحريرية، لو سردت عليك أسماء المغتالين والمخطوفين والمفقودين والمعتقلين لكنت في حاجة الى صفحات طويلة وعريضة، والذين استشهدوا في مراكز الاختطاف تحت التعذيب كثيرون، ولكن سأكتفي أن أعطيك اسما واحدا لمقاوم لفظ أنفاسه أمام عيني بمركز الستيام في صيف 1956 وهو المرحوم محمد المكناسي، وأمام عشرات المقاومين من أخوانه ! لا زال بعضهم على قيد الحياة. فالعبد الفقير الى الله كواحد ممن مروا بتجربة الاختطاف والاعتقال الغير القانوني والذين تعرضوا لشتى أنواع العذاب، وهذا بعلم الخاص والعام، وفي هذا الكتاب حقائق ووقائع وبطولات ليست من نسج الخيال ولكنها الحقيقة المرة التي عشتها شخصيا، وأنا بدوري أقدر مشاعركم وعواطفكم الانسانية لزوجة أو أم أو شقيقة أو... ولكن لو رأيت الشيوخ في أرذل العمر معتقلين وهم يساقون الى غرف الجلد والتعذيب لبكيت عليهم دموع الدم، وبجانبهم أطفال لا تتجاوز أعمارهم 14 سنة (ذهبوا في شربة كما يقول المثل المصري) الى يومنا هذا. منهم محمد الزاهي 14 سنة، وأحمد الشيظمي 13 سنة بالاضافة الى النسوة اللواتي تعرضن للاختطاف مع ازواجهم وانتهكت أعراضهن أمام أزواجهن !

السيدة السقاط هؤلاء الامهات والزوجات اللاتي ذكرت كان لديهن بصيص من الامل على الاقل في أن يروا أبناؤهم وأزواجهم في يوم من الايام طال أم قصر ولو تحملوا كل متاعب الدنيا.

أما أمهات 56 ـــ 57 ـــ 58 ـــ 59 فحظهن كان أتعس، وأصيبن بصدمات نفسية جلهن انتقل الى الرفيق الاعلى حاملين معهم معاناتهم وأسرارهم الى قبورهم دون أن يتمتعوا بإلقاء نظرات الوداع على فلذات أكبادهم.

أما الزوجات لتلك السنوات الرهيبة فهي بحق تراجيديا التردد... الحيرة... التشرد... الانفصام... حالات الطلاق... الاختفاء... الانتحار... الجنون...

أما الاطفال فهي قضية أخرى سارت بذكرها الركبان... أغلبيتهم عاشوا في الضياع... وقلة منهم نجت بفضل التضامن العائلي والانساني، وتم إنقاذها وتتحمل مسؤوليات إدارية حاليا مصير المختطفين لحد الساعة، ليست لهم قبور معروفة عادية، وكان المسؤولون المهيمنون آنذاك يصورنهم للناس على أنهم ألد أعداء الامة المغربية، وعلى ضوء هذا التصور التضليلي يتلقون معاملات تفوق كل وصف وتصور داخل مراكز التعذيب والاختطافات والسجون الرسمية وغير الرسمية !

تحدثت السيدة السقاط عن موت سعيدة المنبهي ! وظروف عائلتها وعائلات السجناء !

ـــ ماذا ستقول السيدة السقاط لو كانت بيننا وهي ترى بام عينيها كما رأينا البطل المقاوم محمد المكناسي يلفظ أنفاسه بعد أيام من التعذيب والتنكيل بمركز الستيام بالبيضاء في سنة 1956.

ـــ كيف تفسرين اختطاف السادة عبد الله بن الجيلالي وعبد الواحد الحارثي وعبد السلام السعيدي الذين كانوا منهمكين في تعليق لافتات الترحيب والتزيين وصور جلالة محمد الخامس رحمه الله وأفراد عائلته الكريمة احتفاء بقدومه الى البيضاء لاجراء أول احتفال بعيد العرش

بعد عودته من المنفى (نوفمبر 1956) وقد دام هذا الاختطاف والاعتقال التعسفي سنتين تقريبا، سنة في مركز الستيام وسنة في غبيلة، جريمة هؤلاء أنهم أعضاء نشيطون في حزب الشورى كان يجب إيقاف نشاطهم بأية طريقة كانت، ولو أدى الأمر الى التصفية الجسدية !

باختصار كانت الفكرة مهمة والمحتوى له إيجابيات وسلبيات وهذا يحتاج الى متسع من الوقت قصد مناقشة كل تلك التدخلات. كل ذلك كان جميلا ورائعا، وأجمل وأروع من هذا هو تلك الخاتمة في تدخلكم إذ قلت حرفيا : (وهذا ما يجب أن يعرفه الرأي العام، وأن يعتبر حقا من حقوقه الطبيعية والمبدئية، سواء أكان المرء معتقلا سياسيا أو معتقلا من معتقل الحق العام).

وبناء على هذه الاقوال السديدة ألح عليك كوطنية غيورة على بلادنا وكمثقفة أن تقرئي كتاب — دار بريشة — أو قصة مختطف الذي يعتبر هو الجزء الأول لصاحبه المرحوم المهدي التجكاني لانك جزء مهم من الرأي العام وهذا حق من حقوقك الطبيعية والمبدئية.

وأرجو من السيدة السقاط أن تتقبل هذا التعقيب والملاحظات بصدر رحب وروح رياضية عالية، ورحم الله شهداء الحرية، وتحيات أخوية لكل المناضلين والمكافحين على صمودهم وصبرهم في ظل المشروعية والقانون وبالوسائل الشريفة.

وتحيات كلها ولاء وطاعة وامتنان الى رائد الكفاح والنضال من أجل الحرية والديمقراطية، جلالة الحسن الثاني دام له النصر والتمكين.

(من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه. فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا). صدق الله العظيم.

الانصاري عبد الله الرداد الجديدة — غشت 1989

آخـر سـاعـة

في برنامج الكمبيوتر 7 التلفزيوني لصاحبته الاستاذة فاطمة التواتي خصص لذكرى 20 غشت المجيدة (1989) شاهد النظارة الكرام لأول مرة أم الشهداء وشقيقة الشهداء (خنساء المغرب المعاصرة) صحبة زوجة الشهيد حجاج المزابي وزوجها الحاج الجيلالي أطال الله عمره ثم ظهر على حدة الاستاذ محمد عدنان من مؤسسي الهلال الاسود والذي كان معنا في رحلة القهر والالم من مركز الستيام الى اغبيلة والقنيطرة والعودة الى اغبيلة والذي لم يُتح له الوقت الكافي أو الحرية المطلقة للحديث عن مأساة الهلال واستغربت كثيرا لكون المشرفة عن البرنامج لم تقدم الحاجة البيضاوية بصفتها أم الشهداء وشقيقة الشهداء أو ربما حدفت من الحلقة بعض الفقرات التي لا تروق بعض الناس، ولاحظت بأسف شديد تعصب مؤرخ المملكة بل وانحيازه الذي لا يزال جليا في هذه المناسبة الذي كان يتكلم فيها عن 20 عشت كحدث وطني يهم الشعب المغربي وملكه ككل وسمح لنفسه واقتحم بدون مناسبة قوة الحزب العتيد كأنه كان وحده في الساحة الوطنية. المفروض في شخص كهذا النزاهة الفكرية، والابتعاد عن التحزب والتشيع ليبقى كل ما يقوله أو يدونه سليما ونظيفا غير معرض للشكوك والظنون خصوصا وأن المرء يحاول في مثل هذه المرحلة من مراحل الحياة أن يسجل عليه الصدق في السر والعلانية (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) صدق الله العظيم.

نعود الى الحاجة رحمة وموضوعنا لأقدمها الى الشعب المغربي بطريقة واضحة وبسيطة ليعرف الناس صمود وشموخ وصبر هذه المرأة البطلة.

هي والدة الشهيدين السيد محمد الحداوي وعبد الله الحداوي وفي نفس الوقت شقيقة الشهيدين السيد الميلودي سامي والسيد العربي سامي، وشقيقة بطل المقاومة الشورية السيد الحاج المختار سامي أمد الله في عمره.

1) محمد الحداوي استشهد في معركة سيدي معروف الخالدة صحبة البطل حجاج المزابي والتي يحاول بعض المتسلطين على المقاومة تعتيمها وطرحها في رفوف النسيان لانها معركة من معارك البطولة للمقاومة المغربية الصادقة بمدينة الدار البيضاء المجاهدة والتي كتب شهداؤنا أروع صفحة من صفحات المجد والخلود للهلال الاسود وللشعب المغربي قاطبة وللتذكير فإنها جرت في أوائل 1955 بحي سيدي معروف ضد القوات الفرنسية المتنقلة.

2) عبد الله الحداوي سقط شهيدا برصاص الغدر والخيانة صحبة خاله السيد العربي سامي بحي عين السبع كما أشرت في بداية هذا الكتاب لدى عودتهما من الرباط على أيدي عصابة الستيام الاجرامية الحزبية في صيف سنة 1956 التي نفذت تلك العملية القذرة بأوامر من الاجهزة العليا «للحزب العتيد» لتصفية كل رجال الهلال والشورى بأي طريقة كانت. ولزيادة في التوضيح انه مؤسس منظمة الهلال ورئيسها، وله الرقم القياسي في عدد الاغتيالات والحرائق وكل أنواع المقاومة وهذا بشهادة من خصومه، فأقبر واختطفت أعماله وتبناها البسطاء الجبناء وأصبحوا في

قائمة المقاومة وهم ليسوا في العير ولا في النفير (لله الامر من قبل ومن بعد) وعند الله يجتمع الخصوم.

3) الميلودي سامي شقيقها الذي اغتيل من طرف عصابة الوجود الفرنسي بمحله الخاص لبيع وإصلاح الدراجات بزنقة الطيران الفرنسي سابقا (وحاليا زنقة مصطفى المعاني) من طرف جماعة الدكتور كوس.

4) العربي سامي المذكور سابقا شقيقها الثاني الذي استشهد مع ابنها في مذبحة عين السبع بواسطة عصابة الاغبياء. وهي أخيرا شقيقة الحاج المختار سامي بطل المقاومة الشورية أمد الله في عمره ؛

كانت السعادة تغمرني حينما رأيت أم الشهداء وشقيقة الشهداء الحاجة رحمة البيضاوية على شاشة التلفزيون وبجانبها زوجها الحاج الجيلالي الحداوي الذي أديت وإياه فريضة الحاج في نوفمبر 1977 وكنا نعيش معا منذ خروجنا من المغرب الى عودتنا، واتصالاتنا المتكررة بحي بوركَون أو في مسجد الاندلس بالمعارف كلما جاء لزيارة ابنته زوجة البطل بوشعيب عكراش رحمه الله الذي كان هو الآخر معتقلا معنا، وعرف ما عرف إخوانه من القهر والقمع !

أما مجرد رؤية الحاجة رحمة وزوجة البطل حجاج المزابي رحمه الله ، والبطل الاستاذ عدنان أطال الله عمره، جعلني أستعرض من جديد بعز وافتخار شريط الهلال الأسود البطولي ومواقف هذه المنطقة الرائدة وجميع رجالاتها الاوفياء سواء الاموات أو الاحياء على ما قدموا من تضحيات جسام لصالح المغرب الحبيب، وخاصة مأساتها الكبيرة في صيف 1956 والتي ربطت مصيرنا جميعا شوريين وهلاليين حيث تعرضنا لاكبر وأتعس كارثة من الاغتيالات والاختطافات والاعتقالات لم يعرف المغرب مثلها لحد الآن ؟

ولا يسعني في هذه العجالة إلا أن أنوه وأشد على يدي الاستاذة الفاضلة فاطمة التواتي التي سلطت الأضواء والانوار على قضية من القضايا المهمة والبارزة والتي هي جزء من ثورة الملك والشعب الخالدة (قضية الهلال الاسود والمقاومة الشورية الخالدة).

كما أبعث بتقديري وإعجابي باسمي الشخصي وباسم كل المقاومين الشوريين تحيات الاكبار والاجلال الى والدة الشهداء وشقيقتهم الحاجة رحمة البيضاوية وإلى أبيهم وصهرهم الحاج الجيلالي الحداوي وإلى زوجة حجاج المزابي الشهيد وإلى البطل الوفي محمد عدنان، والعربي رشيد (شقيق بوعزة رشيد أحد ضحايا عصابة الاجرام) وكل عائلة المغتالين والمختطفين من الشوريين والهلاليين وغيرهم، وإلى حسن الحداوي شقيق الشهداء وابن أختهم ونسأل الرحمة والمغفرة للشهداء وطول العمر والعافية للاحياء، وعلى الله قصد السبيل وهو ولي التوفيق.

فهرس الموضوعات

صفحة

ـ 1 ـ

مركز الستيام والبوليس الحزبي

ـ 2 ـ

كيف تم اعتقالي

— 3 —

الوصول إلى السجن المركزي بالقنيطرة

— 4 —

المحاكمة والحكم الأول القاسي

— 5 —

المحاكمة الكبرى

لعبد الرحمن بناجح وأصدقائه بالبيضاء

— 6 —

من قضايا المقاومة والمقاومين

ـــ 7 ـــ

نهاية كابوس السجن

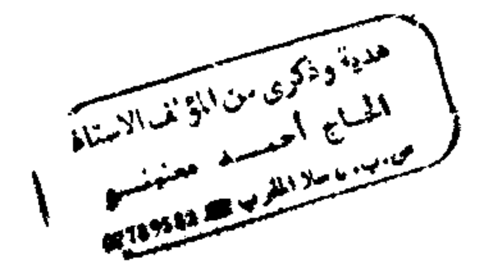
وابتداء حرب نفسية جديدة

الخاتمة

الملحق الأول
مجزرة سوق أربعاء الغرب

الملحق الثاني
صوت حزب الشورى والاستقلال يرتفع مناديا
بوضع حد للاختطافات والارهاب البوليسي

الملحق الثالث
تعريف ببعض رجال المقاومة والشورى
مع تعقيب وتعليق


هدية وذكرى من المؤلف الاستاذ
الحاج أحمد معنينو
ص.ب. سلا المغرب


بسم الله الرحمن الرحيم